

يوميات ضابط فى حرب اليمن

للمؤلف / محمــود مبــــروك


يوميات ضابط فى حرب اليمن
للمؤلف / محمــود مبــروك

يوميات ضابط فى حرب اليمن

بقلم

محمود مبروك

إهداء

إلى أرواح الشهداء

كل الشهداء الذين ضحوا بأرواحهم طوعاً من أجل الحرية ورفعة الوطن ..

إلى أرواح الشهداء الذين رأيتهم فى لحظات عمرهم الأخيرة على

الأرض ، قبل أن يصعدوا إلى حياة أفضل هى فقط ما يخفف عنا ألم الفراق
المؤلف

مقدمة

لم يكن من حقى – أو حق غيرى – أن يتحدث بالتفصيل المقترن بالصراحة الكاملة عن القوات المسلحة حتى لو كان ذلك من خلال مذكراته الشخصية لسببين :
أولهما : الطبيعة السرية لكل ما يتعلق بالقوات المسلحة وخاصة تحت ظروف الحرب والطوارىء التى استمرت لعقود .
ثانيهما : مبالغة القوات المسلحة فى فرض سياج كثيف من الغموض فيما يتعلق بكل أمورها ، إلى حد كتابة لافتات على كل سور لمعسكر أو مصنع أو أرض فضاء تخصها عليها عبارة بسيطة بل مفرطة فى بساطتها وهى : "ممنوع الاقتراب والتصوير"
لكن مستجدات كثيرة وقعت ، أظنها كافية لرفع الحظر عنى وعن غيرى فى أن يكتب فى هذا المجال أهمها :

- **بالنسبة لمذكراتى التى تشكل مقتطفات منها كل المعلومات الواردة فى هذا الكتاب ، فيقع أولها قبل سبعة وخمسين سنة بينما مضى على آخرها أكثر من أربعين سنة كاملة وهى فترة كافية تماما لرفع السرية عن أى حدث مهما بلغت سرريته وقت وقوعه .**
- **أن مرور عدة عقود يضفى صفة التاريخ على المعلومات فلا أظن أن عاقلا يعترض على الكتابة عن التفاصيل العسكرية عن فتوحات محمد على مثلا أو حتى حرب فلسطين عام 1948 والتى وقعت قبل وقائع كتابى هذا بثمانية أعوام فقط .**
- **أن العالم اليوم أصبح مفتوحا بدرجة تمكن الكافة من متابعة تفاصيل العمليات العسكرية وقت حدوثها من خلال الأقمار الصناعية .**
- **أن مفهوم السرية كان يغطى كل المجالات أما فى عالم اليوم فكل الدول تتوافر لديها معلومات تفصيلية عن أعداد الجنود والأسلحة والمعدات فى كل الدول الأخرى وتبقى كفاءة ضمان السرية محصورة فى خطط استخدام هذه الإمكانيات .**
- **أن ثورة 25 يناير 2011قد صححت العلاقات بين كافة القوى ومنها القوات المسلحة وباقى القوى الوطنية .**

لا أجد ما أختم به مقدمتى سوى فخرى الشديد ، واعتزازى الكامل بتلك السنوات التى قضيتها فى العمل العسكرى وهى قياسية فى المدة والنوعية بالنسبة لضابط احتياط ، لم تكن هذه الصفة ترد إلى ذهنه ولا حتى تداعب خياله حتى صباح اليوم الذى بدأت فيه .
ويبقى أن أوضح أن تصرفى لم يمس الوقائع بأى شكل أو أى درجة ، وإنما اقتصر تصرفى على كيفية السرد ، دفعا لجفاف المادة ، ومخاطبة عقول ونفوس مدنية – إضافة للعسكريين – وأدعو الله أن أكون قد وفقت إلى المساهمة فى تأريخ حقبة شديدة الأهمية فى التاريخ العسكرى المصرى من خلال مذكراتى الشخصية .

المؤلف

الفصل الأول
عن أحوال مصر

الحرب العالمية الثانية

انتهت الحرب العالمية الثانية فى العام 1945 وتركت بصماتها على مصر فى كل المجالات السياسية والاقتصادية والعسكرية والاجتماعية وغيرها ، فبينما احتفل الحلفاء بالنصر على دول المحور ، وحققوا ما أرادوا بعد أن دخلوا برلين وقسموها ودانت لهم كل المستعمرات التى كانت تحت أيديهم قبل الحرب مثل مصر والسودان والعراق والأردن بالنسبة للاستعمار البريطانى ، أو المغرب العربى وسوريا ولبنان تحت الاستعمار الفرنسى ، أو حتى التى كانت خاضعة لدول المحور مثل ليبيا ، بينما احتفل الحلفاء ، وندب العرب خيبة أملهم فى وعود تلقوها بالاستقلال مكافأة لمعاونتهم للحلفاء فى تحقيق النصر ، بل - وعلى العكس – حققت بريطانيا لليهود ما وعدتهم به فى العام 1917 على لسان وزير خارجيتها بلفور بإنشاء وطن قومى لهم فى فلسطين بتمكين اليهود من الهجرة الكثيفة إليها وتهريب

الأسلحة وتملك الأراضى ، ثم إنهاء انتدابها على فلسطين وانسحابها منها فجأة وترك العرب فى مواجهة العصابات اليهودية الصهيونية المسلحة والمدربة مع الجيوش الغربية فى ميادين القتال خلال الحرب العالمية الثانية .

أما مصر ، فقد خسرت من أبنائها العاملين فى خدمة المجهود الحربى البريطانى ما خسرت ، وخسرت من أموالها المستحقة لدى بريطانيا مقابل تقديم الدعم اللوجستى من خطوط مواصلات وتموين للاحتياجات العسكرية وغيرها - وذلك على الحساب - ثم هى لم تحقق الاستقلال الموعود إضافة إلى الانحدار الأخلاقى نتيجة للتداخل المخل مع القوات العسكرية من جنود بريطانيا ومستعمراتها الذين تواجدوا على أرض مصر فنقلوا إليها أسوأ ما عندهم فمثلا عمل كثيرون من المصريين فى المعسكرات البريطانية وهو ما أطلق عليه " القرنس " ونتج عن ذلك ما نتج ، كذلك قضى جنود الحلفاء أجازاتهم فى القاهرة والإسكندرية وفى يدهم من النقد ما أسال لعاب فئات دنيا لا تجد ما تقتات به ، وفى ظل التحلل والإنحلال الذى ينتج خلال فترات الحروب ، فقد انحرفت كثيرات لم تجدن ما تغيرن به من واقعهن سوى امتهان البغاء فأصبح مهنة لها منظموها وممارساتها وتركزت فى مناطق فى القاهرة مثل شارع عماد الدين وكلوت بك . وما كان يعرف بمنطقة " وش البركة" فأصبحت صورة منقولة لشارع سان دى نى وحى بيجال فى باريس وشتان ما بين أخلاقنا فيما سبق وأخلاقهم فيما سبق وفيما لحق ..

فى هذه الأثناء جاء الى العالم أطفال تفتحت عيونهم وبزغ وعيهم على هذه الصور ومعها سيادة مطلقة للفقر والعوز - وباستثناء قلة من الإقطاعيين وقلة ممن أطلق عليهم تجار الحرب - وهم التجار الذين استطاعوا تعطيش السوق لسلع خزنوها مسبقا وباعوها خلال الحرب وتوقف حركة التجارة العالمية ، وشح البضائع فى الأسواق ، فباعوها بأضعاف سعرها مما راكم الثروة لديهم وكونوا طبقة جديدة من طبقات المجتمع – أما باقى فئات الشعب من فلاحين وعمال وصغار الموظفين والتجار الشرفاء أو الذين لم تمكنهم الظروف من استغلال الحرب لصالحهم فقد ساءت أحوالهم ، ويكفى أن نعرض فى عجالة بعض مظاهر هذه الحالة :

- كان الحذاء وسعره آنذاك خمسون قرشا عزيز المنال وحين تتحقق ملكيته يكون الحرص فى استعماله واجبا ، وتجرى عليه عدة عمليات للصيانة والإصلاح والعمرات لأن متوسط فترة استعماله - كحذاء وحيد يمتلكه الفرد - ثلاث سنوات
- كان القميص الذى يباع بنفس الثمن تقريبا ، يباع ومعه ياقة وأساور احتياطية حيث تركب بعد استهلاك الأصل على الوجهين أى تستهلك مع القميص أربعة وجوه لكل من الياقة والأساور
- ساد الحفاء فى الريف ، وفئات عريضة فى الحضر وأصبح المشروع الحضارى الأول : مشروع مقاومة الحفاء .
- كان صاحب الحظ السعيد من الفلاحين هو من يلتحق بعمل لدى إقطاعى يذله ويستنزف صحته مقابل سد الرمق فحسب ، أو من يحظى بالعمل فى الترحيلة وهى عمل ينظمه مقاول أفراد لجمع العمال من المناطق الريفية دون إفصاح عن طبيعة العمل أو مكانه ، بل يكتفى باصطحاب عربة لورى إلى قرية معينة يسارع أبناؤها بمجرد السماع بوجودها إلى العدو والركوب وعندما يكتمل العدد المطلوب يغلق المقاول أبواب العربة وينطلق بركابها إلى موقع العمل الذى قد يكون فى قرية أخرى أو مدينة أخرى أو حتى محافظة أخرى حيث يعمل الجميع طوال فترة النهار مقابل أجر لا يزيد عن ثمانية قروش فى اليوم وينامون فى خيام صغيرة ومتهالكة يطلقون عليها أحيانا اسم " الخيش " ويتبلغون بكسرات من الخبز حتى يتمكنوا من توفير قروش يعودون بها بعد العمل لفترات غير محدودة لإعاشة ذويهم. *

حرب فلسطين

مضت الأمور فى مصر على هذا المنوال منذ بداية الحرب العالمية 1939 وحتى بعد انتهائها سنة 1 إلى أن جاء مايو 1948 وأعلنت دولة فلسطين فى ليلة الخامس عشر منه فكان على العرب أن يعاونوا الفلسطينيين على استرداد أرضهم فدخلوا الحرب كسبعة جيوش عربية بدلا من جيش واحد تحت قيـادة الـمـلـك
عـبد الله بـن الحسين ملك شـرق الأردن ومزمـت مذه الجيوش ، وتم توقيع اتفاقية رودس بإقرار الهدنة بين العرب وإسرائيل .

*** حين قامت ثورة 23 يوليو 1952 وضعت حدا أدنى لأجر العامل فى الترحيلة (يومية) بخمسة وعشرين قرشا قبل أن يصدر الرئيس جمال عبد الناصر قراراً آخر بإلغاء الترحيلة كصورة غير إنسانية .**

أحس الجيش المصرى بالمهانة ، وغصة مرة فى حلقه ، نتيجة هزيمة غير مستحقة أمام عصابات صهيونية ، وفى تحليله لأسباب الهزيمة توصل إلى أن النظام الملكى الحاكم يجب أن يتم تغييره ، وأن الظروف الاجتماعية السائدة لابد من استبدالها ، ومن خلال التنظيم السرى للضباط الأحرار قامت ثورة 1 والتى سماها الثوار من البداية : الحركة المباركة ، وأطلق عليها البعض : انقلاب عسكرى أيده الشعب ، وأيا ما كانت المسميات فإن ما يهمنا هنا هو أن نظاما جديدا للحكم بدأ فى الثالث والعشرين من يوليو 1952 .

ثورة يوليو 1952

صباح الثلاثاء 23 يوليو 1952 استيقظ المصريون على مشهد غير عادى يجرى من حولهم ، لم يتوقعوه .. ولم يفهموه مع بداية النهار ، لكنهم سرعان ما تلقوا أنباء تفوق ما داعب أخيلتهم إذ سمعوا تعبيرا جديدا على آذانهم ؛ فالثورة منذ عاشها آباؤهم فى العام 1919 أو ثورة (هوجة) عرابى 1882 وقبلها ثورتى القاهرة الأولى والثانية مع مطلع القرن التاسع عشر صورة طواها مر السنين .

قام بالثورة مجموعة من الضباط من أواسط الرتب : صاغ وبكباشى (رائد ومقدم) ومنهم واحد فقط من القادة الكبار يحمل رتبة اللواء – وحتى مساء الأحد 26 يوليو كانوا قد حققوا أول أهداف الثورة – ولو بصفة مؤقتة – حيث أجبروا الملك فاروق الأول ، آخر ملوك أسرة محمد على الكبير ، على التنازل عن العرش لولى عهده الملك أحمد فؤاد الثانى ولم يتجاوز عمره الستة أشهر ، وشكل مجلس قيادة الثورة مجلسا للوصاية على العرش برئاسة الأمير محمد على كما ضم أحد الضباط الأحرار وهو القائمقام محمد رشاد مهنا ..

ومضى قطار الثورة فى وفاق بين الثوار حينا ، وخلاف بينهم حينا آخر ، كان الملفت منه ؛ الخلاف مع اللواء محمد نجيب ، القائد المعلن للثورة ، والخلاف مع كل من يوسف صديق وخالد محيى الدين ، والخلاف مع مجلس الوصاية على العرش ..

وحين انتصف العام 1954 كان المشهد يتبلور على نحو بدا منه :

- **تم القضاء على الإقطاع حيث أعلن قانون الإصلاح الزراعى فى التاسع من سبتمبر 1952 (أصبح هذا اليوم عيداً للفلاح) وبذلك تحددت الملكية ونزعت الأراضى الزائدة حيث تم توزيعها على الفلاحين المعدمين ..**
- **تم القضاء على الملكية حيث أعلن عن قيام الجمهورية فى 18 يونيو 1953**
- **تم القضاء على الاستعمار (وأعوانه) بتوقيع معاهدة الجلاء فى 18 يونيو من العام التالى 1954 كما تمت عملية تطهير واسعة لمن أطلق علهم ؛ رجال العهد البائد .**

وبذلك تم تحقيق نصف الأهداف الستة للثورة والمتعلقة بالقضاء .. بينما بقيت ثلاثـة اهداف تتعلق بإقامة : حياة ديمقراطية سليمة .. عدالة اجتماعية .. جيش وطنى قوى ..

وعند هذه النقطة تولى جمال عبد الناصر رئاسة الجمهورية خلفا للرئيس محمد نجيب بقرار من مجلس قيادة الثورة – وخلال إلقائه خطابه بمناسبة الذكرى الثانية للثورة ، تعرض جمال عبد الناصر لإطلاق ستة رصاصات فى اتجاهه بغرض الاغتيال ونسبت هذه الواقعة للإخوان المسلمين فتمت مطاردتهم وسجن الكثيرون منهم ممن أدانتهم المحكمة وحكم على ستة منهم بالإعدام – تم تخفيضه عن أحدهم لأسباب مرضية والعديد من أحكام السجن المؤبد وغير ذلك .

أذكر هذه الحادثة لما كان لها من أثر واضح على التعاطف الشديد مع جمال عبد الناصر وبداية الشعبية المتزايدة له .

فى العام 1955 – وفى اتجاه تحقيق الهدف الخامس للثورة وهو إقامة جيش وطنى قوى – تم عقد الصفقة الأولى من صفقات تسليح الجيش من الكتلة الشرقية بعد رفض الكتلة الغربية تسليح مصر مراعاة للتوازن مع إسرائيل ..

العدوان الثلاثى على مصر

وجاء العام 1956 .. وفى الذكرى الرابعة للثورة كان خطاب زعيمها جمال عبد الناصر فى ميدان المنشية بالإسكندرية ؛ نفس المكان الذى شهد إطلاق النار عليه قبلها بعامين بالتمام – وطال الخطاب ، وروى جمال عبد الناصر قصة بناء السد العالى بأسوان وأهميته لتنمية الزراعة والصناعة فى مصر وانتهى إلى سحب البنك الدولى للإنشاء والتعمير – بضغط من الولايات المتحدة الأمريكية – لعرضه بتمويل السد لكى ترضخ مصر وتقبل تمكين أمريكا من بسط نفوذها بالمنطقة عن طريقها .. وكرر ذكر اسم ديلسيبس المهندس الفرنسى الذى حصل على امتياز حفر قناة السويس من الخديوى سعيد قبل أقل من مائة عام – وحين قدم أحدهم قصاصة للرئيس تفيد تلقى كلمة السر وتنفيذ الخطة ، أوقف الزمن ، وفاجأ العالم بأخطر قرارات القرن العشرين على مستوى العالم : قرار تأميم قناة السويس .. توالت الضغوط على الرئيس جمال عبد الناصر من أجل التراجع عن القرار أو حتى الاتفاق على صيغة وسطية دون جدوى حتى جاء اليوم التاسع والعشرين من أكتوبر 1956 حيث بدأ العدوان الثلاثى على مصر بناء على الخطة التى اتفقت عليها كل من بريطانيا وفرنسا واسرائيل . احتلت اسرائيل سيناء بعد أمر جمال عبد الناصر القوات المسلحة بالإنسحاب إلى غرب القناة للدفاع عن الوادى ، وهاجمت الأساطيل الفرنسية البريطانية وطائراتهما أرض مصر مركزة على منطقة القنال ، وهبطت الدفعات المتوالية من قوات المظلات على بور سعيد حيث أبيدت الدفعتين الأولى والثانية بينما تمكن عدد من جنود الدفعة الثالثة والدفعات التالية من احتلال مناطق فى بورسعيد التى قاومت ببسالة لم يعهدها العالم وفاقت مدينة ستالينجراد الروسية التى ضرب بها المثل فى المقاومة وإلحاق الهزيمة بقوات أدولف هتلر خلال الحرب العالمية الثانية .

مشروع مقاتل

فى هذه الأثناء بلغت الحماسة ذروتها ، وانطلقت الإذاعات المصرية فى إذاعة المارشات العسكرية والأناشيد الحماسية و فى مقدمتها أناشيد الله أكبر .. يا مسافر بورسعيد .. دع سمائى .. قلنا حنبنى .. وغيرها وانطلقت حناجر المعلقين فى مقدمتهم أحمد سعيد ومحمد عروق ، تحث المصريين على القتال والمقاومة .. وتحت غارة جوية بريطانية على القاهرة ، انتقل جمال عبد الناصر إلى الأزهر فى سيارة مكشوفة تحفه قلوب المصريين وتعلو أصواتهم بالدعاء له بالنصر على الأعداء والتوفيق فى معالجة

الأزمة وأعلن جمال عبد الناصر من على منبر الأزهر ؛ أننا سنقاتل وسنبنى بلدا وتاريخا ومستقبلا .

كنت فى حينها فى الخامسة عشرة من عمرى ومع التصاق أذنى بجهاز الراديو (لم يكن التليفزيون قد عرف فى مصر حيث بدأ إرساله فى يوليو 1960) وعيناى على الجرائد ، أتابع التفاصيل اليومية للمقاومة فى بورسعيد والتى تمكنت من أسر الميجور مورهاوس ابن اخت ملكة بريطانيا ، وأتابع تهجير الأهالى من المدينة حيث نزل بعض أقرباء أبى ضيوفا علينا فى مدينة طنطا ، حضروا وليس معهم سوى الملابس البسيطة على أجسادهم والتى بليت من خلال رحلة التهجير عبر بحيرة المنزلة ثم قطار الدلتا .. وخلال أيام عانوا من الإرهاق وبرد الشتاء وحمل أطفالهم وتحمل صرخاتهم جوعا أو عطشا أو ألما دون أن يملكوا رد شىء من ذلك عنهم ..

عشت ذلك ووعيته ، وغلى الدم فى عروقى ، وأحسست فى هذه السن المبكرة – أن علىَّ أن أفعل شيئا ، فتوجهت إلى مركز التطوع فى مدينة طنطا وقدمت نفسى لقائده اليوزباشى نبيه حسنى (أو حسنى نبيه لا أتذكر) وطلبت منه أن يسجل إسمى ضمن المتطوعين للسفر إلى بورسعيد بعد التدريبات السريعة على حمل السلاح .. وتألمت كثيرا حين أبلغنى أن من تقل أعمارهم عن الثامنة عشرة ليست هناك حاجة اليهم فى ذلك الوقت ، لكن من الممكن أن ينشأ الاحتياج لهم طبقا لتطور العمليات حيث يتم النزول بالحد الأدنى لسن المتطوعين .

عدت الى بيتى كسيرا مفتقدا لوسيلة تنفيس الشحنة المعنوية المركزة التى تحيط بى سواء عن طريق الإعلام أو القصص التى يرويها ضيوفنا الأقارب القادمون من بورسعيد المقيمون معنا فى تفس المسكن ، وربما خففت عنى عبارات أبى قدرا من اللوعة حين قال : المعركة ليست فقط بمن يحملون السلاح وإنما يحتاج من يحمل السلاح إلى من يوفر له الغذاء والدواء والذخيرة والمعلومات ورعاية أهله ومن عائلتنا شباب كثيرون لم يغادروا بورسعيد مع أهليهم الذين نرعاهم ونستضيفهم فنحمل عنهم عناء حمل همهم والتفكير فى مشاكلهم وأنت تستطيع بالتخفيف عنهم أن تساهم بدور فى المعركة يتناسب مع سنك ..

مضى نوفمبر ومعظم ديسمبر على هذه الحالة مع ضربات المقاومة الموجعة واستنكار العالم وفى مقدمته كتلة عدم الانحياز التى كان جمال عبد الناصر قطبا لامعا من أقطابها ، ومع الإنذار الروسى * بضرب عواصم العدوان بالصواريخ الموجهة ، ومع استنكار الولايات المتحدة برئاسة دوايت إيزنهاور للعدوان حيث تم التخطيط والتنفيذ دون علمها مما كان يعرضها كزعيمة لحلف الأطلنطى للاستدراج إلى حرب عالمية غير محسوبة النتائج ..

وفى الثالث والعشرين من ديسمبر انسحب المعتدون وأعلن ذلك اليوم عيدا للنصر .. عيدا قوميا لبورسعيد .. وانتهى العدوان ، ولكن إحساسى بافتقاد شرف المشاركة لم يفارقنى ، ولم تكن قناعتى بصغر سنى أو قيامى بدور ما تجاه أهلنا المهجرين من بورسعيد بكافية لدفع ذلك الشعور عنى – وما أن استؤنفت الدراسة بالمدارس مع بدايات العام 1957 إلا وقد تقدمت إلى كتائب الشباب حيث تلقيت تدريبات عسكرية أهمها حمل واستعمال السلاح فأحسست براحة وتعويضا عما فاتنى بأن

---

* إنذار بولجانين

أصبحت جاهزا للمشاركة فيما قد يجد من معارك كنا نتوقع منها الكثير لارتفاع سقف الطموح المصرى ، وتصدى الدول الاستعمارية وإسرائيل وما كان يطلق عليه الدول الرجعية العربية ، لذلك الطموح .. أحسست وأنا أحمل بطاقة العضوية لكتائب الشباب "أننى أصبحت مشروع مقاتل " .

الفصل الثانى
تحولات

بركات الكنافة

مرت الأيام والشهور وحصلت بعد انتهاء العدوان الثلاثى بثلاثين شهرا على الثانوية العامة القسم الأدبى ، تخصص لغة انجليزية ، كانت هى المناسبة لتوجهاتى نحو الأدب والشعر مع قدر من الرومانسية باعد بينى وبين الرغبة فى معايشة الضجيج وأصوات الآلات أو حياة العسكرية ودوى المدافع ورائحة البارود .. كنت أحب الحرب إذا كانت على شاشة السينما التى عجت فى هذه الفترة بأفلام سجلت العمليات الكبرى فى الحرب العالمية الثانية مثل دنكرك .. وداعا للسلاح .. مدافع نافارون وأطول يوم فى التاريخ وغيرها ، كما سجلت أفلام رعاة البقرWESTERN (البطولات) الخارقة لراعى البقر فى الغرب الأمريكى ولم تكن هذه البطولات سوى حرب الإبادة لسكان أمريكا الأصليين من الهنود الحمر ، ولكننى – وفى كل مرة بعد الانفعال بهذه الأفلام كنت أعود إلى بيتى لأقرأ قصة لإحسان عبد القدوس أو يوسف السباعى أو قصة للأديب البريطانى الذى عشقته تشارلس ديكنز باللغة الإنجليزية أو الأديب الروسى تولستوى مترجمة إلى العربية فتعاودنى الروح المدنية والمشاعر الرومانسية .

انتقلت إلى القاهرة لكى ألتحق بالجامعة ، صدمنى رسوبى فى امتحانات السنة الأولى واضطرارى

لإعادة العام فالتحقت بأكثر من عمل منها عمل مؤقت بالجناح الأمريكى فى المعرض الزراعى الدولى*
حيث تعرفت علـى مجموعـة مـن أسـر المزارعين منهم رجل يدعـى
روكول هولكمب من سومر سفيل بولاية كونكتكت .. توطدت العلاقة بينى وبينه وزوجته عايدة (IDA)
ودعوتهما على غذاء فى بيتى حيث أعددت لهم الأطباق الشرقية مثل الملوخية وأنواع المحشى المختلفة إضافة للأطباق الغربية كإجراء احتياطى لحالة عدم تذوقهم للأطباق الشرقية . تذوقا .. وأكلا حتى امتلأت البطون ،
وعاتبانى علـى إغـرائـهما علـى الأكل بأكثر مما تعودا ،

*** أبريل 1961**

وفى الصالون .. وقبل المشروب الساخن ، قدمت لهما طبقا من الكنافة المصنعة منزليا . رفضا بإصرار فى البداية على أنهما بالغا فى كميات الطعام التى التهماها على غير العادة ، وحاولت إقناعهما أن الكنافة ليست صنفا من صنوف الطعام وإنما نوعا من الحلوى تؤكل فيما بعد الطعام .. وبعد ضغط وتمنع قبلا مبدأ التذوق .. مجرد التذوق .. وما أن تذوقا حتى أستأذنا فى تناول المزيد ، وليكن ما يكون ، وبعد أن التهما نصف ما قدمت لهما .. سألانى عن اسم هذا الصنف الساحر وكيفية إعداده .

قلت لهم اسم الصنف ؛ كنافة ، وكررا الاسم .. وعدلت لهما حتى نطقاه نطقا صحيحا وأعتقد أنهما حفظاه جيدا ، أما الإعداد فبدأت من مرحلة الدقيق والماء إلى مرحلة العجين قليل الكثافة ورشه من إناء به ثقوب على سطح ساخن ، ثم جمعه ، وتركه ليجف ، وهو ما يتم فى محلات البيع ، ثم مرحلة التصنيع المنزلى بما فيها من إضافات للسمن البلدى والمكسرات والشربات الذى يصنع من الماء والسكر والليمون و .. و .. وهتفا فى لحظة واحدة : يا لها من صناعة معقدة ، ولن نعى جزءً مما قلت ولو كتبته لنا تفصيلا أو أجريت العملية أمامنا مرات ..

قلت يكفيكما معرفة اسمها ثم شراءها جاهزة كلما أردتم .. قالوا ولكن من أين نشتريها ونحن نقيم فى الولايات المتحدة ؟ قلت متفذلكا : أعرف أن حى بروكلن فى نيويورك فيه العجب ويعيش فيه أجناس كثيرة تروج لمنتجات بلادها فى ذلك البلد الذى يتسع لكل شىء ، ويفتح المجال لكل شىء ..
قالا : أمريكا تخضع الآن لغزو إيطالى بمنتج اسمه "بيتزا" طغت على المكرونة والكانيلونى وغيرهما .. أما نحن الأمريكيون فنهوى الـ دونتس .

مرت لحظات من الصمت ، وفجأة هتف السيد / روكول : مستر محمود ، هل توافق على الحضور إلى أمريكا ، فى حالة زراعتى لخمسمائة فدان من القمح وتوفير أفران الأشعة البنفسجية ، وأن تدير مشروعا لصناعة وتسويق الكنافة – وفى هذه الحالة سأوفر لك حملة دعائية أضمن بعدها منافسة الكنافة للبيتزا الإيطاية وتحقيقها أرباحا خيالية ؟
قلت : ولكننى أجيد فقط شراء الكنافة – كعجين – ثم تصنيع صينية منها للاستهلاك المنزلى ، أما على مستوى الانتاج الكبير MASS PRODUCTION فهى عملية أخرى . وتدخل شقيقى – رحمه الله – متحدثا إلى بالعربية ؛ لو تم الاتفاق بينكما فيمكنك اصطحاب عدد من العمال المتخصصين وسيكون دورك إداريا وتنظيميا ..
واقتناعا بذلك أبديت موافقة مبدئية ، لكن الرجل كان متحمسا ومتعجلا إلى حد طلب الاتفاق على الإجراءات والجدول الزمنى .. وما إلى ذلك من خطوات تنفيذية .

أطلت فى الحديث عن هذه الجزئية (قصة الكنافة) لأنها كانت نقطة فاصلة بين مرحلتين فى حياتى ، حيث اتفقت مع الرجل على مهلة زمنية تقدر بعدة أسابيع لمزيد من الدراسة ، وبحث إجراءات سفرى واصطحاب عدد محدود من المتخصصين ، وأعطانى عنوانه ورقم تليفونه ، وأبدى استعداده لتوقيع العقود اللازمة وتسهيل تأشيرات السفر بمجرد الاتفاق .

كان السفر إلى الخارج فى هذه السنوات شيئا معقدا ومحددا بمحددات قد لا يتخيلها أبناء هذا الجيل ، بل ان حمل جواز سفر كان فى حد ذاته شيئا متميزا ويكاد ان يكون قاصرا على الدبلوماسيين والدارسين وكبار رجال الأعمال وبعض الفئات مثل الصحفيين والفنانين .

اتجهت الى قريب لى يعمل فى الجوازات ، وسألته عن الإجراءات اللازمة لاستخراج جواز السفر ، وابتسم وقال لى مطمئنا ؛ لا تنزعج ولا تحمل هما . ما عليك إلا ان تزورنى وليس معك غير صورة من اثبات الشخصية ، وصورة من آخر مؤهل حصلت عليه ، وأربعة صور شخصية حديثة، وما يثبت موقفك من التجنيد .

وهنا استوقفته متسائلاً عما يقصد بما يثبت موقفى من التجنيد .

قال : شهادة أداء الخدمة العسكرية ، أو شهادة الإعفاء منها ، ولا تصلح شهادة التأجيل ..

هنا أسقط فى يدى ، وأحسست بانهيار الأمل وتحطم الأمنيات على صخرة هذه الورقة .. ويح للتعقيدات ...

شكلت مجموعة عمل من زملائى وزملاء شقيقى العاملين فى إدارات شئون العاملين للدراسة فالأمر يستحق دراسات وتخريجات ..

وبعد فحص .. وتقليب .. وتمحيص ، تم الاتفاق على أن أتقدم إلى إدارة التجنيد لطلب تجنيدى حيث سقط حقى فى التأجيل منذ تسلمى لوظيفة قبل ثلاثة شهور ولم أعد متفرغا للدراسة حتى لو كنت ما أزال طالبا منتظما بكلية التجارة أى كلية جامعية يتمتع الملتحق بها بحق تأجيل أداء الخدمة العسكرية حتى يتخرج أو يبلغ الثامنة والعشرين أيهما قبل .. وتساءلت عن العلاقة بين تجنيدى وبين السفر إلى أمريكا ، ما دمت أعرف أننى لن أجند فى الجيش الأمريكى .

أجاب اثنان من زملائى الحاضرين ، بأننى لست مطلوبا للتجنيد ، وأن تقدمى لإدارة التجنيد سيترتب عليه تسلمى لشهادة الإعفاء من التجنيد لأن مواليد عام 1941 لم يصبهم الدور .. وسألت عن مصدر معرفتهم وتأكدهم من هذه المعلومة فأخرج لى كل منهما من حافظته شهادة إعفاء من الخدمة وعليها سبب الإعفاء : لم يصبه الدور ، وتاريخ ميلاد كل منهما هو عام 1941 ، راجعتهما فى معنى كلمة لم يصبه الدور التى أفهمها على أنها نتيجة لنوع من "القرعة" أو ما إلى ذلك ، فأكدا لى أن القوات المسسلحة تسقط دفعة من مواليد فترة زمنية لزيادتها عن احتياج القوات المسلحة ودلانى على زميل ثالث طبق عليه نفس المبدأ ، ولم أتيقن من صحة المعلومة التى يترتب عليها ما بقى من مستقبل حياتى ، حتى راجعت ذلك الزميل فأكد لى صحتها وأطلعنى على شهادة أعفائه وعليها تاريخ ميلاده وسبب الإعفاء .

حمدت الله أن ذلل العقبة الكبرى فى سبيل الإنطلاق ، وأعددت خطابا وجهته للسيد روكول هولكمب أعرض عليه الخطوات التى توصلت إليها وحددت له الإجراءات المطلوبة منه والجدول الزمنى المقترح لكل منها .. وأوقفت إرسال الخطاب الى حين الحصول على شهادة الإعفاء من التجنيد ..

ولما كنت من مواليد طنطا فقد كانت تبعيتى – فى هذه الفترة – لمنطقة تجنيد الإسكندرية حيث كانت هناك منطقتا تجنيد خلافا لمنطقة القاهرة ، إحداها فى الإسكندرية لسكانها ومواليد الوجه البحرى والثانية فى أسيوط لأبناء الوجه القبلى .

فى القطار إلى الإسكندرية كانت لدى فسحة قدرها ثلاث ساعات لكى أنطلق بخيالى ، فأصل إلى أمريكا قبل وصولى إلى بنها .. وعند وصولى إلى الإسكندرية كنت قد أنشأت مشروعا ضخما ، وبدأ تشغيله ، وحقق نجاحا منقطع النظير وكانت السعادة الغامرة تكسو وجه السيد / روكويل طول الوقت مما أكسبنى رضا عن نفسى حيث لم أخذله ، بل حققت له أرباحا تفوق كل ما توقع ... وأفقت على توقف القطار فى محطة سيدى جابر بالإسكندرية ، فانطلقت عدوا إلى منطقة التجنيد كأولى الخطوات التنفيذية فى تحقيق الحلم .

مقاتل رغما عنه

فى منطقة تجنيد الإسكندرية بمعسكرات مصطفى كامل ، وخلال سويعات من نهار يوم السبت الموافق 29 من شهر ديسمبر 1962 ، تغير مسار حياتى بزاوية مقدارها مائة وثمانين درجة ، وأصبح يوما فارقا سبقته أيام لها لون معين ، وتلته عقود من لون مغاير تماما ..

تقدمت لمكتب الاستقبال مزودا بالأوراق الأساسية مثل بطاقة إثبات الشخصية وشهادة الميلاد وإثبات المؤهل ، وتسلحت بشحنة من الصبر والتحمل تفاديا لتبعات ما سمعته عن أسلوب التعامل فى الجهات العسكرية ، وقررت أن أتحمل أى شىء ، بل أى تجاوز خلال الساعة أو الساعات التى سأقضيها فى هذا المكان ، فبعدها سأتسلم شهادة الإعفاء من الخدمة العسكرية ، وتنتهى علاقتى بهؤلاء الناس إلى الأبد .

انضممت الى مجموعة المتقدمين فى ذلك اليوم وقادنا أحد ضباط الصف إلى داخل المنطقة حيث بدأنا فى عمليات التسجيل واستخراج أرقام الكود ثم الكشف الطبى الذى تضمن قياس الطول والكشف على الصدر وقياس عرضه والدوالى ووجود عاهات وقياس النبض والنظر .. واستمرت هذه الأعمال حتى السابعة مساءً بعدها حصل البعض على تصاريح للمبيت خارج المعسكر ، ولم أجد لدى رغبة فى رؤية العالم الخارجى ، ثم العودة إلى هذه المقبرة المظلمة ، ورأيت المبيت بالمعسكر فما حاجتى لليلة بخارجه ، وأنا من سأغادره فى اليوم التالى – أو الذى يليه على الأكثر – إلى غير رجعة ..

تذرعت بالصبر ، فالمكافأة التى أسعى إليها تستحق أضعاف ما أعانى .. المهم توالت إجراءات تصاعدت سخافتها مع مضى ساعات النهار التالى ، فقبل الشروق ؛ وفى الخامسة قمنا من النوم فأحضرنا الطعام (التعيين) ليأكل غيرنا حيث أننا لم (نؤمَّد) أى لم تتم الإجراءات اللازمة لصرف تعيين لنا .. ثم جمعنا القمامة من أرض الطابور ، وظللنا نكلف بأعمال ليس لها مسمى وليس لها هدف من وجهة نظرى المتواضعة سوى كسر كبريائنا وتطويعنا لحياة تعتمد على الأمر والطاعة العمياء أى التى تفرض التنفيذ بدون حق الاقتناع ، وصبغتنا بالصبغة العسكرية التقليدية . وخلال يومنا الرخيص أكملنا أعمال الكشف الطبى من أشعة على الصدر إلى كشف النظر (علامات) وتحديد فصيلة الدم وتحليل البول والبراز والكشف على الأسنان ، ثم مضينا إلى مخزن المهمات حيث بدأ تسلم كل منا (مخلة) بها ثلاثة وثلاثين قطعة من الملابس والأدوات ... ووجدت نفسى – وقد فرغ صبرى – أتساءل بصوت عال :

- إيه الـ

وقبل أن أكمل السؤال انفجر الرقيب المسئول عنا متسائلا :

- مين اللى بيتكلم ؟

أجبت بتلقائية ساذجة : أنا

قال بحدة وغضب ، إستأذن يا بنى آدم .

قلت : عن إذنك

قال : يا بنى آدم خد الأذن قبل ما تتكلم

قلت بغضب ونفاد صبر : ما أنا باستأذن أهو ، مش قلت لك ؛ عن إذنك

قال : لا تتكلم .. ارفع يدك بدون صوت ، فإذا أعطيتك الإذن ، تكلم ..

عزت على نفسى واعتصرها الألم ، وتساءلت ؛ هل وصل بى الحال أن استأذن من حقير مثلك على مرحلتين ، الأولى صامته برفع اليد ، والثانية بطلب الكلمة ؟ على كل حال فالمثل يقول : ان كان لك عند الـ ... ولا حرام ، حاتدخلنى النار باستفزازاك أنا باحاول مادخلش الجيش أقوم أدخل النار ؟

رفعت يدى طلبا للإذن ، فقال نعم .. ايوه يا سيدى .. اطربنا .. عايز ايه ؟

قلت مستنكرا :

- أنا باكشف طبى واستلم مهمات وغيره ليه مادمت خارج من الجيش ؟
قال بتهكم :

- خارج فين بسلامتك ؟
- أنا معفى من الخدمة .. أنا مواليد 1941
- يا سلام واحنا مجانين عمالين نعملك الإجراءات وما خدناش بالنا من بياناتك والنماذج اللى اتعملتلك . انت مش مواليد النص الثانى من السنة ؟
- أيوه أنا مواليد أغسطس
- يبقى أصابك الدور .. النص الأول هو اللى معفى .. وبطل كلام بقى وتقدم لاستلام مهماتك .

ألقى هذا البائس دشا باردا على رأسى ليوقظنى على أفزع وأفظع واقع .. لا لقد ألقانى فى بوتقة صهر المعادن فتلاشيت فى لحظة ، غبت عن الوعى وتسمرت قدماى ، ولم أدر فيم أفكر ؛ هل هناك وسيلة للتراجع ؟ كيف ، وقد أصبحت رقما فى منظومة لاأعرف عنها شيئا .. إن مسماى لديهم شاب تجنيد ، ونداؤهم لى : يا بنى آدم ، يعنى أصبحت واحدا من بنى آدم ، واحدا من مليارات لا يميزنى اسم ولا لقب ولا صفة ولا جنس ، مجرد بنى آدم ، ومن ينادينى بهذه الصفة ؟ إنه هذا الشاويش الجاهل المتخلف الذى لو التقيته خارج هذه الأسوار فلن أرد عليه السلام إلا طاعة لله وكسبا للجنة أرتجيها منه ، ولو تقرب منى بوصة لابتعدت أمتارا .. أهكذا ستمضى الأمور ؟ هل أقضى الشهور وربما السنين مع مثل هذا المتسلط ؟ وهل كل زملائه يماثلونه أم ربما يكونون أشد سوءا وأدنى مستوى ؟

إسودت الدنيا ، وفقدت السمع والحس ؛ كيف غامرت بمستقبلى متسرعا دون أن ألاحظ أن زملائى من مواليد نفس العام ، لكن موقع ميلادهم من العام لم يكن محل سؤال منى رغم العواقب الكارثية المترتبة على هذا التاريخ .

فى مساء نفس اليوم جلست حزينا مهيض الجانب مكسور الخاطر فى مكان مظلم يكاد أن يكون موحشا رغم اكتظاظه بالبشر ، يقطع شرودى من الحين للأخر صوتٌ جاهل وغليظ ، يلقى بتعليمة ما ، تافهة لا نفع فيها لكنه يحيطها بهالة من الأهمية وفيما بين هذه وتلك ، كنت أؤنب نفسى بما فعلت بى .. وانطلق خيالى محاولا تجميع صورة .. أيا كانت هذه الصورة ، لكنه أبى أن يمضى معى إلى المستقبل ، لقد كان أعقل منى كثيرا ، لأنه عرف أن أى توقع لابد أن ينبنى على وقائع محددة ومعلومات مؤكدة ، وحسابات دقيقة وهى ما لم يتوافر له منها شىء ، لقد كان كل شىء هُلامى بعيد كل البعد عن عالم الحساب قابل للخضوع لكل المتغيرات من أقصى اليمين لأقصى اليسار ، من الجنة إلى النار من الخير الصميم إلى الشر المستطير .. كاد رأسى أن ينفجر ألماً وندماً ، حسرة وتشاؤما . لم تغمض عينى لأننى لم أكن أريد للصباح أن يجىء .. لكنه جاء ، وتم جمعنا ؛ ووسط كثير من التعليمات والأوامر التافهة تلقينا – بلا مناسبة سيلاً من الشتائم الاستفزازية والألفاظ النابية التى تفوق ما تلقيناه فى اليوم السابق خلال طابور الذنب الذى فرض علينا نتيجة لمزاح البعض وتخاطفهم طعام الغذاء الذى اشتروه من (الكانتين) ، وحاول بعضنا إقناع غيرهم بالصبر على أساس أن ذلك ربما كان جزءً من الاختبارات النفسية المقصودة ..

أيا كان الدافع .. وأيا كانت الأسباب فقد سمح لنا بعد السابعة أن نركن إلى الراحة ، وفى العنبر السابح فى الظلام تحسسنا طريقنا إلى أسرة حديدية على كل منها ما يفترض أن يكون مرتبة وهى عبارة عن كيس من القماش الكاكى السميك محشوا بأى شىء بخلاف القطن ، فمعلوماتى السابقة عن القطن أنه مادة لينة وليست صلبة ، أما الوسادة فمتروكة للاجتهاد ، قد تكون المخلة ، أو الإكتفاء بالحذاء الميرى وعليه منشفة أو ما إلى ذلك .. المهم فقد هوت أجسادنا على تلك الأشياء وبدأنا نتجاذب الحديث أنا وصديق قديم فوجئت به وقد تقدم هو الأخر للتجنيد وحين قصصت له سبب تقدمى للتجنيد ، انتابتنا معا

عاصفة من الضحك الهستيرى المتواصل حتى دمعت عيوننا ، وسمعنا صوتا خشنا متحفزا ينادى علينا اتخمد يا بنى آدم منك ليه ، وبطلوا ضحك قبل ما انكد عليكوا ، وعلى ..
وآثرنا ان (نتخمد) نأيا عن شرور ذلك الرجل ذو النزعة الإنتقامية ..

فى الخامسة من صباح آخر أيام العام ، أوقظنا ، فنفضنا غبار النوم وقمنا بتنظيف عنابر النوم والممرات بينها ، وحملنا أوعية الطهى وصرف الطعام الضخمة التى يطلق عليها (أروان) ومن المعروف أن ضباط الصف يطلقون على المكلفين بأعمال ما ، اسم (طُلْبه) منهم طلبة المطبخ ، وطلبة نظافة أرض الطابور أو الأدبخانات أى دورات المياه ، وطلبة استلام التعيين وغسيل الأروان وما إلى ذلك ..

ومضت بقية اليوم كسابقه ، حمدت الله كثيرا لأننى فى فصل الشتاء فملابسى – بما فيها الملابس الداخلية – تلتصق بجسدى لليوم الرابع مع كل الجهد والحركة اللذان يغطيان أيامنا ، دون استحمام لأن الحمامات الجماعية المفتوحة ، والماء المثلج تدفع الإنسان إلى نبذ عادة النظافة إلى أن يقضى الله أمرا ، وإذا أضفت إلى قذارة الأبدان ، بذاءة الألسنة ، وخشونة التعامل ، واللاآدمية فى طهى وصرف الطعام ، والفراش المزعج الذى يدفع النوم ولا يستدعيه لولا الجهد الجهيد الذى يغلق الجفون مهما كانت الظروف ، فإن الصورة تبدو غاية فى القتامة .

وبدأ العام 1963 يوم الثلاثاء ، الأول من يناير ، وبدأت معه فترة تجنيدى الرسمية وقد تعنى البداية منطلقا لشىء جديد ، تماما كما تصنع بداية العام يوما فى عمر جديد تنطلق من بعده الأيام بالحياة والأمل ، وقد تعنى البداية إعادة خلق لكائن موجود أو تحويل لمجرى حياة متواصلة .

اليوم كانت بداية تحمل هذه المعانى معا ، إضافة لصراع بين عاطفة وطنية ولدت مبكرا على صوت المدافع وأزير الطائرات فى العام 1956 وما يترتب عليها من رغبة فى الخدمة العسكرية ، تجسيدا للوطنية ، ودليلاً على الوفاء . وبين الحق المشروع فى بناء المستقبل للشخص الذى ينبغى نسيانه عند التحاقه بالخدمة العسكرية ..

قضيت حتى الآن ثلاثة أيام حسبتها ثلاثة شهور أو ثلاثة أعوام ، انفصلت خلالها عن كل حياة عرفتها ، وابتعدت عن كل لون استراحت له عيناى .. ثلاثة أيام فقدت فيها متابعتى لسير الأيام فلم أعد أذكر اسم يومى ، ولا فى أى شهر أنا ، انفصلت عن العالم المحيط كأنما أنا راهب بوذى ناسك فى هضبة التبت عند سقف العالم .. لا .. بل أشعر أننى فى قـاع العالـم ؛ ملبس قذر ، وجسد قذر ، وذقن غير حليق ومأكل تعافه كل نفس عرفت العفة .. بل تتقزز منه الكلاب الضالة . كل شىء مختلف عما اعتدت عليه فى حياتى التى سبقت ؛ المكان ، الوجوه ، المعاملة كل مفردات المعيشة ، مناخ يتطلب قدرات على الاحتمال قد لاتقدر عليها الجمال ، وطاقة على الصبر والحلم لم أسمع بها إلا فى قراءاتى عن الأنبياء والأولياء .

تساءلت عن قدرتى على احتمال مائة وثمانين ضعفا لما احتملته فى الأيام الثلاثة التى انقضت خلال عام ونصف العام انقضت منه ساعة واحدة ، لكن الضرورة بل الحتمية تفرض الاستسلام ، وتؤكد ضرورة التكيف مع الحياة الجديدة .

كان الصباح الجديد يؤذن ببدء عام جديد ، وفى الجديد أمل ، رغم كل شىء – أبلغونا فى ذلك الصباح أن المجندين من الحاصلين على الثانوية العامة وما فوقها ستجرى لهم بعض الاختبارات ومزيد من الفحوص الطبية قبل عرضهم على هيئة كلية الضباط الاحتياط للانضمام إليها لحاجة القوات المسلحة لأعداد إضافية من الضباط لمواجهة العمليات فى اليمن التى نجحت قواتها المسلحة بقيادة المشير عبد الله السلال فى القيام بثورة يوم السادس والعشرين من سبتمبر 1962 أى قبل ثلاثة شهور أطاحت فيها بالإمام الجديد محمد البدر الذى لاذ بالفرار ثم استعان بالمملكة العربية السعودية والمخابرات البريطانية والأمريكية الذين ألبوا بعض القبائل ضد الثورة فاستنجد الثوار بمصر ، وعلى الفور أرسلت مصر

وحدات من قواتها فى عملية أطلقت عليها الإسم الكودى : العملية 9000 حيث يُلقى الانضمام الى هذه الكلية والتخرج منها ضابطا كثيراً من التبعات ليس أقلها التدريبات المكثفة المرهقة والانضباط المبالغ فيه ، والتواجد خلف الأسوار العسكرية لأوقات أطول ، كما أن الضابط الإحتياط عرضة للاستبقاء بعد انتهاء خدمته لفترات أطول ، ولكن – وفى المقابل – فإن المعاملة ستكون عسكرية بحتة ربما خشنة وربما جافة لكنها – وبالتأكيد خالية من تلك البذاءة المفرطة وسلاطة اللسان المهينـة والألفاظ التى تنفـر منها المسامع وتشمئز النفوس ، كما أن إنسانا مثلى يعانى من الوسوسة فى كل ما يتعلق بالنظافة وخاصة الطعام الى حد الامتناع عن تناول أى طعام لا أثق فى نظافته ولا يروق لى ظاهريا حتى لو تعرضت للهلاك جوعا ، سيحظى بوجبات أكثر نظافة وأفضل إعدادا ، وأليق تقديما إذا التحق بكلية عسكرية وهذه نقطة تفصيلية حاسمة ..

وإذا أضفت أن المجتمع فى هذه الفترة كان يكبر ضابط الجيش ويحترمه بدرجة عالية ، ربما لطول الرهبة من ضباط الاحتلال الذى رحل منذ ست سنوات فقط ، وربما تقديرا لدور الضباط الأحرار الذين قادوا الثورة منذ عشرة أعوام فحرروا مصر وأنقذوها من الانهيار ، وربما للتميز الذى تسبغه الملابس العسكرية على العكس من الملابس المدنية التى لا تشير إلى عمل صاحبها ، فقد يكون طبيبا أو مهندسا ، كما يمكن أن يكون سباكا أو خبازا أو حتى عاطلا أو محتالا ، وإذا كانت الفتيات يعشقن النجوم اللامعة على الكتف فهن محقات لأنها تذكر بمهمة صاحبها الأزلية وهى الدفاع عن الوطن بالحرب والقتال فيتعرض للإصابة أو الاستشهاد دون أن يفت ذلك من عزيمته على الفداء وبذل الروح من أجل المثل والمبادىء . أليست هذه قمة صفات الرجولة والشجاعة ؟ وماذا تعشق الأنثى فى الرجل اكثر من هاتين الصفتين ؟

فى الصباح التالى ، بدأت الإجراءات ؛ عرضنا على الأطباء للكشف الطبى من جديد وهوكشف أدق وأعقد مما اجتزناه من قبل ؛ تسطح القدمين FLAT FOOT ، تقوس الساقين ، دوالى الخصيتين ، الطول ، عرض الصدر – قوة الإبصار (الرؤية – قاع العين – وعمى الألوان) ، أسنان ، أنف وأذن وحنجرة ، باطنى . انتهى الكشف وعلمنا ان نسبة من اجتازوا الاختبارات أقل من خمسة وسبعين فى المائة ممن قدموا لها .

انتظرنا النتيجة وبالتالى ، الخطوة التالية ، وفى الثانية ظهرا جمعنا قائد المعسكر وأبلغنا اننا سنحصل على تصاريح للخروج لإخطار ذوينا بأننا سنغادر الإسكندرية فى اليوم التالى ، ولكى نستعد لهذا الرحيل على أن نتواجد فى المعسكر فى السابعة من الصباح التالى . تأكدت من أننى ضمن المقبولين للترحيل إلى كلية الضباط الاحتياط ، لأنه ـ وفجأة ـ تحسنت معاملة ضباط الصف لنا وتغيرت النبرة .. لقد كان اختيارى اذن صحيحا .

فى صباح الخميس الثالث من يناير أحسسنا بتخلخل القبضة الإنضباطية ، لم نعد على قوة الفصائل التى كنا نتبعها ، ليس لنا مكان محدد نتواجد فيه ، وليس لنا حق فى الطعام المنصرف للآخرين (تم رفتنا من التعيين) والأهم لم يعد هناك من يلعن سنسفيل الجدود ، ظللنا نتنقل فى حرية ، نمزح ونضحك ، بل إن بعض ضباط الصف تنازلوا عن صلفهم وصرامتهم وأخذوا يمزحون معنا : روحوا يا حضرات الضباط – تعالوا يا حضرات الضباط .. وكان زملاؤنا من الجنود المؤهلات الذين لم يرشحوا للكلية يتعرضون للتأنيب والتوبيخ إذا اقتربوا منا أو وقفوا معنا للحظات .

مضى اليوم فى استكمال النماذج التى سترافقنا وتصويرنا فى الملابس العسكرية وما إلى ذلك من الإجراءات الإدارية ، ثم انتظرنا فى صالة المسرح بالمعسكر فى مشاهدة بعض البرامج التليفزيونية حتى كانت العاشرة والنصف مساء حيث انتقلنا الى قسم السجلات ليتعرف كل منا على صوره التى تم تحميضها وطبعها على عجل وتم إلصاقها على النماذج وركبنا اللوريات التى أقلتنا إلى محطة سيدى جابر ووصل القطار حيث غادرنا فيه الإسكندرية قبل منتصف الليل ووصلنا إلى القاهرة مع شروق

شمس الجمعة ، جلسنا على مقهى فى ميدان باب الحديد حتى وصلت عربات اللورى التى تقلنا إلى إدارة التجنيد بحلمية الزيتون حيث حصلنا على تصاريح يومية لنرى الأهل ، ونأكل ما اعتدنا عليه من الطعام وننام متى شئنا فى فراش قدرناه حق قدره ، ونغتسل تحت الدش بالماء الساخن ، نتسامر مع أهلنا ، ونتجاذب الحديث مع الأحبة والأصدقاء .. إنه فاصل مطلوب بين حياتين ، رغم أنه لم يمض على توديع هذه الحياة سوى أسبوع واحد ، لكننا اشتقنا إليها كثيرا ، وأحسسنا بافتقادها ، وربما للأبد ، كلنا استرجعنا بيتا من شعر عمر الخيام :

واغنم مـن الحـاضر لذاتـه
فليس فـى طبع الليالى الأمـان

استمرت هذه الحياة أربعة أيام .. وفى يوم الثلاثاء الثامن من يناير حضر اللواء صلاح الدين فرحات صبحى مدير كلية ضباط الاحتياط إلى معسكر الانتقال وأجرى المقابلة الشخصية للمرشحين للالتحاق بالكلية فاختار ثلاثمائة وتسعين منهم وهبطت بذلك نسبة المقبولين إلى النصف بعد تصفيات الكشف الطبى وكشف الهيئة ..

وفى اليوم التالى تم ترحيل مائة وخمسين منا بينما رحل الباقون – وأنا منهم – صباح الخميس 10/ 1 فى قطار الإسماعيلية ، ثم قطار آخر إلى قمة فايد ونقلتنا سيارات الكلية إلى مقرها ، لتبدأ على الفور مرحلة انتقالية خطيرة فى حياتى .. وحياة مصر .

فى مصنع الرجال

كنت أفهم معنى كلمة مصنع على أنه مكان تتجمع فيه آلات ومعدات ، خامات ومواد مساعدة ، يقوم رجال على تحويلها إلى منتجات قابلة للتوزيع بأثمان تحقق فوائض مالية مقابل القيمة المضافة .. وحين أطلقت عبارة "مصنع الرجال " على الكليات والمعاهد العسكرية اعتقدت أنه تعبير مجازى ولكننى لحظة أن وطأت قدماى أرض كلية الضباط الاحتياط فهمت أن التسمية حقيقة فلقد رأيتها مكانا فيه من المعدات والأدوات ، وفيه من الرجال القائمين على التحويل ، وفيه المادة الخام التى هى نحن ؛ شباب مدنيون مائة فى المائة يتم إخضاعنا لضغط تعليمى وتدريبى مقداره ألف طن على البوصة المربعة لتحويلنا ، لا لمجرد عسكريين ، وإنما إلى ضباط يعلمون العسكرية ويصبحون نماذج يقتاد بها الجنود أو المدنيون المجندون حتى يصبحوا جنودا ..

رأيت ضباطا منتقين على كفاءةعالية وأخلاق حميدة ، وعسكرية فولاذية ، وضباط صف معلمين متمكنين لا هوادة فى طباعهم يبدون غلاظا قساة يجنبون الرحمة فى تعاملاتهم معنا ، لكن ألسنتهم مكبلة لا يفلت منها لفظ يتضمن إساءة أو إهانة وإن امتلأ خشونة ، هؤلاء وهؤلاء يمثلون إدارة المصنع وعماله ، وفى المصنع معدات متعددة للتدريب على الرماية وفى مواد التكتيك والطبوغرافيا وهندسة الميدان وغيرها ..

وكانت الساعات الأولى مفرطة فى قسوتها المقصودة فكانت كافية لتلقينا الرسالة الأولى ، فالطاعة هنا عمياء بمعنى أنها مفروضة فى كل الأحوال دون السماح لمتلقى الأمر بالتمييز بين المعقول واللامعقول ، أو الممكن وغير الممكن ، فالأمر – أيا كان – واجب النفاذ حتى لو كان من عينة الأوامر التى اعتادتها أسماعنا خلال فترة المستجدين مثل : "إنزل الوحل وأطلع نظيف" أو " عفريت يشيلك ويحطك فى ..." أو "رجلك تقابل الأرض بشدة ، عايز رجلك تطلع ميه" أو أعطاءك ملعقة شاى "ترش" بها أرض الطابور بنقل الماء من صنبور يبعد مئات الأمتار .. وغير ذلك من الأوامر غير المعقولة ..

رأينا ذلك سخيفا فى حينه ، لكننى أدركت مغزاه فيما بعد ، فنحن نتلقى أمرا – خلال العمليات الحربية – بالتحرك إلى التهلكة أى القيام بعملية شبه انتحارية ، أو الاشتباك مع عدو يفوق قوتنا أضعافا

فى العدد والعدة ، أو العمل خلف خطوط العدو وما إلى ذلك ، مما يدفع إلى عصيان تنفيذه أو مناقشة معقوليته أو بالأقل التردد فى التنفيذ ما لم يكن الإنسان قد تدرب على الطاعة التلقائية دون وعى أو تقييم للنتائج المترتبة على التنفيذ ، لأن قيادات أعلى لديها من المعلومات والخطط والقدرة على الدعم والمعاونة فى الوقت المناسب قد رأت ودرست وحسبت للأمر حسابه قبل إصدار الأمر ، وبكل تأكيد فإن لحظة من التردد أو التأخير قد تعنى النجاح او الفشل فى المهمة ، قد تحقق النصر أو الهزيمة فى معركة .

الحياة العسكرية ، حياة جديدة تماما ، بدت فى يومها الأول مفرطة فى قسوتها ، كانت فى العيون نظرة بائسة منكسرة ، ودمعة متحجرة ، وعلى الوجوه بدت ملامح الأسى والحسرة ، البرنامج اليومى مزدحم بشكل صعب معه تخيل أن اليوم هنا أربعة وعشرون ساعة فقط ، بعد الصحيان ؛ الحمام وحلاقة الذقن واستبدال ملابس النوم بملابس التدريب فى الطابور الأول (بيادة أو رياضة) ، وترتيب السرير . وهى فى حد ذاتها عملية غاية فى التعقيد ولها إجراءات نمطية عديدة ، وترتيب دولاب المهمات ونظافة العنبر وحوله وحتى طابور التمام ، كل ذلك مقرر له خمسة عشر دقيقة أما باقى اليوم فيعج بالحركة على نفس المنوال ؛ طوابير التدريب والمحاضرات ، فرق النور فى المساء وهى قاعات الاستذكار ، طوابير الميس فتناول الطعام له طقوسه ؛ الذهاب فى طابور إلى أمام الميس حيث يكون (التمام) ثم دخول الميس بالسرايا والفصائل ، ثم الجلوس إلى موائد الطعام دون تناوله حتى يؤذن بذلك ، وخروج من انتهى من تناول الطعام بإذن أيضا .

كانت هذه الصورة هى هم وهاجس كل الطلبة ، ولكن هموما إضافية كانت تخصنى ؛ كان ضياع الحلم بالانطلاق إلى أمريكا مازال يؤرقنى ، وكان همى الثانى هو امتحانات الترم الأول فى الجامعة على بعد أيام وعلمى أن أجازة من كلية الضباط الاحتياط خلال فترة المستجدين هى معجزة فى زمن خلا من وقوع المعجزات ..

لكن رحمة الله تمثلت فى الانشغال والجهد فى كل لحظة والتى لا تسمح لأحد بأن ينشغل فى أمر خاص مثل المصالح والأشواق والعواطف ..

ولأننا كنا نكلف كل ساعة بعمل المستحيل ، ومن عجب ، أننا كنا نؤديه ، فلقد دفعنى ذلك للمحاولة ، ولم لا ؟ طلبت العرض على أركان حرب كتيبة الطلبة ، وعرضت عليه المأزق الذى أتعرض له ، فعرضنى على قائد الكتيبة الذى سألنى ضمن ما سألنى عن السنة الدراسية التى سأؤدى امتحانها ، وأجبته أنها الثالثة قال :

- لو كنت فى أولى أو ثانية ، كنت حارفض التصريح لك بإجازة خلال فترة المستجدين بل كنت أعطيك شهادة للإعتذار ، أما وأنك فى السنة قبل الأخيرة فأنا موافق على منحك أجازة ثمانية أيام تبدأ اليوم وتنتهى يوم 24 يناير ..

تحقق المستحيل ، تمت المعجزة ، وانطلقت إلى العنبر أستبدل ملابس التدريب بملابسى المدنية ، ثم أنطلق إلى الأتوبيس الذى نقلنى إلى الاسماعيلية ، ولم تمهلنى أعصابى ولا لهيب شوقى لكى انتظر حتى يحل موعد القطار ، فوضعت نفسى فى سيارة تاكسى نقلتنى الى القاهرة .. القاهرة ؛ الأهل والأحباب .. الانطلاق والأضـواء .. الجـامعة وإنقاذ ما يمكن إنقاذه من المستقبل .

تلقيت قبلات كل من فى البيت وتعبيراتهم عن السعادة والسرور بهذه الإجازة المفاجئة ، ثم كان حمام ممتع فله باب يغلق وفيه دش ينزل منه ماء ساخن ، وطوع يدى منشفة نظيفة وغيار داخلى جديد ، وبيجاما على مقاسى .. ثم كان عشاء متعدد الأصناف فى أطباق جميلة تفوح منه روائح طيبة ، وله مذاق محبب .. وبعده بقليل وقت كاف للنوم الهادىء فى فراش وثير مستوٍ تحت أغطية صوفية ناعمة .

فى الصباح استذكرت مادة المالية العامة حتى الظهيرة ثم تناولت وجبة خفيفة قبل أن أتوجه إلى الكلية لأداء الامتحان مرتديا حلة سوداء اللون أثارت ضحكات زملائى لتناقضها مع رأسى "الزلبطة

اللميع" ومع مرور الساعات الثلاثة المحددة للامتحان شعرت – ويا للعجب – بأمل كبير فى النجاح فى هذه المادة والتقى بى الزملاء (والزميلات) يسألوننى عن الحياة الجديدة وأجبت فى اختصار حفاظا على السرية ..
تتابع مرور الأيام وأديت باقى مواد الامتحان : التأمين والمشتريات والقانون ومرقت الأجازة ورأيتنى أودع الجميع وأمضى فى رحلة عكسية فى كل شىء ؛ فالطريق هذه المرة إلى قمة فايد ، وليس إلى القاهرة ، واستعجال اللحظات انقلب إلى مناشدتها التؤدة والتمهل ، والوصول خلا من القبلات أو الترحيب فقد وصلت فى الحادية عشرة مساء والعنابر تغرق فى الظلام ، والجميع نيام لكى أنام أنا الآخر وأصحو فى صباح الخميس ويبلغنى زملائى أن نهاية واجبات الخميس ستكون فى الثانية ظهرا ، وأن الجمعة بكامله خصص للراحة والأعمال الإدارية والنظافة الشخصية ، فأحسست سعادة غامرة ، حيث تمر نصف فترة المستجدين بكل قسوتها ، وعن النصف الثانى فالله المستعان لأنها تبدأ مع شهر رمضان المبارك الذى يفرض تسهيلات كثيرة وتخفيف لكثير من الأحمال .. حقا إن الله لطيف بعباده ! لم يكن العدس بالحصى بالتبادل مع الفاصوليا مجرد هاجس يؤرقنى ، ولا كان صيغة مبالغة ممن سبقونى بالخدمة فى الجيش ، وإنما رأى العين فى أيام العزل لا أعادها الله ولما كنت بطبعى أيضاً أفتش فى طعامى قبل ان أنقله إلى فمى ، ويستحيل علىَّ تناول مالا تقبله نفسى من الطعام حتى لو كان الهلاك هو النتيجة الحتمية ، فلقد كان موضوع الطعام هو من أهم – بل أهم – ما ينفرنى من الخدمة العسكرية - لكن الطعام فى الكلية كان مختلفا ، فنوعية الوجبات وكمها والإشراف الدقيق على إعدادها ، وشكل التقديم على موائد آدمية تستوعب كل منها ثمانية طلبة يوزعون الطعام بأدوات نظيفة أو معقمة فى أطباق أو صوانٍ مقسمة ، ولكل طالب أدوات للطعام : ملعقة وشوكة وسكينة وكوب يصب فيه الماء من دورق نظيف والشاى السادة أو بالحليب والفاكهة المنتقاة هى تعيين يومى أما الخبز فهو أروع ما فى الطعام حيث كنت حين لا يعجبنى الصنف المقدم ، آخذ الرغيف والفاكهة وأنتقل إلى الكانتين حيث أفتح احدى المعلبات مثل البولوبيف أو السالمون أو السردين ، لذلك فقد كفانى الله القتال فى مسألة الطعام .
أما النوم فساعاته مقدسة ؛ نوبة نوم فينام الجميع فى نفس اللحظة ولا يسمح لأحد أن يظل يقظا إلا الخدمات ، ثم نوبة صحيان فيصحو الجميع معاً ، وكان ذلك حقنا نقتضيه كاملا لكى نؤدى واجبنا كاملا ، فالتدريب والدراسة يشغلان ثمانين فى المائة من الفاصل بين نوبتى الصحيان والنوم ؛ الجهد مركز ولا مكان للتسيب أو التسرب .
كان العمل فى رمضانٍ مخففا : ستة طوابير تنتهى فى الثانية ظهرا تتلوها استراحة حتى طابور التمام فى الخامسة إلا ربعاً وبانتهائه يبدأ طابور الميس حيث تناول الإفطار الذى ينتهى قبل السادسة بقليل لنستريح ساعة ثم ننتقل إلى فرق النور لمراجعة ما حصلناه خلال اليوم حتى التاسعة والنصف ثم نعود للعنابر لارتداء ملابس النوم ثم الجلوس فى منتصف الأسرة استعدادا لسقوط رءوسنا على الوسائد مع نوبة النوم .
نصحو من جديد فى الثانية صباحا حيث طابور السحور ، ولو كان الأمر بيدنا لما تناولناه فدرجة البرودة تعز عن الوصف ، كنا نرتعد أثناء وقوفنا فى الطابور أمام الميس للتمام رغم التسهيلات الرائعة المتمثلة فى السماح لنا بحضور الطابور بالبيجاما وفوقها الكبود أى البالطو الصوف الكاكى . نعود إلى النوم فى الثالثة والنصف فجرا لكى نبدأ يومنا الجديد فى السابعة والنصف ، ونبدأ الطابور الأول فى التاسعة .
يوم الثلاثاء التاسع والعشرين من يناير (الرابع من رمضان) وأثناء وجودنا (فى الجبل) فى طابور للتكتيك العملى كنت بادى النشاط موفقا فى الأداء حتى الدقيقة الأخيرة حيث أصاب السونكى سبابة يدى اليسرى وحين تجمعنا فى طابور العودة أحسست بالأرض تميد بى ، خارت قوتى ودارت الأرض فناديت عريف الجماعة الذى أسرع بسحب السلاح منى ، وقبل أن أسقط على الأرض ، سندنى زميلان حتى

دخلنا العنبر فارتميت على سريرى حيث أغمى على ونقلت إلى العيادة فتم حقنى بالتيتنوس ومهدىء نمت على أثرهما ساعة أفقت بعدها وعدت إلى حيث كان زملائى لأستكمل عمل اليوم وكأن شيئا لم يكن .

الأتعس من ذلك اليوم كان ختام يناير حيث تقاضينا المرتب عن شهر وخمسة أيام مبلغ مائة واثنين وسبعين قرشا ونصف ولنتسلم هذا المبلغ انتظمنا فى طابور على مدى ساعتين انتهتا بطابور ذنب من أقسى ما وقع علينا من جزاءات نتيجة لما بدر منا من (تهريج) خلال طابور صرف المرتبات .. وفى نفس اللحظات رأينا طلبة الدفعة الحادية عشر (السابقة لنا) فى ملابس الفسحة يركبون أتوبيسات تنقلهم إلى القاهرة .. القاهرة ؟! متى نركب إلى جوارهم ؟!

ومضى فبراير – ومعه رمضان – بما مضى به يناير ؛ جهد مكثف فى تدريبات شاقة وتحصيل مركز ، كان كل ذلك قاسيا مرهقا لكنه لم يخل من نعمة الإنشغال عن كل ما يحمل لونا خلاف الكاكى .

أذكر واقعة طريفة رغم استهجاننا لعواقبها يوم وقعت : فأثناء نومنا هجرت أحدنا حبيبته فأخذ يناديها باسمها فى منامه بصوت مسموع ، وسمعه رقيب الفصيلة فكدرنا فى اليوم التالى بالوقوف ساعة فى (داخلية) بحجة أن فترة المستجدين كادت تنقضى ومازال بعضنا يحلم بأحلام (ملكى)..ياالله !

اقترب العيد ومعه ستكون لنا أجازة لحلوله وانتهاء فترة المستجدين .. وقضينا معظم الوقت فى الأسبوع الأخير فى إجراءات إدارية مثل تسليم بدلة (الفسحة) إلى الترزى لـ (تقييفها) أى إصلاحها وضبطها على المقاس ، تسلم الكاب والاسبولايتات أى حاملات الرتب والجورب الأسود ، والقميص ورباط العنق .. حلاقة الشعر قانونا أى سنتيمترين من أعلى وبالماكينة رقم 3 من الأجناب ، وكان تلميع الحذاء وكى البدلة وتلميع وتثبيت أزرارها . إلى جانب كل هذه البوارق للأمل كانت التعليمات المشددة لإحكـام انضباطنا خـلال الإجازة ؛ إفعل .. ولا تفعل ؛ حافظ على كبريائك فى كل تعاملاتك مع المدنيين ، وأد التحية للرتب العسكرية ، لا تحمل طفلا رضيعا ولا سلة خضار أو فاكهة ولا تركب فى الدرجات المتدنية من المواصلات ... و ..

وفى اليوم المشهود ؛ الخميس 27 رمضان 1382 هـ الموافق 21 فبراير 1963 قمنا فى السادسة والنصف صباحا أى قبل موعد الصحيان اليومى بساعة وبدأ الطابـور الأول فى الثامنة فمر مرورا هينا لدماثة الضابط المعلم ، أما الطابورين التاليين فكانا من أسوأ ساعات عمرنا حيث استدعى الضـابط المـعلم إلـى ذمـنـى بـيـتـيـن مـن الـشـعـر لـلـشـاعـر عـلـى الجارم يقول فيها :

تـبًّا لــه مـن ثـقيل   دما ، وروحا ، وطينة
لو كان من قوم نوح   لما ركبت معه السفينة

بعدهما عدونا إلى العنابر نستبدل ملابس التدريب بملابس الفسحة ؛ ما أجملها وما أروع اسمها ورمزها ، وأمام مكتب قائد السرية تسلمنا تصاريح الإجازة وما هى إلا ساعة تلقينا خلالها مزيدا من التعليمات والارشادات حتى تم توزيعنا على الأتوبيسات التى تنقلنا إلى دنيا جديدة ، وظللنا ندفع الدقائق المتثاقلة حتى تمر .. تحركت الأتوبيسات وأحسسنا – رغم سرعتها – أنها شبه متوقفة فانطلقنا نسبقها بخيالنا ، والغريب وسط هذه الحالة من السعادة الجماعية أن يكدرها تخيل بعضنا لانقضاء الأجازة وما يكون عليه حالنا فى رحلة العودة .

قضينا أجازة سعيدة تخللها عيد الفطر وتجمعات الأهل والأحبة ، انقضت بطبيعة الحال بسرعة مذهلة ، ووجدنا أنفسنا مع الأول من مارس نستأنف ما انقطع من تدريبات ومحاضرات وحياة مركزة ليس فيها وقت هالك ، كل لحظة عليها التزامات كان شهر مارس شهرا كاملا بخلاف شهر يناير الذى تزامن مع شهر رمضان ببركاته وتخفيفاته كما حظيت بأجازة لثمانية ايام كاملة أو فبراير ذوالثمانية والعشرين يوما الذى تمتعنا فيه باجازة لثمانية ايام أخرى وكان احساسى بشظف العيش متصلا – ومع اجتماع صفات ثلاثة :

جسدى النحيل وطعامى القليل ، وراحتى المفتقدة ، أمضيت أياما لا أعادها الله .

وأقبل أبريل ، وما أروع ما كان أبريل خلافا لما كانت كل التوقعات :
أعلنت الكلية على طلبتها أنها ستقيم معرضا للتوجيه المعنوى والثقافة العسكرية والأمن الحربى وهندسة الميدان وطلبت ممن لديه الهواية والقدرة على المساهمة أن يقدم اسمه ونوع مساهمته إلى أركانحرب كتيبة الطلبة . تقدمت وشاركت بلوحة زيتية على الأبلكاج تمثل المقاومة فى بورسعيد وتجمع عناصر من الشعب والجيش والبوليس لاقت إعجاب كل من رآها وخاصة مدير الكلية الذى أعجب أيضا باسكتش لصورة موشى ديان .. وطلب منى ان أرسم صورة سيادته ..

قبل تلك الفرصة كانت علاقاتى لا تتجاوز الرقيب ، وإذا بى فجأة أتكلم مع لواء مدير كلية عسكرية دون وسطاء ..

وكما أن المصائب لا تأتى فرادى ، فإن النعم تتوالى أيضا ، ففى إطار الإعداد لحفل تخريج الدفعة السابقة علينا اشتركت فى فريق التمثيل ، وألفت وأديت اسكتشا غنائيا عن ضباط الصف والضباط المعلمين لاقى إعجابا لا نظير له .. والثالثة أننى اشتركت فى فريق الثقافة العسكرية ، ونلنا تقدير لجنة التفتيش الموفدة من هيئة تدريب الجيش للتفتيش على كافة الأنشطة بالكلية ..

على مدى ثلاثة أسابيع كنت متفرغا أو أكاد لأنشطة فنية كنت الأبرز فيها وأذكر أننى حين أكملت رسم صورة مدير الكلية مرتديا الملابس العسكرية برتبة الملازم أول ودخلت مكتبه لتقديمها اليه ، رفع حاجبه وعلق بلهجة نصف تركية : جميل يا ولد .. دا إنت فنان . ثم استدرك بسرعة : لكن ليه بالفحم مش بالألوان ؟ قلت الفحم قيمة وخاصة لصورة قديمة قد يعبر عنها الأبيض والأسود .. قال : دا انت فيلسوف كمان لكن المثل بيقول : لو حبيبك عسل ... وفرحت بمعرفتى لتكملة المثل فاندفعت قائلا : ما تلحسوش كله . ردَّ قائلا : لأ تلحسه قبل ما حد تانى يلحسه .. أنا عايز نفس الصورة بالألوان ، قلت : حاضر يا افندم خلال أسبوعين أقدمها لسيادتكم .. وامتد عمر السعادة ، وارتفع مستوى التعامل معى إلى مقام الضباط .

تخلصت من أسوأ ما فى العسكرية وهو مضايقة ضباط الصف المعلمين فى الكليات العسكرية والذين أشهد لهم بالكفاءة والانضباط وأقدر مشاعرهم حيث يتسلموننا مدنيين فيقومون بحقننا بالعسكرية ، ويروننا وقد أصبحنا ضباطا وهم بنفس درجاتهم ويتسلمون دفعة جديدة من المدنيين ليصبحوا ضباطا .. وهكذا أعتقد أنها مشاعر قاسية على صناع الضباط حين يثبتون على درجات ضباط الصف .

أقبل مايو ، وفى كل شهر كان لى عامل مخفف للألم .. نعم كانت ترتيبات القدر معى غاية فى السخاء ، فالله يعلم أننى بتكوينى الطبيعى وإمكانياتى الخلقية لم أكن لأحتمل الجهد المركز المتواصل ولا درجات الحرارة العالية وأشعة الشمس المباشرة ولا المواقف المحرجة أو شديدة القسوة ذلك أن مرض الصدفية اللعين لازمنى منذ سنوات الصبا ، وكنت أتحايل على قسوته بتجنب مثيراته .. أما فى فترة الخدمة العسكرية فلم تكن لى هذه القدرة إلا بترتيبات القدر وحسن استفادتى من عطاياه .. فى مايو كان من المفترض حصولنا على اجازة لمدة اسبوع بمناسبة عيد الأضحى ، ومكافأة للجميع بسبب تفوق فريق التمثيل فى عرضه بمناسبة تخريج الدفعة الأسبق فقد أصبحت الأجازة عشرة ايام ..

مضت أيام الإجازة فى سعادة غامرة الى أن وصلتنى فى ثالث ايام العيد برقية استدعاء . قطعت الإجازة وعدت ، ، يصحبنى غضب عظيم فعلمت ان استدعاءنا جاء للتدريب على اصطفاف حرس الشرف فى استقبال الدفعة الأولى من الأبطال العائدين من اليمن .. عشرة طوابير فى اليوم وتعليمات .. وتحذيرات * ...

---

* تجنبت التفاصيل تلافيا للتكرار حيث وردت كل الوقائع فى كتابى : لقاءات مع جمال عبد الناصر ص 93 حتى ص 98 .

انتهت المهمة بنجاح تام وصرح لنا بإجازة ثمانية وأربعين ساعة عدنا بعدها لنجد زملاءنا يقظين بعد منتصف الليل حيث علمنا منهم أنه أصبح مسموحا لنا بالسهر للاستذكار لاقتراب موعد الامتحانات ، التى بدأت يوم الأثنين . العشرين من مايو فى مادة هندسة الميدان (العملى) ثم بدأت الامتحانات التحريرية فى اليوم التالى بمادة التكتيك و توالت الامتحانات .

فى مدرسة المشاة

وشهد يونيو انتقالنا إلى مدارس الأسلحة وهى المدارس التخصصية المحددة للسلاح الذى سيخدم فيه كل منا ويحدد التوزيع عليها المؤهل الدراسى ، وكان توزيعى إلى مدرسة المشاه مما يعنى أننى سأصبح ضابط مشاه .

لم نكن فى أى من أجنحة المدرسة شيئا محددا ، فلم نكن ضباطا بعد ، ولسنا هنا طلبـة مثل وضعنا فى الكليـة ، كما لم نكن جنودا أو صف ضباط لكننا عوملنا معاملة ضباط الصف (رقباء) فنزلنا فى جناح ضباط الصف ، درسنا التكتيك وكافة الأسلحة التى يستخدمها المشاه أو تلحق عليهم .. كانت فترة سمجة ضايقتنا فيها الإدارة وهيئة التدريس والتعليم وضايقناهم .

وخلال يوليو تم تكثيف برامج التدريب حتى انتصف الأسبوع الثالث فانتقلنا إلى مدرسة المظلات فى معسكر الكلية للتدريب على طوابير العرض فى عيد الثورة يوم 23 يوليو . وتم تقسيمنا الى سريتى استعراض وكان موقعى دليل السرية الأولى وقد أرضانى ذلك كثيرا فأنا على حد تعبير أركان حرب الكلية : واجهة الكلية ، ومع ارتفاع روحنا المعنوية لشعورنا بالمشاركة فى عمل قومى مشرف نتحمل برضا الطوابير المكثفة والمتكررة وخاصة أن البند المزعج لى فى خدمة القوات المسلحة وهو الطعام ، كان أكثر من رائع فقد صرف لنا طعام فئة جنود المظلات وهو من الجودة والكثرة ما يزيد كثيرا عن حاجة أكثرنا نهما للطعام وتذوقا له .

استمر التدريب وأنا دليل الكلية حتى ظهيرة الجمعة التاسع عشر من يوليو حين استدعانى النقيب فاروق المتبولى وأبلغنى بضمى إلى الاحتياطيين ، وتضايقت كثيرا ، وتساءلت ؛ هل قصرت فى شىء او أخطأت فى التدريب .. وبعد ساعة طلبنى النقيب وسلمنى تصريحا باجازة ثلاثة ايام لإنهاء أعمال ليس هنا مجال تفصيلها .. وعدنا إلى جناح التكتيك يوم الأحد 28 يوليو وفى اليوم التالى كانت مفاجأة سارة فى حياتى المدنية وهى نجاحى فى ثلاثة مواد من الأربعة التى أديت امتحاناتها خلال فترة المستجدين ..

أما أغسطس فكله طوابير ؛ طوابير فى النهار وطوابير ليلية ، وطوابير زيادة . عفريت اسمه الطوابير ، وخدمات ليلية ، رماية واستذكار .. كل شىء فى كل وقت ، لقد وصل عدد الطوابير إلى عشرة طوابير موزعة على اليوم من الثامنة صباحا حتى التاسعة والنصف مساء تبدأ بطابور التربية البدنية الذى يتكون من الجرى مسافة كيلو متر ثم أداء المجموعة التكوينية (12 تمرين) عشرة دفعات ، ثم طوابير فى الجبل مع شمس أغسطس الممتعة . لذلك أطلقنا على المدرسة اسم جهنم حيث نغادر جهنم ونعود الى جهنم ، هذا ما لم نكن (محبوسين) فى جهنم لأتفه الأسباب ..

عودة إلى الكلية للتخرج

وجاء سبتمبر وغادرنا جهنم فى منتصفه عائدين إلى الجنة التى ظلمناها ، إلى كليتنا حيث طوابير التدريب على حفل التخرج ، وبعد طابورين منها تم اختيار أطول الطلبة لكى يتم تدريبهم كحملة الأعلام ثم اختيار الأفضل أداء منهم وتم اختيارى وتدربت ثلاثة أيام وحين ضاع صوت مساعد الدفعة من كثرة النداءات فقد تم اختيارى للتدريب على نفس المهام كاحتياطى له فى حالة استمرار احتباس صوته حتى يوم الحفل ، وقبل الحفل بثلاثة ايام انطلق صوته جهوريا واستبعدت من التدريب وحضور طابور التخرج من أساسه وذلك لتكليفى بأعمال فنية لم يعد فى الوقت بقية لإنجازها – ومن جديد خصصت لى غرفة تطل على أرض الطابور فيها سرير وكرسيان وإضاءة جيدة داخلها وخارجها ، وأصبحت خارج نطاق

التعذيب الذى تابعته بعين المشاهد مع تناول البسكويت والجاتوه مع الشاى ومعه الأكواب الكريستال وفيها المياه المثلجة .. وانتهى حفل التخرج وأصبحنا ضباطا فى منتصف سبتمبر .

الجهاد الأكبر

انتهى الجهاد الأصغر. تدربنا . تم اعدادنا جيدا. تخرجنا ، وأصبحنا ضباطا – والحقيقة أن الضابط ليس هو من تخرج من كلية عسكرية ، ولو كانت ساندهرست(1) ، ولكن الضابط هو من اختبر أداؤه فى قيادة الجنود وعلم أن ممارسة السلطة هى آخر بنود كفاءة القيادة ، وأن قوة الشخصية تتمثل فى الحكمة الخالدة : قوة بغير عنف ، ولين بدون ضـعف ، وإدارة العلاقات الإنسانية ما بينه وبين قادته ، وما بينه وبين مقوديه .

---

(1) الأكاديمية العسكرية الملكية فى بريطانيا SANDHURST

تخرجت برتبة ملازم مجند ، وأصبحت قائدا لفصيلة يزيد عدد أفرادها عن الثلاثين منهم مدير أو رئيس عمل ، ومنهم عامل نظافة . منهم الفلاح أو العامل

ومنهم من لا عمل له . منهم المهذب ومنهم البلطجى ، ومنهم الواعظ ومنهم القواد ، وعلى أن أخاطبهم جميعا بلغة يفهمونها جميعا بنفس المعنى ، بمقتضاها يطيع الطيب حياءً والتزاما ، ويمتثل الشرير رهبة وتوجساً ، وانضممت إلى أحد تشكيلات المشاه فى ألماظة . فى البداية ؛ أحسست رهبة من الاندماج فى ضباط الكتيبة ، وكلهم – عدا ضابط واحد من دفعتى وأحدث منى – أقدم منى ، لكن الأيام كفيلة دائما بتبديد المشاعر الطارئة مادامت بواعثها قابلة للتبدل ، فنصف ضباط الكتيبة من الملازمين (ملازم أول أو ملازم) أى من نفس رتبتى وفى مثل سنى لأن كل قادة فصائل المشاه ومدافع الماكينة (م/ م) والمضادة للدبابات (م/ د) وضباط الحملة والشئون الادارية كلهم ملازمون .

انضممت إلى السرية الأولى مشاة ؛ كان قائدها جباراً بمعنى الكلمة ، مخيفا أكثر من الأشكيف ؛ العفريت المخيف فى روايات ألف ليلة وليلة . كان أبيضا كالثلج ، شعره كثيف ؛ فى رأسه وفى جسده . كان حين يحلق ذقنه ، يقص شعر صدره عند منتصف رقبته . كان صوته أجشا وسلوكه صاخبا أينما حل . لم يكن يعمل حسابا لأحد ، حتى رئيس العمليات وحتى قائد الكتيبة كان رأيه هو القرار ، إنتزع سلطة تفوق كثيرا رتبته الصغيرة حيث كان نقيبا ، صحيح أن دفعته رواد وأن ترقيته تأخرت نتيجة لمشاغباته ومشاكساته وبالتالى جزاءاته لكنه انتزع نفوذا يفوق رتبته .

سأله الفريق على على عامر رئيس هيئة أركان حرب القوات المسلحة أثناء عرضه علـى لجنة الضباط (1) برئاسته ، عن اسمه الثلاثى ، وحين ذكره ، سأله الفريق : إنت ابن اللواء حسين شاهين ؟ قال : نعم ، وقد

---

(1) يعرض عليها الضابط إذا ارتكب من المخالفات ما قد يستوجب الفصل من الخدمة ولها السلطة فى إصدار ذلك .

توقع أن يشفع له ذلك أو يخفف عقوبته . قال الفريق : إنت رذل زى أبوك ؟ ما هو دفعتى وعارفه كويس .. أنا حاشد ودنك المره دى . تأخير أقدمية للدفعة اللى بعدك .

خدم بالشرطة العسكرية واستبعد منها لفرط قسوته .

عرض على مكتب المشير عامر بعد تعذيبه لمواطن مدنى استغاث برقيا بالرئيس والمشير ..

سأله المشير عما حدث ، وفوجىء به وهو يروى تفاصيل يشيب لها الغراب بأضعاف ما استغاث منه المتضرر . ضحك المشير وفغرفاه من المفاجأة وعفى عنه لصراحته (ورجولته) ونقله إلى وحدة بالقاهرة حرصا على حياته فقد كان ضحيته من غلاة الإجرام وتجارة المخدرات بالصعيد .

تناوب كل الملازمين بالكتيبة الخدمة معه ، وصمد أقواهم احتمالا مدة أسبوع قبل أن يطلب من القائد نقله إلى سرية أخرى ، وخدمت تحت قيادته ثمانية عشر شهرا فى أصعب الظروف وأشقها . لقد

اكتشفت فى الرجل ، خلف الظاهر من سلوكه صفات كنت فى أشد الاحتياج للاستفادة منها .

سألنى الرجل فى أول لحظة من أول لقاء معه : هل تريد أن تصبح ضابطا ؟ وتعجبت ونظرت إلى كتفى ، فبادرنى : أنا شايف الضبورة (النجمة) اللى على كتفك ، بس مش معنى كدا إنك بقيت ضابط ..

تنهدت وقلت فى نفسى : صبحنا وصبح الملك للمالك .. يا فتاح يا عليم .. يا رزاق يا كريم ، وعصرت على نفسى ليمونة ، كما يقال . وقلت : أيوه !

لاحظ استنكارى المكتوم ، فسألنى : كم دفتر فى السرية ؟ قلت : حوالى .. ولم أكمل حيث قاطعنى : حوالى ؟ ما فيش حاجة اسمها حوالى . السرية فيها اثنين وعشرين دفتر: دفتر الأجازات .. دفتر الجزاءات .. دفتر الحمام .. دفتر التعيين .. دفتر الذخيرة .. ولاحظ وجود أجندة فى يدى وأننى أكتب ما يعدده بسرعة فتوقف وقال : انت حاتبقى أحسن ضابط لآن الضابط الكويس ن + ق . قلت ما معنى هذه الرموز ؟ قال : نوتة وقلم .

فى اليوم التالى أبلغته صباحا أن جنديا من فصيلتى سيعرض (مكتب) عليه وسألته عن موعد المكتب لكى أحضر معه .

سألنى : هل كتبت أورنيك الجزاء له ؟ قلت : البلوك أمين (عريف كاتب) كتبه وسيقدمه الرقيب أول ، سألنى : وانت مكتبتوش ليه ؟ قلت : هذه مهمة البلوكامين – قال ولو مش موجود ؟ قلت : يبقى رقيب أول السرية . قال : ولو كتبه غلط أو قصد يسخر منك ، تبقى انت عارف ولاحاتبصم ؟ انت لازم تبقى عارف أكثر منهم وتصلح لهم ، ثم أخرج من درج مكتبه ورقة بيضاء وقلم رصاص ومسطرة أعطاها لى وطلب منى تسطير الأورنيك وكتابة بيانات الجندى والجناية* المنسوبة إليه . وارتبكت ، ولاحظ ارتباكى فسطر الأورنيك ثم سطر أورنيك عيادة وطلب منى نسخها عدة مرات حتى أجيد

* جميع المخالفات التى تقع من عسكريين يطلق عليها جناية عسكرية حتى لو كانت ترك برنجى زرار أى أعلى زرار فى السترة مفتوحا .

أداءها ففعلت وعندما كتبت الجناية على أنها " عدم إطاعة الأوامر الصادرة إليه من ضابطه الأعلى "

سألنى : مين ضابطه الأعلى ؟ قلت : أنا . قال : ضابطه الأعلى تقال عن ضابط الصف ، أما الضباط فتكتب : من شخص ضابطه الأعلى .

أحسست لحظتها أن القوات المسلحة ليست هى التكتيك والطبوغرافيا وهندسة الميدان ، ولا هى التعليم الأولى والرماية ، ولا هى الحياة القائمة على مبدأ الأمر والطاعة العمياء ، وإنما إضافة لذلك حياة كاملة ، ومجموعة لا متناهية من الإجراءات والمعارف وسلسلة طويلة من الحقوق والواجبات ، وأحسست - كما تأكدت لاحقا – أن أول قائد يعمل الضابط تحت قيادته أهم فى صناعة الضابط من الكليات والمعاهد العسكرية .

تنامت صداقاتى مع الجميع وعلى وجه الخصوص ملازمين كانا معى فى السرية قبل أن ينتقل أحدهما إلى سرية أخرى .

نظام العمل

كانت الطوابير تستمر حتى الثانية ظهرا ثم ينصرف الضباط إلى بيوتهم فى عربات لها مسارات أو خطوط تخدم مواقع سكناهم ما عدا الضابط النوبتجى الذى يبيت فى الوحدة كمسئول عن كل أمورها مع أن القاعدة الأصلية أن يبقى كل من يحمل رتبة ملازم بالوحدة لأنه سمى ملازم لملازمة الموقع LIEU TENANT أما يوم الأحد من كل اسبوع فيطلق عليه اسم يوم تدريب ليلى لاستمرار طوابيره العشرة من الثامنة صباحا وحتى العاشرة مساء تتخللها فترة راحة من الثانية ظهرا إلى الخامسة مساء وكذلك تتواصل طوابير الأربعاء حتى السادسة مساء .

وفى كل اسبوع يخصص يوم لتدريب الضباط فيقوم القائد أو رئيس العمليات بمحاضرتهم فى التكتيك مثلا ويقوم ضابط الاستطلاع فى شرح الطبوغرافيا وضابط ثالث للأسلحة ورابع لهندسة الميدان وهكذا .. وفى أول حضور لى سأل قائد الوحدة : هل منكم من يتولى التوجيه المعنوى ؟ ثم أوضح متطلبات ذلك العمل والاشتراطات المطلوبة فيمن يؤديه .. ولم يرفع أحد يده مما شجعنى أن أكون المرشح الوحيد فرفعت يدى ، وفوجئت بالقائد يقر ترشيحى قائلا : ولنبدأ على الفور فى تلقى المحاضرة الأولى من محمود ولتكن عن تنظيم الإتحاد الاشتراكى وعن القواعد الشعبية التى تم انتخابها فى شهر مايو الماضى . وبلا تحضير ولا استرجاع ألقيت محاضرة لاقت إعجابا شديدا وأصبحت من هذه اللحظة ضابط التوجيه المعنوى لتسعة سنوات تالية ..

ومضت الأيام المتبقية من العام 1963 ، وأنا أكتسب فى كل يوم معرفة أو معارف فمن خدمة الضابط النوبتجى المكلف بكل أعمال القائد وباقى الضباط بعد انصرافهم إلى أن يحضروا فى الصباح التالى فهو مسئول عن الضباط والربط فى الوحدة ، وعن راحة الجنود بالنوم مع نوبة الرجوع والصحيان مع نوبته وتسلمهم تعييناتهم فى مواعيد الوجبات كاملة طبقا للكميات المقننة والطهى والإعداد الجيد وعن نظافة الوحدة والجنود ويقظة الخدمات الليلية والحراس نهارا بالمرور عليهم وخاصة فى النقاط الهامة والحساسة مثل السلاحليكات (أماكن التحفظ على الأسلحة) أو نقاط تخزين الذخيرة ومخازن التعيينات أو غرفة الحرس ، كذلك المرور والتتميم على المحبوسين ، ومنتظرى العرض على مكتب القائد أو المحاكمة العسكرية وعلى الحراس وذلك من واقع الدفاتر ويستقبل الإشارات الواردة ويتصرف فيها ، ويصدق على الإشارات الصادرة ، وهو مسئول عن الحملة الميكانيكية والتصديق على خروج أى سيارة والتصريح بخروج أى فرد من الوحدة ، ويقود طابور التمام للتتميم على الأفراد المفترض وجودهم بالوحدة وتحية العلم والهتاف وهو مسئول عن مواجهة أى طارىء والتصرف فى حالات انقطاع الكهرباء أو المياه وغير ذلك . وقد كلفت بهذه الخدمة الجسيمة بعد خدمة واحدة " يدك " أى مساعد للضابط النوبتجى – كما أننى كلفت بالتحضير لطوابير الرماية (ضرب النار) لسريتى وهذا يتضمن الإشراف على تحضير الأشكال التى يصوب عليها الرماة والأعلام (البيارق) التى تغرس أعلى تبة ضرب النار وحولها للإعلان عن وجود رماية بالذخيرة الحية وتحضير الذخيرة بالكميات والأنواع المناسبة " فمثلا تتطلب الرماية الليلية تطعيم الطلقات العادية بطلقات كاشفة " أجهزة التليفون السلكية من طراز أريكسون وبكرات السلك اللازمة لها – أجهزة اللاسلكى – الأفراد اللازمين لرفع الأشكال وخفضها بناء على الأوامر – خيمة كمركز للإشراف والمتابعة – السيارة أو السيارات اللازمة لنقل القوة إلى ميدان الرماية ..

مدرسة حقيقية تعلم الإنسان كل التفاصيل بكافة الأمور ؛ فمثلا لاحظ قائد الكتيبة التناقض المتواتر فى أرباح الكانتين وهو المقصف الذى يبيع لأفراد الوحدة احتياجاتهم بدء بالمأكولات والمشروبات إلى أصناف السجائر والبسكويتات والمسليات وصولا إلى الورنيش وأربطة الأحذية والأوراق والأظرف الخاصة بالخطابات .. إلى آخره ، وفى اجتماع للضباط سأل القائد عمن يقبل التحدى ويشرف على الكانتين حتى لو لم يكن من السرية المكلفة بأعمال لجنة الكتيبة الشهرية والتى يدخل فى اختصاصها تشغيل وإدارة الكانتين . قبلت التحدى ووعدت بمضاعفة الأرباح . درست الأصناف التى يتم تداولها ، وحللت الكميات المتوقعة للطلب على كل منها وأسعار شرائها وبيعها وهامش الربح المحقق فى كل منها وقسمتها إلى مجموعات :

الأولى تحقق نسبة متواضعة من الربح لكن رقم مبيعاتها كبير مثل السجائر وبالتالى فرقم الربح فيها كبير .

والثانية تحقق نسبة معقولة من الربح ورقما معقولا من المبيعات مثل الشاى والمثلجات ورقم مبيعاتها كبير وبالتالى فربحها كبير نسبيا .

والثالثة تحقق نسبة عالية للغاية من الربح ورقما معتدلا للبيع مثل الطعمية والبطاطا والطرشى والربح المحقق منها يستحق التركيز عليه .
المهم أننى حققت فى الشهر الأول أحد عشر ضعفا لرقم الربح فى الشهر السابق على إشرافى على الكانتين ، وشد القائد على يدى وشجعنى ، وحيث تضاعفت مكافآت مساعدى فى الكانتين فقد حفزوا للاهتمام ومزيد من الإخلاص فتوالى قفز الأرقام فى الأشهر التالية ، وكان هذا أحد مجالات الخبرة فى الأعمال التجارية كمادة هامة فى مدرسة المعارف العسكرية .
ومع تراكم وتزايد الخبرات تزايدت الثقة فى نفسى وتغلبت على إحساسى بالمرارة للتمييز الواضح فى المعاملة ما بين الفئات المختلفة للضباط ، فالضباط ينقسمون إلى :

- **ضابط عامل وهو من تخرج من الكلية الحربية أو البحرية أو الطيران (أو الدفاع الجوى لاحقا) وهو الأقدم عند تساوى رتبته مع رتبة ضابط من أى من الفئات الأخرى وهو يشكل العمود الفقرى للقوات المسلحة ويرقى حتى أعلا الرتب ويختار من بينهم القائد العام ورئيس هيئة أركان الحرب ورؤساء الهيئات والأسلحة والإدارات وقادة التشكيلات ..**
- **ضابط فنى وهو من خريجى المعاهد العسكرية وكما يتضح من المسمى فهو يتولى أعمالا فنية مثل المركبات و الإشارة .**
- **ضابط احتياط : مجند يتلقى إعدادا خاصا (كلية ضباط الاحتياط) حيث يتخرج برتبة ملازم مجند ويرقى بعد فترة تجنيده إلى رتبة ملازم أول احتياط إذا كان يحمل مؤهلا عاليا وإلى رتبة ملازم احتياط إذا كان مؤهله متوسطا ويستدعى عند الحاجة للتدريب أو المشاركة فى العمليات وتقف ترقيته عند رتبة عقيد .**
- **ضابط شرف وهو فى الأساس ضابط صف تخرج من إحدى مدارس القوات المسلحة مثل مدرسة ضباط الصف أو مدرسة الكتبة العسكريين وغيرهما ويرقى فى درجات ضباط الصف حتى رتبة مساعد ثم يتدرج فى رتب الضباط حتى رتبة عقيد .**
- **ضابط مكلف وهو ضابط له خبرة فى أحد المجالات التى تحتاج إليها القوات المسلحة فيتم تكليفه على رتبة تتناسب مع درجة خبرته فى مجاله ولمدة محددة .**

وما بين النوعيات المذكورة حساسيات أثرت كثيرا على كفاءة الأداء ولما كان بعض الضباط العاملين ومنهم كثير من القادة يصفون الضابط الاحتياط بأنه ضابط كبير السن قليل الخبرة فقد حاولت طوال خدمتى التى تواصلت حتى حرب أكتوبر 1973 أن أثبت عكس هذا الوصف . وإحقاقا للحق فقد كانت هناك نسبة من الضباط الاحتياط تندرج تحت هذه االصفة وهذه النسبة تضم فئتين :
الأولى : من قدامى ضباط الاحتياط ما قبل كلية الضباط الاحتياط ممن كانوا يستدعون لتلقى التدريب والخدمة ثلاثة شهور فى الصيف سنويا لأن معظمهم من المدرسين ثم يمنحون رتبا كضباط احتياط ويستدعون لمدد قصيرة على فترات متباعدة لذلك كانت كفاءتهم متدنية وكانت ترقياتهم تتم على فترات متباعدة فكنت ترى رجلا فى الخمسين من عمره يحمل رتبة النقيب وبالتالى لا تتناسب قدراته الجسمانية مع متطلبات الخدمة فى رتبة صغيرة تشكل اللياقة الجسمانية قدرا كبيرا من متطلباتها .
الثانية : بعض خريجى كلية الضباط الاحتياط من غير المتحمسين للخدمة العسكرية أو ممن يسودهم شعور بأنهم يعملون فى غير مجالهم أو أن نتيجة عملهم واحدة : أحسنوا أم أساءوا من المحبطين من التمييز وعدم التقدير .

والحقيقة أننى لم أتعرض – أو أكاد – لهذا التمييز على مدى خدمتى لكن ذلك كان مقابلا لجهد وتفان وتحد لنفسى لكسر القاعدة .
وقبل أن ينتهى عام 1963 كنا قد تلقينا أمراً إنذاريا بالاستعداد للتحرك إلى الجمهورية العربية اليمنية (العملية 9000) وأجرينا تدريبات عديدة ومشروعات متكررة على الحرب فى الجبال .
وواتتنى الفرصة لكى أقوم بمهام قائد سرية وأنا بعد ملازم مجند وكانت فرصة طيبة للتدريب على أعمال المستوى الأعلى (فمرتب) السرية رائد ليقودها. وتدربنا مرارا وفى مواقع عديدة على أعمال الكمائن والإغارات والوقاية أثناء التقدم وكافة المواقف التكتيكية ..

عام كبيس

وهل العام 1964 – وكانت بدايته معبرة عن سير الأحداث فى بقية أيامه وشهوره ؛ كلفت بالإشراف على طابور الرماية لأفراد سريتى فى الصباح الباكر لأول أيامه أى صبيحة سهرة رأس السنة - أعددت كل شىء فى اليوم السابق لكن التنفيذ بقى لكى يبدأ به العام ، ويجدر ذكر أن نسبة كبيرة من المصريين كانت تحتفل فى هذه الحقبة بهذه المناسبة بإعداد موائد خاصة من الطعام ويتناولون كميات كبيرة من الكحوليات ، ولم يكن ذلك السلوك مستهجنا فى المجتمع ولم يكن قاصرا على الطبقات العليا منه ، وإنما كان سائدا بشكل ملحوظ بين أفراد الطبقة الوسطى ، كذلك لم يكن معيبا بالنسبة للعسكريين بل إن المشروبات الكحولية كانت متاحة فى أندية الضباط حتى وقوع النكسة فى العام 1967 فمنعت فى تلك الأندية .
وبالتالى – وبعد سهرة صاخبة حتى مطلع الفجر – كان على أن أنتقل الى الوحدة مباشرة فأصطحب الصف والجنود ومعنا تجهيزاتنا وننتقل الى تبة الرماية رقم 5 على طريق السويس لكى أركز الانتباه واتنقل فى رشاقة وأن أبدو مسيطرا وصارما ، والحمد لله أن مر اليوم فى سلام لكن بقية اليوم واليومين التاليين لم يمرا كذلك فقد غلبنى الإعياء والقىء ودرجة الحرارة المرتفعة كما سارت أحداث العام .
يوم السبت الخامس والعشرين من يناير ألقى إلينا القائد بنبأ مفجع عن استشهاد اللواء أحمد المسيرى فى اليمن فاستشهاد ضابط برتبة لواء على أرض المعركة مؤشر خطير ونذير شؤم وإحباط وكفيل بخفض الروح المعنوية للقوات – وتساءلنا عن كيفية حدوث ذلك رغم توقف العمليات طبقا لعلمنا ، وسمعنا أن مجموعة قيادة اللواء الذى يقوده الشهيد وقعت فى كمين محكم فى منطقة صنعاء العاصمة .
طلب منا القائد تدريب الجنود على السير بالخطوة البطيئة وباقى الإجراءات التى تتطلبها الجنازة العسكرية حيث تم تكليف اللواء الذى أخدم فيه بتنفيذها فى اليوم التالى . على الفور بدأنا التدريب ثم أشرفنا على الإجراءات الإدارية للجنود مثل غسل الملابس وكيها وحلاقة الشعر والذقن وتلميع الأحذية ، ونظافة السلاح والنظافة الشخصية و.. و ..
وفى يوم الأربعاء التاسع والعشرين وهو يوم التدريب الليلى ، خرج القائد وبصحبته مجموعة من الضباط لاستطلاع أرض تدريب السرية على تأمين تـقـدم الكتيـبة فـى الـمنـاطق الجبـلية جبـل المسـخـرة جـنـوب حلوان .
وفى صباح اليوم التالى عقد القائد اجتماعا حول تختة الرمل * حيث شرح مشروع تدريب السرية بالتفصيل ، وهو مشروع خطير يتطلب لياقة جسمانية متناهية وقدرة على تسلق الجبال الوعرة فى أصعب الظروف وتحت ضغط العدو المحتل للقمم العاليـة ، - والمعروف عسكريا ، أن من ملك القمة دان له السهل - كما يتطلب
الكفاءة التامة فى استخدام السلاح والقدرة العالية على السيطرة على القوات واتخاذ القرارات الصحيحة

بســرعة
فى المواقف المتلاحقة وحسن القيادة خلال التدريب على أصعب أنواع الحروب وهى مواجهة قوات غير نظامية فى مناطق جبلية .

وتحددت مسئوليتى كقائد للفصيلة الثانية من السرية الأولى المكلفة بالمشروع بالقـيام بالمجــهود الـرئيـسـى المتمثل فى الالتفاف على قوات العدو بمهاجمته من الخلف والأجناب ، وتستغرق مراحل المشروع عدة ساعات نسير فيهـا مـا يزيد علـى عشرين كيلو مترا فى

* تشكيل تضاريسى بالرمل يمثل أرض المشروع أو المعركة وعليه مجسمات تمثل قواتنا وقوات العدو والأسلحة وعلامات تمثل أوضاع الدفاع واسهم تمثل اتجاهات الهجوم لشرح المعركة بالمحاكاة للحقيقة .

مناطق وعرة يتخللها تسلق لقمم الجبال والثبات ثم هبوط إلى الممرات والمدقات تحت ضغط نيران العدو .

وفى الثانى عشر من فبراير انتقلنا لاستطلاع أرض التدريب للانتقال إليها بعد أسبوع أى بعد عيد الفطر مباشرة . تفقدنا موقع المعسكر الذى تقيم فيه الكتيبة ثم حددنا طريق التقدم وأماكن الفتح والانتشار والالتفاف بالنسبة للفصائل والجماعات وأماكن الوقفات والأسلحة وسرنا طويلا لتحديد طريق التفاف فصيلتى ونزلنا الى الوادى ثم تسلقنا مصطبة جبلية ونزلنا ثم تسلقنا جبلا شامخا واجتزنا تكوينات طبيعية قاسية وبذلنا من الجهد ما يعز على كثير من الأقوياء لكن العرق فى السلم يوفر الدم فى الحرب .

ومضى العيد ، وفى رابع ايامه تحركنا إلى جبال المسخرة فأقمنا معسكرنا ، وظللنا نتدرب على التفاصيل وتفاصيلها . لم نترك شيئا للصدفة وخلال تسعة أيام من التدريب أصبحت المشقة عملا يوميا معتادا ، وبات أداؤنا لخطوات المشروع أقرب إلى الغريزة .

فى اليوم العاشر كان المشروع بمتابعة هيئة التدريب وهيئة عمليات القوات المسلحة لتقييم أدائنا وعلى ضوئه تتحدد بصفة نهائية مشاركتنا فى العمليات باليمن اعتبارا من 17 مارس . لن أكرر تفاصيل ما تحملته وهى تفاصيل تحتاج الى كتيب مستقل لكننى سأشير فقط الى الحمولة التى حملتها قبل أن يُطلب منى الانطلاق كطائر خفيف أو ريشة يحملها الهواء :

- بندقية آلية 7.62×39 روسى .
- 6 خزنة ذخيرة عبوة 30 طلقة لكل منها .
- طبنجة إشارة وثمانية طلقات إشارة ألوان .
- 2 قنبلة يدوية هجومية واثنتان دفاعية .
- جهاز لاسلكى R 106 .
- مهمات الوقاية الكيماوية .
- نظارة الميدان والبوصلة .
- تعيين قتال ليومين .

والخوذة الفولاذ على رأسى بطبيعة الحال !!!
وأنا أتسلق بهذه الحمولة ومعى جنودى قمة مرتفعة مشتبكا مع قوات العدو التى تحتلها ، وبعد تطهير القمة من العدو ، أتتبعه لكى أطهر القمم المتتالية . وأعترف أن العناية الإلهية هى التى أنقذت روحى ، وأن توفيق ربى جعل الثناء ينهمر على من القيادات بدءً من قائد السرية وحتى قائد اللواء مرورا بقائد

الكتيبة ..

بناء على نجاحنا فى هذا المشروع أصبحنا من وجهة نظر هيئتى التدريب والعمليات جاهزين للسفر إلى اليمن وخوض العمليات القتالية على أرضه ..

وتأكد الأمر الإنذارى بتحديد يوم التحرك حيث تحدد السابع عشر من مارس 1964 لتحرك الباخرة من ميناء الأدبية بالسويس وعليها قواتنا فى طريقها إلى اليمن .

وهذه بداية القصة .

اللمسات الأخيرة

جمعنا قائد الكتيبة فى مكتبة ، وألقى علينا عدة معلومات مختصرة وعدة تعليمات صارمة :

- **تقرر مشاركتنا فى العملية 9000 وهو الاسم الكودى لأعمال قواتنا المسلحة القتالية فى اليمن .**
- **تتحرك الباخرة التى تقلنا – عدا الحملة الميكانيكية التى تحملها باخرة أخرى - يوم 17 مارس .**
- **جميع السادة الضباط مكلفون بتجهيز وحداتهم الصغرى للتحرك طبقا للتعليمات التفصيلية التى يصدرها لهم السيد / رئيس العمليات ، ويرجعون إلى سيادته فى أى استفسار أو تذليل أى عقبات .**
- **يتم تقسيم الضباط إلى مجموعتين يصرح لكل منهما بأربعة وعشرين ساعة لتوديع الأهل وترتيب أمور أسرهم فى فترة غيابهم ، وتجهيز أنفسهم للسفر لمدة غير معلومة .**
- **يقوم السيد / رئيس العمليات بتنظيم الدفعات بما لا يخل بإنجاز أعمال التحضير للتحرك .**
- **جميع الضباط مكلفون بالتواجد فى الوحدة قبل سعت 1600 (الساعة الرابعة مساء) يوم الأثنين 16/ 3 وحضور اجتماع فى مكتبى لتلقى التعليمات النهائية للتحرك .**

مئات ، بل آلاف التفاصيل للتتميم على الأفراد والأسلحة والذخيرة ، ولتسليم المؤخرة (مجموعة الأفراد المستبقين فى مصر) كل ما يزيد على ما ورد بالتعليمات من العهد مثل الذخيرة والأسلحة والتعيينات . دعى الضباط للانتقال إلى مقر ك 400 مدم. (الكتيبة 400 مدفعية ميدان) حيث تجمع ضباط اللواء 114 مشاه ، ثم حضر المقدم ا.ح. قدرى عثمان* موفدا من القيادة العامة لإلقاء محاضرة عامة عن اليمن كميدان للمعركة شارحا على الخريطة التقسيم الإدارى والمناطق العسكرية ،

---

*اللواء قدرى عثمان عطية بدر محافظ اسوان لاحقاً

أسماء المدن الهامة وكذلك القرى وأسماء الأمراء والشيوخ المتمركزين فى كل منها وأساليب القتال المتبعة . أخذ يشير بمؤشر فى يده إلى مواقع على الخريطة قائلا : هذه منطقة كذا لنا فيها قوات حجمها كذا والعدو فيها يتمثل فى كذا ، وقعت فيها عمليات حجمها كذا فى شهر كذا وكانت نتائجها كذا ويتوقع أن تكون أو لا تكون عمليات ما .. ألخ الشرح التفصيلى الذى بدا منه الرجل مناسبا للمهمة ..

ثم قال إن الملك فيصل وعد المشير عامر أثناء وجوده فى السعودية للتفاوض بشأن مسألة

اليمن أن يزور القاهرة لاستكمال المفاوضات فى أوائل أبريل ، وأن مخابراتنا التقطت إشارة لاسلكية مرسلة بعد ذلك من الملك إلى الإمام المخلوع محمد البدر ينذره فيها بأنه يعطيه فرصة هى الأخيرة لكى يثبت فيها وجوده على الأرض ، وإلا فإنه سيسحب يده من اليمن – وعليه فإننا نتوقع أن يلقى البدر بالورقة الأخيرة ويفرغ ما فى جعبته خلال الأسابيع الثلاثة التالية ويتوقع أن يتركز نشاط العمليات فى المنطقتين الشمالية ، والشرقية المجاورتين للسعودية أو أن ينتقل مركز الثقل فى العمليات إلى المنطقتين الجنوبية الشرقية والجنوبية لمجاورتهما لبيحان والمحميات حيث النشاط البريطانى المتمركز فى عدن .

ثم أعطى صورة عن الطبيعة القبلية فى اليمن الذى عزل عن المدنية أحد عشر قرنا فأصبحت القبلية مقدمة على الوطنية والقومية ، وطاعة الإمام هى كل الإلتزام وخاصة أن غالبيتهم من الشيعة حتى أن أكثرهم ترك الصلاة بعد خلع الإمام قائلين : " ما فى إمام .. ما فى صلاة " .

وحذر من الخيانة وخاصة أن الجميع يحملون السلاح وهو رمز الرجولة ، وأن الشحن الدائم لهم يرسخ لديهم الاعتقاد بأن قواتنا تمثل احتلالا وليست مساندة للثورة ، نستوى فى ذلك مع الاستعمار العثمانى فى القرن السادس عشر والاحتلال البريطانى لعدن .

<u>فى عرض البحر</u>

فى صبيحة اليوم التالى ؛ الثلاثاء 17 مارس كانت ساعة الصفر .. كان اليوم الموعود : فى الرابعة صباحا كان القشلاق يعج بالحركة ، خلية نحل تفيض بالحياة ؛ الكل يعمل .. الكل يتحرك . فى الخامسة بعد الفجر كان الجميع محملين على العربات وبرفقتهم مهماتهم فى انتظار الأوامر ، بعدها بنصف ساعة تحركت العربات إلى محطة السكك الحديدية فى هايكستب حيث تم ركوب القطار الذى صدرت الأوامر بتحركه فى الثامنة . وكانت فرصة ثمينة لساعات ثلاثة من النوم بعد أيام متتالية من الجهد والترتيبات . فى الحادية عشرة كنا فى ميناء الأدبية وطال الانتظار حتى الرابعة حيث صدرت الأوامر بالصعود إلى الباخرة "مصر" الراسية فى الميناء حيث تمت هذه العملية فى السادسة والنصف .. وجمعتنى كابينة واحدة مع ثلاثة من الزملاء ؛ عبد الصمد والسيد بدوى ووجدى ناصر .. تركنا فيها أمتعتنا ، واغتسلنا ثم توجهنا إلى مطعم الباخرة حيث تناولنا العشاء الفاخر حيث الأصناف المستوردة فى زمن توقف فيه الاستيراد ومع كرم البحرية الذى يتيح للجميع أن يأكل حتى يشبع مهما تعدد طلبه لصنف أو أصناف فليس هناك بديل فى عرض البحر سوى ما يقدمه مطعم الباخرة فما عليك حين ترغب فى المزيد سوى إشارة من إصبعك وتمتمة من شفتيك بكلمة (MORE) . وانتهى أول ايامنا على الباخرة حيث دخلنا فى نوبة نوم عميق .

صحونا فى الصباح التالى لنجد الباخرة وقد أصبحت فى عرض البحر يحيطها الماء ورحمة الله. فتحنا الصناديق الحديدية التى نسميها (كرسته) وفيها كل ما نحتاج أو ما نتوقع احتياجنا له خلال غربتنا عن الوطن ، وبدأ كل منا يسأل الآخر عما أحضر معه ولاحظنا تماثلا فى كثير من الأحيان وكان من الطريف أن رأينا الملازم وجدى يفتح كيسا كبيرا يخرج منه عشر دستات من المناديل القماش فلفت ذلك نظرنا وسألناه عن سر ذلك ، فأخبرنا أنه توقع أن نقضى أكثر من سنة فى اليمن وأنه لن يغسل مناديل اليد ولن يكلف جنديا بفعل ذلك لذا اتجه إلى شارع الموسكى وسأل بائع هناك عن سعر المنديل . قال له : ثمانية قروش قال له : سآخذ كل ما معك بسعر خمسة قروش للمنديل ، ولم يترك للرجل فرصة التفكير فى الصفقة حيث أخرج ستة جنيهات وأعطاها له ، وتسلم منه المناديل ليستعمل المنديل ثم يلقيه ، عندما يتسخ .

قضينا وقتا طويلا على سطح الباخرة ON DECK وسرح كل منا مطولا وانطلقت أبصارنا عند خط الأفق ، خط لقاء السماء مع البحر ، وشهدنا لحظات الغروب وأوحى لنا قرص الشمس الذهبية الغاربة ، بغروب حياة وانتظار شروق أخرى ودخلنا فى حوارات طريفة قادتنا الى التساؤل عما اذا كانت الحياة الناعمة والجو الرائع والطعام الوفير على الباخرة هى من قبيل مضاعفة العلف للشاه قبل ذبحها – وسألنى عبد الصمد عن مشاعرى إزاء ركوب الباخرة لأول مرة فى حياتى فى الطريق إلى الحرب ، وأجبته أننى كنت أخطط لكى أرحل إلى أمريكا حيث الأضواء والرخاء فإذا بى فى طريقى إلى اليمن حيث الظلام والإظلام – وكما تقول فى مهمة قتالية ، لكننى – وأقسم صادقا – راضٍ كل الرضا ، وقبل أن يبدى صديقى استنكارا أو تكذيبا ، تابعت : إن أمامنا مستقبلا وعمرا نحنً فى مستهله ووارد أن تسمح لنا فيه الظروف بزيارة دولة أو دول أخرى ، ولن تكون اليمن بطبيعة الحال سواء كانت طبيعة الزيارة ، سياحية أو دراسية أو غير ذلك ، لذا فزيارة اليمن وأيا كانت ظروفها أو أسبابها فرصة لن تتكرر للتعرف على بلد عربى ورؤية ما فعله بعض حكامنا بأوطانهم فاليمن السعيد لم يعد سعيدا ، وأرض سد مأرب ؛ أقدم سد فى التاريخ لم يعد لها من العلم أو التقدم نصيب ، ومملكة سبأ التى ورد ذكرها فى القرآن وروى أنها كانت للديمقراطية والرخاء مهداً أصبحت مثالا للديكتاتورية والفقر والشقاء ، وبلقيس صاحبة الرأى حلت محلها عائلة حميد الدين رمز الجهالة والتخلف .

وتحدث بعضنا عن دوار البحر وأنه عانى منه رغم تعاطيه للأقراص المخففة للإحساس به والتى تم توزيعها علينا ، والحقيقة – والحمد لله – أننى لم أشعر به ، وتحدث بعضنا عن تعرض الباخرة للتأرجح الشديد والتمايل يمينا وشمالا عند اجتيازها للمنطقة التى شق فيها موسى عليه السلام البحر بعصاه أمام جزيرة فرعون ، وهنا أخبرتهم أننى كنت نائما بعمق وأخبرنى بعض الرفاق بما تعرضنا له عند استيقاظى .

<u>مؤتمر عمليات :</u>

الخميس 19/ 3 دعانا قائد الكتيبة فى الصباح لحضور اجتماع عمليات ، ولما كان هاجس تعرض الباخرة لأى اعتراض أو قصف من طيران أو بارجة أو غواصة معادية – مع علمنا بعدم وجود سابقة لهذا التعرض – فقد سادنا بعض الاضطراب حتى رأينا وجه القائد الذى لم ينم عن مثل هذا القلق ، طلب منا الجلوس وعرض خريطة توضح طريق الحديدة – صنعاء – تكلم فى جدية واضحة واختصار شديد : بعد أقل من ثمانية وأربعين ساعة سنكون على أرض اليمن – الموقف هناك شديد التعقيد ، ولن أخوض الآن فى العمليات المحتملة ، بأكثر من التنبيه إلى أن اليمن جبهة قتال لذا فإن السلاح والخوذة وكافة تفاصيل الحذر والحيطة فى غير حاجة للتأكيد وأترك المجال لقائد السرية الأولى النقيب محب شاهين لكى يعطيكم فكرة عن طريق الحديدة – صنعاء الذى نتحرك عليه فى يوم ما من الأسبوع القادم – فقد سبق للنقيب محب أن خدم فى اليمن وقطع هذا الطريق أكثر من مرة ، ذلك أن لهذا الطريق خصوصية شديدة الأهمية من حيث درجات الميل والإنحناءات والجبال والجروف التى تحيط به . وتحدث النقيب :

أولا : أضيف إلى ما تفضل به السيد القائد عن مسببات القلق ودواعى الحذر ، أننا سنرى عدوا لا نعرفه فالجميع يمنيون يلبسون نفس الملابس ويحملون نفس السلاح ، لكن منهم الجمهوريون أى المساندون للثورة ولقواتنا بالتالى ، ومنهم الملكيون المؤيدون للإمام والمعادون للثورة ، ولنا . أما التحرك على طريق الحديدة – صنعاء فتتطلب إجراءات احترازية أساسية حيث أن

الطريق صاعد على الدوام بدرجات ميل حادة أحيانا فطول الطريق 240 كم تقريبا ، وترتفع صنعاء 2100 مترا عن سطح البحر ، والحديدة – والطريق ثعبانى فى التواءاته المتكررة والخطيرة لأن الطريق مفرد والسير عليه فى الاتجاهين يحده جبل مرتفع من ناحية ، وهوة سحيقة من جانب آخر .

سيصطف القول بفاصل خمسين مترا بين كل سيارتين ، تتقدمه عربة القائد الجيب وسأكون برفقته .

يخصص جندى فى كل عربة ليمسك ببيرق أحمر ويجلس فى الخلف بحيث يكون واضحا للعربة التى تليه – كما يتم تحميل حجر كبير بجوار جندى خلف العربة أيضا يكون مسئولا فى حالة توقف العربة لأى سبب عن إلقاء الحجر إلى الأرض والقفز بسرعة وتثبيت الحجر خلف العجلة الخلفية للعربة لمنع تراجعها للخلف – ويحظر – ولأى سبب – تخطى أى عربة للعربة التى أمامها ، كما يلتزم الجنود بالجلوس فى وضع دفاعى مع توجيه الاسلحة للخارج .

وانتهى الاجتماع وقد ساد بعضنا القلق الزائد ، بينما أحس بعضنا ببعض المبالغة فى زيادة التحوط والحذر . وقضينا باقى يومنا فيما قضينا فيه سابقه ، تأملات .. ذكريات .. توقعات .. حنين لكل شىء ، الأهل والأحبة والوطن .

وداعا للراحة :

الجمعة 20 مارس : رابع وآخر أيامنا فى البحر . آخر ايام الفاصل الزمنى الذى تناقص بتناقصه الفاصل المكانى بين الجمهورية العربية المتحدة ، والجمهورية العربية اليمنية . بين الوطن وميدان القتال . بين الأمان والحنان ، وبين الخطر والقسوة . قسوة البشر والحجر والظروف . بين الحياة اللينة الناعمة وبين الحياة القاسية الخشنة . بل ولربما بين الحياة والموت !

كنا فى مصر قد تعودنا على الهرب صيفاً من لهيب الحر إلى شاطىء البحر فنحس نسمة نحسد عليهاأنفسنا ، والآن نرى أنفسنا على سطح باخرة يحيط بها الماء من كل جهة ، ونتصبب عرقا ويزداد إحساسنا بالحر الشديد كلما مضت الباخرة فى طريقها نحو خط الاستواء ، بدأ الشعور بالإجهاد والميل للاسترخاء يفرض نفسه على أجسادنا ، وبدأنا نشعر بالفارق بين جو مصر الجميلة وبين الجو فيما عداها ، ووصف لنا النقيب محب الأمطار فى اليمن فأصابتنا قشعريرة لمجرد سماع الوصف لطول الوقت وللكثافة العالية لتلك الأمطار ، وأراد أن يخفف عنا الإحساس بالحر فوصف لنا البرودة الشديدة ليلا ، وضحكنا من تصاريف الطبيعة التى لم نكن نعرف عنها شيئا .

السبت 21 مارس : الشاطىء . كانت الباخرة قد قضت معظم الليل فى الغاطس .. وفى الصباح دخلت إلى رصيف ميناء الحديدة . غادرنا الباخرة طبقا للترتيبات التى تلقينا التعليمات بها .. تجمعنا على رصيف الميناء وسرت فينا بعض الطمأنينة حين رأينا اثنين من كل ثلاثة بالميناء من المصريين ؛ عسكريين أو مدنيين ، يرحبون بنا ، ونشعر من نبرة الثقة فى أصواتهم أننا على أرض صديقة تكتنفها بعض المتاعب .. تحركنا إلى معسكر خيام قريب من الميناء حيث نعسكر إلى أن نتلقى تعليمات بغير ذلك .

أخيرا .. أنا فى اليمن

بسم الله الرحمن الرحيم

[وتَفَقَّدَ الطَّيْرَ فَقَالَ مَا لِيَ لاَ أَرَى الهُدْهُدَ أَمْ كَانَ مِنَ الغَائِبِينَ (20) لأُعَذِّبَنَّهُ عَذَاباً شَدِيداً أَوْ لأَذْبَحَنَّهُ أَوْ لَيَأْتِيَنِّي بِسُلْطَانٍ مُّبِينٍ (21) فَمَكَثَ غَيْرَ بَعِيدٍ فَقَالَ أَحَطتُ بِمَا لَمْ تُحِطْ بِهِ وجِئْتُكَ مِن سَبَأٍ بِنَبَأٍ يَقِينٍ (22) إِنِّي وجَدتُّ امْرَأَةً تَمْلِكُهُمْ وأُوتِيَتْ مِن كُلِّ شَيْءٍ ولَهَا عَرْشٌ عَظِيمٌ (23) وجَدتُّهَا وقَوْمَهَا يَسْجُدُونَ

لِلشَّمْسِ مِن دُونِ اللهِ وزَيَّنَ لَهُمُ الشَّيْطانُ أعْمَالَهُمْ فصَدَّهُمْ عَنِ السَّبِيلِ فهُمْ لاَ يَهْتَدُونِ (24) ألاَّ يَسْجُدُوا لِلَّهِ الَّذِي يُخْرِجُ الخَبْءَ فِي السَّمَوَاتِ والأَرْضِ ويَعْلَمُ مَا تُخْفُونَ وَمَا تُعْلِنُونَ (25) اللهُ لاَ إِلَهَ إلاَّ هُوَ رَبُّ العَرْشِ العَظِيم (26) قَالَ سَنَنظُرُ أَصَدَقْتَ أَمْ كُنتَ مِنَ الكَاذِبِينَ (27) اذْهَب بِّكِتَابِي هَذَا فَأَلْقِهْ إِلَيْهِمْ ثُمَّ تَوَلَّ عَنْهُمْ فَانظُرْ مَاذَا يَرْجِعُونَ (28) قَالَتْ يَا أَيُّهَا المَلأُ إِنِّي أُلْقِيَ إِلَيَّ كِتَابٌ كَرِيمٌ (29) إِنَّهُ مِن سُلَيْمَانَ وإِنَّهُ بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ (30) أَلاَّ تَعْلُوا عَلَيَّ وأْتُونِي مُسْلِمِينَ (31) قَالَتْ يَا أَيُّهَا المَلأُ أَفْتُونِي فِي أَمْرِي مَا كُنتُ قَاطِعَةً أَمْراً حَتَّى تَشْهَدُونِ (32) قَالُوا نَحْنُ أُوْلُوا قُوَّةٍ وأُوْلُوا بَأْسٍ شَدِيدٍ والأَمْرُ إِلَيْكِ فَانْظُرِي مَاذَا تَأْمُرِينَ (33)] صدق الله العظيم

(سورة النمل)

بسم الله الرحمن الرحيم

[لَقَدْ كَانَ لِسَبَأٍ فِي مَسْكَنِهِمْ آيَةٌ جَنَّتَانِ عَن يَمِينٍ وَشِمَالٍ كُلُوا مِن رِّزْقِ رَبِّكُمْ وَاشْكُرُوا لَهُ بَلْدَةٌ طَيِّبَةٌ وَرَبٌّ غَفُورٌ (15) فَأَعْرَضُوا فَأَرْسَلْنَا عَلَيْهِمْ سَيْلَ العَرِمِ وَبَدَّلْنَاهُم بِجَنَّتَيْهِمْ جَنَّتَيْنِ ذَوَاتَيْ أُكُلٍ خَمْطٍ وَأَثْلٍ وَشَيْءٍ مِّن سِدْرٍ قَلِيلٍ (16)] صدق الله العظيم (سورة سباء)

الجزء الثالث

فى اليمن

مدنى فى جيش محارب

الأحد 22 مارس : البداية الفعلية لخدمتى فى اليمن ، وطبيعة هذه الخدمة ومبرر وجودى على هذه الأرض أن أكون مقاتلا ضمن جيش هب لنجدة ثورة تعرضت لتحالف رجعى استعمارى لإعادة الزمن واستمرار حفظ شعب كامل فى ثلاجة التاريخ ، بل ومنع حركة التاريخ ذاتها ..

أبلغنا القائد بالاستعداد للتحرك إلى صنعاء بمهمة تأمين مطار الروضة على تخوم المدينة ، أبلغنا الأوامر للمستويات الأدنى وقضينا ساعتين فى الإشراف على الاستعدادات دون تحديد موعد دقيق للتحرك وإن كان الموعد الأكثر احتمالا هو الغد .

ولما كانت احتمالات الموت غالبة فى أذهاننا على احتمالات الحياة فقد قررنا الاستمتاع بالمتبقى لنا من العمر بقدر المستطاع ، وتمثلت وأنا على أرض عنترة بن شداد قول الفارس الشاعر العربى امرؤ القيس حين تلقى نبأ مقتل أبيه وهو يعاقر الراح وتعجب مبلغوه من استمراره فى الشرب وعدم نهوضه للأخذ بثأر أبيه فقال قولته الشهيرة : اليوم خمر .. وغداً أمر . زارنى ماهر هاشم زميل من نفس دفعتى ملحق على كتيبة يمنية تعسكر على الساحل ودعانى لزيارته فى وحدته وقضاء وقت ممتع مع وجبة غذاء خاص وانتقلت معه إلى وحدته حيث تعرفت على ضابط مصرى آخر وضابط يمنى برتبة ملازم ، وسألنى صديقى عما إذا كنت أرغب فى الاستحمام فى بحر الحديدة (البحر الأحمر) وأجبته بالإيجاب مع اعتذارى لعدم وجود لباس للبحر وهذا ما يطلقونه على (المايوه) فى اليمن ويقولون عن المايوه الحريمى : لباس البحر حق المرأة .. المهم أن صديقى أقرضنى مايوها إضافيا لديه اشتراه ولم يستخدمه ..

ابتعدنا أمتاراً عن سور السلك الشائك ولكننا مازلنا فى مرأى خدمات الحراسة ، وخلعنا الملابس الخارجية وبقينا بألبسة البحر حيث نزلنا نطفىء لهيب الجو ونبتعد عن غباره ، صحيح أننا فى مارس لكن الجو هنا استوائى شديد الحرارة نهارا ، شديد البرودة ليلا ، والغبار هنا شبيه برياح الهبوب فى السودان ، رياح متربة تنقلب إلى دوامات ترابية تصعد على هيئة أعمدة إلى ارتفاعات كبيرة وتتحرك بسرعة قبل أن تتسع دوائرها وتذوب فى الريح السريعة ..

قضينا وقتا ثم خرجنا لتقع عينى على أغرب المتناقضات : غيدُ حسان يستر بعضهن (البكينى) بينما الفتيات الصغيرات عاريات تماما تغسل أمهاتهم أجسادهن بماء عذب من خلال خرطوم ثم يغتسلن هن إزالة لملوحة ماء البحر على أجسادهن ، وعلى مسافة أمتار رأيت عدة نسور ريشها قبيح المنظر وحركتها بطيئة كسولة تتناقض مع معلوماتى عن قوة النسر ونشاطه لذلك لم أشعر رهبة فى الاقتراب من أى منها وإن شعرت بالتقزز .

سألت صديقى عن سر وجود الحسناوات ومن أين أتين ، وأجابنى إنهن روسيات ضمن جالية سوفيتية كبيرة تتواجد فى اليمن وخاصة فى الحديدة وتضم دبلوماسيين وخبراء وعاملين فى كافة المجالات ، وأن مجالات الترفية فى اليمن لا توفر لهم الكثير غير الشاطىء والبحر . عدنا إلى الكتيبة اليمنية فأخذنا دشا منعشا ثم تناولنا غذاءً فيه لمسات مصرية مطفئة لجزء من الحنين إلى الوطن ، وقد ترك ذلك اليوم لدى من الانطباعات التى غيرت الكثير من أفكارى :

أولا : إذا لم تكن لديك المعلومات المفصلة والأكيدة .. فليس لك أن تتوقع .. مجرد التوقع .

ثانيا : أنك قد تجد وسط المقابر حياة لم تكن لتتصور مدى بهجتها أو حتى ارتباطها بمعنى الحياة !

ثالثا : إذا قامت الساعة وفى يدك فسيلة ، فلتغرسها ، عملا بقول رسول الله صلى الله عليه وسلم .

وبعد الظهر جولة فى المدينة حيث رأيت وسمعت ما كون لدى فكرة مبدئية عن المدينة : مدينة صغيرة تعادل المركز فى التقسيم الإدارى بمصر ، ميناء على البحر الأحمر يغلب على استخدامه الطابع

العسكرى أنشأه السوفييت قبل الثورة فى الفترة ما بين عامى 58 – 1961 وكان الرئيس اليمنى عبد الله السلال مديرا للمشروع ، وفى المدينة محطة كهرباء بها ثلاثة مولدات لإنارة المدينة والميناء أما السوق التجارى فشوارعه ضيقة وغير مرصوفة ، بها محلات متسعة وآخرى حوانيت صغيرة والمحلات الكبيرة يطلقون عليها مستودعات وتحوى من السلع ما حملته سفينة نوح فمن حبات الطماطيس أى الطماطم والبسباس أو الشطة والبامية التى تباع بالمائة حبة إلى السجاد التبريزى وساعات الأوميجا والرولكس إلى أجهزة التسجيل والخلاطات وآلات عرض السينما فى كرنفال متداخل ومع أسعار متدنية فما يشتريه الجنيه فى مصر ، يشتريه الريال رغم أن سعر صرف الجنيه ثلاثة ريالات ، والريال أربعون بقشة أو ثمانين هللة .

وقبل أن ننام حملت الأنباء تأجيل تحركنا مع تأكيد أنه سيكون لنفس الموقع بينما تبقى كتيبة آخرى من اللواء فى الحديدة وتتحرك الثالثة إلى محور الجوف فى الشمال الشرقى .

فى الأيام التالية تضاربت الأنباء عن تحركنا ، وامتدت بنا أيام الانتظار دون أن نتفرغ لترقبه فترددنا على المدينة وأسواقها ، وكررت حمام الشاطىء مرتين ، واقتربت من بعض اليمنيين كالتجار فتعاملت معهم وتعرفت على بعض مفردات لهجتهم فمثلا : بَّرع معناها إمشى وإجزع تعنى أغرب أما جمبر فمعناها : أقعد ، وكنبه معناها جعَّاده وكوب ؛ جَلَصْ أما مبسوط أو سعيد فهى مِفْتهنْ وكلوب أو فانوس فهى التريك .

وعن العادات السائدة فأهمها التكوير أو التقيت وهى مضغ نبات القات المخدر وابتلاع عصارته مع الاحتفاظ بالأوراق الممضوغة فى جانب من جانبى الفم حيث ينتفخ الصدغ على هيئة نصف كرة وربما كان ذلك سببا فى الإسم الذى أطلقوه على هذه العادة ، والقات نبات تشبه أوراقه أوراق الملوخية وينتشر استهلاك القات إلى درجة أصبح معها المحصول الرئيسى فى البلاد يليه البن والعنب ، ويصل سعر الحزمة منه عدة ريالات تمثل الدخل اليومى المتوسط للفرد فى اليمن ، ويتم التكوير فى الظهيرة وهى فترة تكاد كل الأنشطة أن تتوقف خلالها .

أما العادة التى تعنى الرجولة أو بدايتها من وجهة نظر المجتمع فهى التمنطق بجنبية يبرز منها خنجر مقوس ما بين البطن والصدر ، وحمل بندقية أينما تحرك اليمنى .

الثلاثاء 24 مارس : فى الصباح وردت اشارة : من داوود (العميد ولسن داوود قائد اللواء "قال") إلى قوات شفيق (العقيد شفيق الياس شكر الله قائد الكتيبة "قاك") تفيد أن تحرك كتيبتنا إلى مطار الرحبة ؛ القريب من صنعاء يتم يوم الأحد 29/ 3 . رائع ! خمسة أيام أخرى فيها فرصة للراحة والسياحة بدأت بحمام رائع فى البحر وإن كانت رمال الشاطىء أقرب إلى الطين .

الأربعاء 25 مارس : المسألة ليست عبثية فالحديث عن الراحة والمتعة يظل نسبيا فهى متعة بالمقارنة لما ننتظره فى قادم الأيام . اليوم مثلا حضرت الطوابير ، وفى بدايتها اصطحبت جنودى فى طابور الضاحية بالخطوة السريعة من معسكرنا بالقرب من الميناء صوب طريق الحديدة / صنعاء ، ولمسافة كيلو مترين من قبل أن نبدأ فى العودة متعبين للغاية فالتنفس صعب للغاية بسبب ارتفاع درجة الحرارة والرطوبة العالية ، وبعد الطوابير كان الشطرنج والطاولة ، ثم حمام البحر الذى اعتدت عليه ، سكون رائع أتمنى ألا تتبعه عاصفة .

السبت 28 مارس : تأجل تحركنا إلى بعد غد بدلا من الغد وربما كان هذا هو التعديل النهائى – تلقينا أنباءً عن وصول الكتيبة 341 من لوائنا إلى صنعاء فى سلام واستقبلها الفريق عبد المحسن كامل مرتجى قائد القوات العربية فى اليمن وهنأها بسلامة الوصول .

اليوم تناولت أشهى طعام تذوقته منذ أسبوع حيث دعيت لتناول الطعام على الباخرة النيل التى حملت معداتنا والحملة الميكانيكية لوحداتنا ، ومن جديد هبت روائح مصر الحبيبة ..

مرت أيامنا فى الحديدة ؛ يُسْرها فى عدم تكليفنا بشىء تقريبا ، وعسرها فى انتظار المجهول ،

وفى المناخ السىء ، فدرجة الحرارة نهارا مرتفعة بدرجة يصعب تحملها والأمطار غزيرة والعواصف ترابية منفرة ، والليل بارد قد تنخفض درجة الحرارة فيه إلى ما يقرب من الصفر . وبالطبع فإن قبل ذلك وبعده ؛ البعد عن الوطن وافتقاد الأهل والحنين للأحبة .

استطعنا خلال الأسبوع التعرف على أسماء الكثير من المحاور وطبائع الأمور فيها ، وتقديرات المخاطر فى كل منها وعرفنا أن أخطر المحاور هى الجوف وصعدا وإن لم يكن فيما عداهما من المحاور ما يتصف بأى درجة من الأمان .

تلقينا أوامر االتحرك يوم الأحد ، وبدأنا التنفيذ فجر الأثنين 30/ 3 لكى نتمركز فى صنعاء كاحتياطى للقيادة العامة للقوات العربية فى اليمن واعتبارا من اليوم أصبحنا فى المنظومة القتالية فى اليمن .

الطريق المعجزة

العمليات العسكرية الرئيسية أربعة : الدفاع DEFENCE . الهجوم ATTACK . التقدم ADVANCE . الانسحاب WITHDRAWAL . والذى يطلق عليه أحيانا ؛ التقدم للخلف . وهناك عمليات فرعية ترتبط بأحد هذه العمليات فالكمين والإغارة مثلا يرتبطان بنوع من الدفاع ، وهو الدفاع النشط ، وأيا كانت التفاصيل وكيفما كانت دقة معلوماتى فإن المؤكد أن التقدم وهو تحرك القوات إلى الأمام وصولا إلى الموقع المناسب للعمليات المخطط لها ؛ عملية عسكرية .

واليوم الاثنين 30 مارس كانت أولى عملياتنا العسكرية فى اليمن وهى عملية التقدم للوصول إلى مدينة صنعاء العاصمة عبر الطريق الأعجوبة : الحديدة – صنعاء .

من المعسكر وحتى بداية الطريق عشرة كيلو مترات قطعناها فى ربع ساعة وهزنى بعمق شديد هتاف اليمنيين الذين مر بهم القول : ينصرك يا ناصر .

وقفة فى بداية الطريق خلالها وجبة الإفطار على أرض الطريق ثم فى العربة . لم أجد فتاحة العلب فأمسكت بعلبة البولوبيف ووضعتها على الأسفلت الخشن وضغطت عليها بقوة ، ثم مررتها جيئة وذهابا بسرعة حتى تآكل الإطار المعدنى البارز للغطاء فألقيت به ، ثم قلبت محتوى العلبة فى الكانتين (وهو طاسة صغيرة لها يد تنطوى) ثم أشعلت قرصا من الوقود الجاف للتسخين ، ومع قطعة جبن نستو وخمسة بسكويتات ، وجرعة ماء كان افطارى . تأملت جانبى بداية الطريق فإذا الأرض كما خلقها الله لم تمتد لها يد إنسان ؛ سهول متسعة تغطى مساحات منها كثبان صغيرة تتخللها الأعشاب ، لا مبانى ، لا زرع ، لا عمران ، لا بشر ، لا أحد على الطريق سوانا ..

إذا اعتبرنا أن الطريق يبدأ فى الحديدة عند مستوى صفر من سطح الماء ، فإنه يظل يتصاعد بدرجة ميل حادة يصعب أن تجتازها المركبات إذا اتخذ الطريق خطا مستقيما ، لذا لجأ مصممه إلى طريقة الزجزاج مما يطيل المسافة وبالتالى تقل حدة الميل . وقفنا عند بداية الطريق لمراجعة وتصويب الاصطفاف ، والاطمئنان على المركبات وعدم وجود أى مشاكل وأمرنا الجنود باتخاذ مواقعهم فى صناديق اللوارى وتأكدنا من وجود البيارق والحجارة اللازمة لتأمين السيارات عند التوقف وأجرينا بروفة عملية على الإجراءات وتصرف الجنود إزاء المواقف المختلفة ، ونظرنا إلى الأمام وإلى أعلا حيث يواجهنا الجبل فرأينا سيارات تعلونا بعشرات الأمتار تسير بشكل عرضى تختفى بعد مدة ، ثم تظهر من جديد وهى تسير فى اتجاه عكسى ، مما أكد لنا أن (زجزجة) الطريق تفرض على السيارات السير فى اتجاه اليمين ، ثم الارتداد للسير فى اتجاه اليسار فلا تقطع مسافة تذكر إلى الأمام بينما تصعد إلى منسوب أعلى ..

ألقينا بالتعليمات النهائية ، ثم ركبنا السيارات وتلقينا الأوامر وأعطينا التمام عن طريق اللاسلكى ، وتحركت عربة القائد فبدأ القول فى التحرك بالتالى . كان هدف التحرك فى اليوم الأول هو الوصول إلى قرية مناخة ، بعد منتصف المسافة بقليل (120 كم على الأرض ولا تزيد عن 70 – 80 كم فى الجو) .

على مسافة خمسة وعشرين كيلو مترا شاهدت قرية بيوتها على شكل أقماع مقلوبة أو متوازى مستطيلات يغطيها جمالون مصنوعة من القش وحولها جدب وقحط رغم أن باليمن خمسة عشر مليون فدان قابلة للزراعة ، وان المطر الغزير يسقط عليها طوال العام وأن جداول الماء تترقرق على ميول الجبال على الدوام رأيت النحف يسود كل شىء ؛ البشر ، الحيوانات ، والطيور . لا شموخ على هذه الأرض إلا للجبال التى بدأت أراها عند خط الأفق فى اتجاه الشمال الشرقى ورأيت من خلف القمم الأقل ارتفاعا ، قمما آخرى لجبال خلفها .

بعد أن قطعنـا سبعة وأربعين كيلو مترا علـى الطريق ، وصلنا إلى قرية باجل وتلقينا الأوامر بوقفة حيث استقبلنا أهالى هذه القرية الوطنية الجمهورية بالهتاف ، وودعونا بالتصفيق والتلويح والدعاء . سألت غلاماً عن اسم الطرطور الذى يضعه على رأسه فأجابنى " كوْفيَة خيزران " .

بعد خمسين دقيقة تحركنا ، وبدأت أنظارنا تقع على صور غنية بالرهبة ، جبال جبارة شاهقة الارتفاع ، بنية تميل إلى سواد ، سفوحها يسودها اللون الأخضر ، حتى الحجارة مخضرة وبعض الأشجار تتناثر خجولة وقصيرة .

عند الكيلو سبعين كانت أول انحناءة خطرة وتعثر القول حتى عبر عنق الزجاجة ثم تابعنا المسير فى تقدمنا نحو صنعاء قبل أن نتوقف فى منطقة تشرح النفوس ، مريحة للنظر وتبهج الناظرين عن اليمين جبال عالية ، وعن يسارنا سهل لا يتعدى خمسين مترا يتلوه جبل آخر ، وأمامنا ، ومن خلفنا جبال يشقها الطريق الذى ينتهى إليه جدول ماء يتساقط من مكان ما لا نراه لكننا نعرف أنه ينبع من تجمع على القمة فوق السحاب الذى يصطدم بها فينهمر المطر وينحدر إلى السفوح فأكلنا الفاصوليا البيضاء المعلبة والبقسماط وارتوينا من ماء الجدول ، وملأنا ما توافر معنا من العبوات مثل الجراكن والزمازم ، ثم تابعنا التقدم إلى أن وصلنا إلى قرية مناخة ، هدف التحرك فى اليوم الأول .

ليلة على الطريق :

وطبقا لخطة التحرك فإن وقفة مناخة طويلة تستمر حتى الصباح التالى ، ولمثل هذه الوقفة الليلية الطويلة ، إجراءاتها التأمينية ، فلابد من تعيين الحراسات الكافية ، وتلقى الملاحظات عن التحرك فى اليوم الأول لتلافيها فى اليوم الثانى ، ولابد من وجبة عشاء ووجبة إفطار فى الصباح قبل استئناف التحرك ، وبالتالى فقد كان فى استمرار ضوء النهار لساعتين من بداية الوقفة فرصة طيبة لاستطلاع المنطقة المحيطة بنا غير الطريق والجبل والجرف ، تجولت قليلا حيث شاهدت مواقع ك 20 وقائدها المقدم سعد منصور الذى كان مساعدا لكبير معلمى كلية الضباط الاحتياط ، ثم كانت وجبة شملت علبة فول أخضر – بسكويت وعلبةكومبوت كمثرى ، تلتها جلسة مع صديقى الملازم عبد الصمد فى كابينة سيارة لورى ، وفيها نمت ليلتى على بطانية فرشتها على المقعد ، وبالطبع فإن حظى كان أوفر فى الراحة من الصف والجنود الذين قضوا ليلتهم فى صندوق الحمولة أو افترشوا البطاطين على أسفلت الطريق بجوار السيارات . صحونا فى الخامسة والنصف صباحا ، قمنا بعمليات نظافة على استحياء وبقدر ما سمحت لنا كميات المياه المتوفرة ، أصلحنا من ملابسنا ، تناول كل منا ما رآه مناسبا من تعيين القتال الذى يصرف لنا فى العمليات مثل البسكويت والعجوة وتناول البعض قوالب الفولية وهى حلوى تشبه ما نتناوله فى المولد النبوى صنعت من الفول السودانى .

وقدم لى أحد جنودى كوبا من الشاى أعده فى علبة من علب الخضار المحفوظ ، أفرغت وتم غسلها وصناعة يد لها بسلك التف أعلاها ، أما الكوب فلم يكن يختلف عن البراد فى تصنيعه . كان

الطريق منحوتا فى ميل الجبل أو حتى فى جوفه أحيانا ، وكان الجانب الآخر من الطريق جرفا سحيقا وصل عمقه فى كثير من الأحيان إلى مئات الأقدام . كانت لدينا فرصة لكى نمعن النظر فى كل ما تقع عيوننا عليه وإن انحصر فى أربعة عناصر : الطريق – الجبل بما يعلوه من بيوت متناثرة ، وبعض المصاطب الجبلية المزروعة بالبن والقات والعنب – الهوة السحيقة وما ابتلعته من مركبات وبشر لا أعرف تقديرا لإمكانية انتشال جثثهم ودفنها ، ورابع هذه العناصر هى السماء التى تظلنا ، عفوا فقد تعود القلم كتابة هذه العبارة ، لأن السماء التى نعرفها فى مصر وفى كل الدنيا تظلنا ، لأنها دائما فوق رءوسنا ، أما هنا على هذا الطريق الأعجوبة – وخاصة عند مناخة فالسحاب ينساب تحت أقدامنا ، نقف على الطريق ، وننظر أسفل منا فلا نرى سوى سحابا يمر من تحتنا أو يحيط بنا فتنعدم الرؤية أو تقل طبقا لبعد المرئيات عن نواظرنا ..

فى السادسة صباحا توافرت لى الفرصة للتقدم سيرا على الطريق إلى جوار العربات التى ضيقنا الفاصل بينها إلى عشرة أمتار وعينا الخدمات اللازمة للتأمين والحراسة ، فوصلت إلى مقدمة القول لأجد مجموعة القيادة ومنها قائد سريتى المغوار حيث سلمت عليه وتخيلت المارشال روميلٍ خلال معارك الصحراء ، لقد رأيت فى تحمله لمسئولية قيادة القول المتقدم على مثل ذلك الطريق عملاً بطوليا وفوجئت به يهدينى زجاجة مشروب كندادراى علمت بعدها بأسابيع أن زملاء له بالشرطة العسكرية التقوه على الطريق ومنحوه عدة زجاجات منها فكانت هدية ثمينة ..

أما أكثر وأغرب ما استرعى انتباهى فكانت بيوتا تعلو قمما مدببة لا تزيد مساحة كل منها عن مساحة البيت التى يعلوها وتعجبنا من أمر هؤلاء اليمنيين وكيف ينحتون من الجبال بيوتا لا نرى طريقا يوصل إليها فتوقعنا وجود مدقات تصعد إليها على الميول الخلفية غير المنظورة لنا من الجبال .

المهم أننا تحركنا فى تمام السابعة فى اتجاه مفحق وتزايدت المصاطب المزروعة وبالتالى عدد البيوت العجيبة ووصلنا إلى ارتفاع (2700م) عن سـطح البحر ..

مررنا بسيارة متفحمة على يمين الطريق فحسدت ركابها حتى لو كانوا قد لقوا حتفهم فقد استشهدوا وهم بعد على الطريق ، وهم أسعد حالا ممن سقطوا بمركباتهم فى الهوة السحيقة ، فيلزمونهـا إلـى يوم يبعثون .. مضى القول فى تحركه المخطط إلى أن وصل إلى قرية مفحق وعندها كانت وقفة من جديد أهم ما فيها أننى نظرت إلى قمة تعلونى بمائتى قدم فوقعت عينى على علم جمهورية مصر العربية خفاقاً يرفرف ، فرفر معه القلب وأحسست بالفخر والطمأنينة فمعنى وجوده هو تمركز قوة مصرية تستر وجودنا وتؤمن الطريق لكل التحركات العسكرية .. وللقول الإدارى الذى يمر كل يوم وهو مجموعة من اللوارى (نصر) المحملة بكل ما تحتاجه القوات من تعيينات وأسلحة وذخائر ، وأفراد وغيرها نقلا من الحديدة إلى صنعاء وبالعكس .

تحركنا صوب صنعاء ، يفصلنا عنها سبعون كيلو مترا تقريبا ، وتكررت رؤيتنا لحطام المركبات وعند الكيلو (180) من الحديدة رأيت على يسارى منخفضا جبارا سحيقا قد يصل عمقه إلى مئات الأمتار تعلوه مصاطب خضراء تتدرج مرتفعة عن القاع بعشرات الأمتار ويفصل بينها وبين الطريق وادٍ عميق للغاية وضيق لا يزيد اتساعه عن عدة أمتار ، ودققت البصر فإذا ربوة عليها موقع وقف فيه ضابط يتابع سير القول الذى يضمنا ، وأمعنت النظر فإذا هو كمال حمزة ضابط من دفعتى ، فأشرت له وتعرف على وهبط مهرولا إلى الطريق حيث بطأت سير العربة وقفزت أعانقه فى سرعة وودعته بسرعة بعد أن عرف اسم التشكيل الذى يضمنى فوعدنى بزيارتى فى صنعاء قريبا .. ثم استمرت العربة فى سيرها مسرعة بعض الشىء لتعويض لحظات الإبطاء حتى استردت موقعها ضمن القول .. ووقع نظرى على أكثر المناطق ازدهارا واخضرارا ورأيت جدولا من الماء ينحدر من إحدى القمم ، وعند إحدى نقاطه تمر فوقه قنطرة أو معدية تنم عن حركة آدميين على جانبى الجدول حيث الزراعات .

عند قرية بوعان توقف القول . تناولنا طعاما يحتوى على البسكويت وعلب الفاصوليا المحفوظة ثم

تحركنا لكى نتوقف من جديد حين أبلغت العربة قبل الأخيرة فقدها رؤية العربة الأخيرة منذ بداية التحرك من بوعان ، وعبثا حاولنا الاتصال بها لاسلكيا ، فتوقف القول ، وعادت عربة القائد ومعها عربة حراسة مدرعة فى اتجاه الحديدة وبعد دقائق عادا ومعهما السيارة المفقودة التى لاحظ السائق سخونة محركها فأطال الوقفة قليلا حتى يبرد ويضيف مزيدا من الماء إلى الردياتير .

وبدأنا نرى صنعاء عن بعد ، ثم اقتربت رويدا .. رويدا حتى أصبحت فوقنا فقطعنا أكثر من عشرة كيلو مترات لكى نصعد إليها ودخلت عربات القول (مائة عربة) تقريبا إلى حيث تمركزنا بالقرب من مطار الروضة على مشارف المدينة .

وبدأت مرحلة جديدة من مراحل تواجدنا فى اليمن ..

كلنا احتياط

وصلنا صنعاء ليلا بسلام ، وقضينا ليلتنا بمعسكر الخيام على الطريق الواصل بين العاصمة صنعاء وقيادة القوات من جهة ، والمطار الرئيسى من جهة ، وطلع الصباح الأول من شهر ابريل ولم تفارق تفاصيل الطريق مخيلة أحد منا ، تحدثنا عنه وكأنه كدبة أبريل ، وتساءلنا كيف صنع هذا الطريق إن لم يكن بيد الجان ؟ وكم استغرق إنشاؤه من الزمن ؟ وأسئلة كثيرة . علمنا خلال الأسابيع والأشهر التالية معلومات – غير مؤكدة بطبيعة الحال – لكنها كالطريق نفسه أقرب إلى الأساطير ، أشهر رواياتها وأكثرها طرافة ، أن الإمام يحى حميد الدين والد الإمام أحمد يحيى حميد الدين كلف مهندسا صينيا بإقامة الطريق مقابل ستة وعشرين مليونا من الجنيهات الاسترلينية . استغرق العمل المضنى عشرة سنوات من التخطيط والتنفيذ الذى قام به الألوف من المهندسين والعمال .. وبعد وفاة الإمام يحى وقبل انتهاء العمل ، جمع الإمام أحمد المنجمين ليقرأوا طالعه فأبلغوه أن هذا الطريق سيكون شؤما عليه وسببا فى زوال ملكه .

وذهب المهندس الصينى إلى الإمام يهنئه باكتمال العمل فى الطريق ويطالبه بقيمة المقاولة وأجاب الإمام : أنا لا أريد هذا الطريق المشئوم . نزلت الصاعقة على رأس المهندس الذى تماسك وأجاب : لكن وزير الأشغال وقع العقود مع شركتى ، فأوتى بالوزير حيث قطعت رأسه ، ولم يحتمل قلب المهندس هذه النتيجة ومات بسكتة قلبية .

رواية آخرى مشابهة أن الذى تعاقد على الطريق هو الإمام يحى قبل وفاته ، وعندما نفذ المشروع كان الإمام هو أحمد بن يحى وحين طالبه المهندس بقيمة العقد . قال الإمام : لكننى لم أطلب منك تنفيذ شىء . قال المهندس : والدكم الراحل : طلب ذلك . رد الإمام : ووالدى كما قلت قد رحل . قال المهندس : ووزير الأشغال وقع العقود فأوتى بالوزير وضربت عنقه . خرج المهندس فى حالة هستيريا وقاد سيارته حيث انقلبت به فى جرف سحيق على جانب الطريق ..

أياً ما كانت القصة أو الأسطورة فدلالتها واضحة عن جهل وقسوة الأئمة فى اليمن ، لكن الحقيقة التى ستبقى ماثلة أن الطريق عمل هندسى بديع تفخر به الصين صاحبة السور العظيم ، ويعجب بشأنه اليمنيون ، ويستفيد منه المصريون الذين لا يتخيلون كيف كانت تسير تحركاتهم الرئيسية ما بين الميناء والعاصمة بدون هذا الطريق المعجزة فى إنشائه المعجزة فى إمكانية طيه دون أن يلقى عابره حتفه .

نكتة يتبادلها المصريون للتدليل عما فوجئوا به من التخلف فى كل ربوع اليمن ، تقول : إن أبانا آدم طاف فى صاروخ يستطلع ما فعله أبناؤه فى الأرض فرأى مبان عالية تناطح السماء قال : ما هذه ؟ قيل له بلد تسمى أمريكا .. ثم رأى أنوارا تأخذ العيون فتساءل عنها ، قيل هذه مدينة باريس ، ثم رأى خضرة وزراعة ممتدة ، قـال : وهذه ؟ قيل له قارة اسمها استراليا .. فجأة هتف آدم : هذه هى اليمن . أليس كذلك ؟

مضى أول أبريل ، أول أيامنا فى صنعاء فى أعمال إدارية لتنظيم معسكرنا والترتيب لأداء دورنا القتالى .
فى اليوم التالى وضح لنا أن فترة تواجدنا فى صنعاء كاحتياطى قيادة عامة قد تطول نسبيا لذا تستقر حياتنا بنمط يشابه وجودنا فى معسكر بمصر ، لنا واجب يومى ضمن خطة للتدريب مع اختلاف طبيعته ، وواجب عملياتى ينحصر فى الداوريات على مستوى مدينة صنعاء ومرافقها الرئيسية ومنشآتها العامة ، والقيام بأى عملية تكلفنا بها القيادة فى العاصمة أو أحد المحاور التى تحتاج إلى إسناد أو معاونة .
عن عملنا اليومى كان التدريب يركز على رفع اللياقة الجسمانية والتأقلم مع البيئة التى نعيش فيها ، مجموعة من الطوابير المعتادة من التعليم الأولى والسلاح وغيرها مع إفساح مساحة متسعة للرياضة سواء بالتمرينات المعروفة باسم المجموعة التكوينية أو الجرى بالخطوة السريعة ويتخلله صعود الجبال بالإضافة إلى مباريات كرة القدم والطائرة ..

الأسواق :

أما بعد الظهر فالوقت مفتوح لغير الضابط النوبتجى ، وزميله المكلف بقيادة الداورية . كانت مجموعة تنتظم فى مباريات رياضية ، بينما تنظم مجموعة آخرى مسابقات فى الشطرنج أو الدومينو وتتفق مجموعة ثالثة على التسوق فى المدينة ، وفى صنعاء كانت أهم الأسواق ؛ سوقان : الأول حضارى تتقدم صورته بسرعة ويتجه إلى أن يكون مثل الشوارع التجارية فى القاهرة على غرار شارع 26 يوليو مع تدنى المستوى قليلا ؛ محلات رأيناها تزدهر وتتحسن صورتها وتتنوع بضائعها وكان التحسن ينتج عن أسلوب ونمط العملية التجارية ، فالبضائع ترد إلى السوق عن طريق عدن باليمن الجنوبية ، مستعمرة بريطانية متحضرة إلى مستوى يقع فيما بين مصر واليمن ، يحضر التجار العدنيون بسيارات اللاندروفر ومعهم أنواع من البضائع يشتريها التاجر اليمنى على سبيل العرض وإنتظار البيع .. الزبائن بالنسبة للأجهزة وأدوات المطبخ مصريون . التاجر اليمنى يعرض البضائع ويكتب – أو يحفظ – أسماءها وأسعارها ، يسأل الزبون المصرى عن جهاز ما مثل ريكوردر أو كتشن ماشين ، ويبدى التاجر اليمنى اندهاشا وانعداما لمعرفة المطلوب ثم يعطى الزبون ورقا وقلما ليكتب اسمها ويطلب منه العودة بعد أسبوع ، ومع الزيارة التالية للتاجر العدنى ، يسلمه الورقة ويطلب منه إحضار (حبتين) منها أى وحدتين ، وهكذا مع كل زيارة من زبون ومن التاجر العدنى يضاف صنف أو أصناف جديدة لأرفف المحل . كنا نسأل التاجر عن جهاز معين فيقول : " ما بش " أى ما فيش أو غير موجود ونشير إليه على الرف ، فيقول : أه هذا ؟ هذا بسبعين ريال أو ثمانين ..
فى البداية كانت الأسعار محددة يصر عليها التاجر لأنه كان يحددها على أساس ما دفعه للتاجر العدنى مضيفا ما يراه عادلا مقابل جهده ومصروفاته ولكن – ومع الوقت ونتيجة لفصال المصريين وإصرارهم على تحقيق خصم ما مما يحدده التاجر أصبحوا يحددون رقما أعلى مما يريدون البيع به ، والسماح بهامش للفصال وصولا للرقم الذى يرضونه ..
وخلال عامين من وصولنا إلى اليمن كانت بعض المستودعات بشارع جمال عبد الناصر وميدان 26 سبتمبر قد وصلت إلى درجة متقدمة من التنظيم بوجود أقسام للأجهزة وآخرى للساعات وثالثة للسجاد أو الكاميرات وغير ذلك وأصبحت أبواب المحلات زجاجية والداخل مكيف الهواء بينما عبق العطور يفوح من المكان وفى الخلفية موسيقى هادئة SLOW أو صاخبة من فرقة الخنافس BEATLES تنبعث من أجهزة التسجيل والباعة متمرسون فى العرض وتحديد الأسعار ..
أما السوق الآخرى ، فهى سوق الملح ، سوق شعبية تقع من داخل بوابة الحرية التى كانت تعلق عليها الرءوس المقطوعة بالقصاص ، كانت سوقا تضم مستودعات قليلة وحوانيت كثيرة تستطيع أن

تجد فيها كل شيء إلا صاحب الحانوت فى أوقات عديدة ؛ عند الصلاة ، وعند التكوير حين يكون الحاضر الغائب موجودا بالحانوت ، ولكنه غائب عن الإدراك (خارج الخدمة) والسوق شارع طويل متعرج وضيق لذا فهو مظلم نسبيا واسمه شارع ذى يزن تتفرع منه شوارع أكثر ضيقا لتربطه بشارع موازٍ له ، والأفضل لك أن تتسوق قبل الثانية عشرة أو بعد الرابعة لأنك فيما بينهما ستجد الباعة جميعا فى وضع الراحة ممددين وسعداء يفضلون متعتهم بالقات على صفقة بألف ريال .

المساء والسهرة :

أما فى المساء والسهرة فالأنشطة هى كتابة الخطابات على ضوء فانوس هوركن أو تجاذب الحديث والسمر مع الرفاق إلى أن تحل العاشرة حيث يسود الصمت وينطلق الخيال مع أم كلثوم ولقد كادت أن تصبح مرادفا لمصر ، فهى الرابط بيننا وبين مصر عبر الأثير. كانت الملهمة ومحركة المشاعر والأحاسيس ، فكل يسبح معها يبكى على ليلاه ، كان اختراع جهاز الراديو ترانزستور قبل سنوات من رحيلنا إلى اليمن نعمة كبرى . اقتنى كل منا جهازا يابانيا متعدد الموجات ، وكان الكل يترقب وصلات أم كلثوم الليلية فيتذكر واحد زوجته ، وآخر يهيم شوقا إلى حبيبته أو خطيبته وثالث يذكر الأهل والأصدقاء ، ومن لا تتحرك فيه مثل هذه المشاعر كان يتوسع فى معانيها لكى يتغزل فى حبيبتنا جميعا : مصر .

أذكر فى قصص الوله والعشق لأم كلثوم ، وارتباط الجميع بمواعيد إذاعتها ومتابعة ما تشدو به فى تركيز أن وجدى ناصر قائد نقطة القتال الخارجية ، وهى فصيلة تحتل تبة منفصلة عن الموقع الرئيسى للواء متقدمة عليها كنقطة إنذار وتتعامل بالنيران مع أى مهاجم لتعويقه عن مهاجمة الموقع الرئيسى إلى أن تكتمل جاهزيته للتعامل مع العدو ، وهى نقطة خطيرة للغاية وتتطلب يقظة ومراقبة دءوبة ، أذكر أن وجدى وكان كوميديا تلقائيا لو اتجه إلى الفن لسبق عادل امام وسعيد صالح فى النجومية وعشق الجماهير ، اتصل فى الثالثة فجرا برئيس أركان اللواء العقيد اسماعيل صبرى رحمه الله حيث استشهد فيما بعد . انزعج الرجل لرنين التليفون فى هذه الساعة وخصوصا أنه كان تليفون الربط مع نقطة القتال الخارجية ، ورد : آلو .. مين ؟ وجاء الرد : أنا وجدى سيادتك نايم يا افندم ؟ قال العقيد فى حدة وقلق : فى إيه يا وجدى ؟ ورد وجدى فى هدوء أو برود : سيادتك عمرى يا أفندم . قال العقيد غير فاهم للعبارة ومحاولا تذكر أى عبارة كودية متفق عليها للإبلاغ عن عمليات يكون قد نسيها فى لحظة اليقظة المفاجئة : بتقول إيه يا وجدى ؟

ورد وجدى من جديد : سيادتك عمرى يا فندم . قال العقيد : يعنى ايه يا وجدى ؟

قال وجدى : الست بتغنى سيادتك عمرى يا افندم .

استشاط القائد غضبا ورد باقتضاب : سيادتك مكتب يا حضرة الضابط ، أى يعرض عليه فى مكتبه للمساءلة القانونية . وانتهت المكالمة .

بقية المتابعات الإذاعية انحصرت فى الأخبار من محطة لندن للإذاعة العربية رغم التشويش الشديد ومباريات كرة القدم ، وقد كان منا كثيرون شغوفون بالساحرة المستديرة بأكثر من شغفهم بأى شىء عداها .

كان برفقتى فى دشمتى ولفترة طويلة ضابط مدفعية الميدان أحمد حسن ندا إبن اللواء حسن ندا قائد سلاح الفرسان فى عصره الذهبى ، وكان زملكاويا بدرجة تثير الحنق فكان فى أى يوم يلعب فيه الزمالك مبارة مع أى ناد من أى مستوى وفى أى مسابقة .. يصلى الظهر ، ويظل جالسا على سجادة الصلاة ، وأمامه الترانزستور يتمتم لا أعرف بم ، لا يتحدث مع أحد ، ولا يتناول طعام الغذاء حتى تنتهى المباراة ويفوز الزمالك فتتهلل أساريره ، أو تقع المأساة ويخسر الزمالك وتقع الواقعة ويكون يوما من أيام الحداد والصوم عن الكلام ، ولقد كنا نعرف أنه متزوج حيث (الدبلة) فى بنسر كفه اليسرى ، إلى أن تلصص زميل وقرأ اسم الزمالك محفورا داخل الدبلة ..

هذا الجانب من حياتنا بكل تفاصيله كان يمثل مخفف الصدمة أو مسكن الألم لأن الأمور لم تكن كلها ولا معظمها . أم كلثوم وكرة القدم والبضائع التى تملأ الأسواق ، فحين كان بعضنا يسمح لنفسه ، أو يُسمح له بأن يغنم بمثل هذه الأمور كان آخرون يؤدون واجبات تتعرض فيها حياتهم للخطر فى كل لحظة ... وكانوا هم أنفسهم يحملون تلك الأمانة حتى يتمكن زملاؤهم من تقاضى نصيبهم من المتعة ، وهذا الجانب هو ما يأتى عنه الحديث تفصيلا .

لقاء مع القائد :

يوم الأحد الخامس من أبريل زارنا الفريق أول عبد المحسن كامل مرتجى قائد القوات العربية فى اليمن ؛ قائد متزن له هيبة وبساطة . أحد القادة العظام . فى تقاطيعه نبل ، وفى كلماته ثقة ، هنأنا بسلامة الوصول وقال إن تشكيلنا وصل إلى اليمن فى فترة هدوء نسبى ولا ينبغى أن نتعامل مع ذلك على أنه الوضع الطبيعى وأن نركن إلى التكاسل ونتخلى عن الحيطة والحذر ، ولكن علينا مواصلة التدريب ليلا ونهارا ، علينا اليقظة والمتابعة فنحن فى ميدان حرب . انصرف الصف والجنود ، ودعى الضباط إلى الميس لاجتماع مع القائد حيث قال : أن العدو الذى نواجهه ليس الشعب اليمنى وإنما شريحة غير محددة منه وأن مستوى الوعى السياسى والقومى لديهم تدنى عبر قرون القهر والعزلة ، وأن القبلية تفرض على اليمنى طاعة شيخ القبيلة وليست دواعى الوطنية أو القومية ، والمال يلعب دورا كبيرا فى شراء بعض الضمائر وانتشار السلاح فى يد الجميع وكل ذلك يفرض الوعى للتعامل مع حالة خاصة من الحروب فى ظروف تضاريسية قاسية ومناخية غريبة علينا .. وتحدث عن نظام الأجازات وتمنى لنا التوفيق والنجاح فى أداء المهام التى توكل إلينا وتمنى لنا الأمان وسلامة العودة إلى الوطن .

يوم الثلاثاء السابع من أبريل : عرض عسكرى فى مدينة صنعاء ، والسبب لا أعرفه حتى الآن وأستنتج أن يكون استعراضا للقوة كعنصر من عناصر الحرب النفسية على العدو .

وصف صنعاء :

أما صنعاء فمدينة صغيرة تقبع فى أعلى منخفض فى الدنيا ، نعم هى أرض سهلة منخفضة وسط جبال شاهقة وقمم متناهية الارتفاع ففى الطريق إليها ترتفع الجبال حتى تصل إلى ما يقل قليلا عن ثلاثة كيلو مترات عند جبل النبى شعيب ثم تبدأ فى الانحدار إلى أن تصل إلى سهل منخفض تقبع صنعاء فى وسطه ، ومدينة صنعاء كانت عند قيام الثورة يوم 26 سبتمبر 1962 تعادل قرية مصرية ؛ شوارعها غير مرصوفة وبيوتها إما طين ، وإما حجارة فى حالة المصالح الحكومية والسفارات وبيوت قلة من الأثرياء ، وهى مزودة بالماء والكهرباء ولا أعرف ولا يعرف غيرى عدد سكانها وهم تجار أو زراع ، وتقدير سكان اليمن جميعا لا يزيد على أربعة ملايين ونصف مليون ، ويروى أن الثورة حين قامت لم تكن ظروف قيامها ولا القوة تحت سيطرتها ، تمكنانها من الصمود ضد أعدائها فاستغاثت بالقوة التحررية الوحيدة وهى مصر ، ودعا جمال عبد الناصر رفاقه لدراسة الأمر وكان الصوت واجب السماع هو صوت أنور السادات الوحيد من بينهم الذى زار اليمن لحضور اجتماع مجلس الاتحاد العربى الذى كان يمثل مصر فيه بدعوة من أحمد الشامى ممثل اليمن وحضور العضو الثالث ممثل سوريا ، ويقال أن السادات شبه صنعاء بميت أبو الكوم حيث أن كتيبة من أفراد الصاعقة بأوفرولاتهم المموهة وصيحاتهم المدوية يمكنها السيطرة على المدينة ، ولاقى ذلك عاملين فى نفس جمال عبد الناصر .

الأول : أن هذه الصورة جاءت بعد عام (ناقصا يومين) من انفصال سوريا عن مصر فلم لا يكون اليمن – إضافة إلى رد الاعتبار – إحياء لروح الوحدة والتضامن العربى ؟

الثانى : أن جمال عبد الناصر وقد أتم دوره فى تحرير الجزائر عليه أن يكمل المشوار بتحرير عدن التى تحتلها بريطانيا وتتحكم فى مضيق باب المندب المدخل الجنوبى للبحر الأحمر ، وهو يعرف أن هذا البحر يمكن أن يكون بحيرة عربية لولا أنه يبدأ فى الجنوب باحتلال بريطانى وينتهى فى الشمال بميناء إيلات

الإسرائيلى (أم الرشراش العربى سابقا) .
إتخذ القرار بإرسال لواء ، وتفاقمت المساوىء فتضاعف ثم كانت المدفعيات والمدرعات والطيران وأصبح لنا جيش كامل .
ونعود إلى صنعاء العاصمة المتواضعة للدولة ذات التاريخ والتى قهرت قديما كل جيوش الغزاة ؛ العثمانيين والبريطانيين ، وإذا كان الهولنديون يتفاخرون بإضافتهم ثلثى أراضى وطنهم بردم البحر حتى سميت بلادهم بالأراضى الوطيئة LOW LAND ويطلقون عبارة : " الله خلق العالم لكن الهولنديين صنعوا هولندا " فأنا أقول على غرارها وبقلب دلالتها : " الله خلق العالم ، واليمنيون أضاعوا اليمن " مدينة صنعاء غريبة فى كل شىء ؛ طبيعتها ؛ جبال وسحب ؛ خرجت من خيمتى فى السابعة صباحا فلم يدلنى الجو المحيط على توقيت محدد فى النهار أو الليل ، رأيت نفسى واقفا وسط السحاب يلفنى تماما نظرت إلى سلاسل الجبال التى أراها كل صباح فى مواجهة خيمتى فلم أرَ منها واحدا ، حاولت ودققت النظر فلم أر سوى السحب التى نعيش وسطها ، ومع ارتطام بعضها بالقمم العالية تدفقت السيول مركزة فى كمها ، كبيرة فى حجم نقاطها ، مضت ساعة ثم بدأت السحب التى تحيطنا ، ترتفع قليلا ، ومع ارتفاعها بدأت السفوح تتكشف ، لكن القمم استمرت سابحة فى بحر من الغيوم الكثيفة . كان المنظر بديعا إذ بدت السحب فى صعودها كأبخرة حبسها غطاء إناء فيه ماء على النار ، ثم انكشف الغطاء ، ومن جديد كانت السحب تسقط على الأرض وتحجب الرؤية ، ثم تتصاعد ونتمكن من رؤية الأشياء القريبة مثل أصابعنا ، ويعود المطر من جديد ، وسيكون الحديث عن المطر متجددا لأنه أحد المفردات القليلة التى تفرض نفسها على حياتنا باليمن ..
وصنعاء غريبة فى سكانها ؛ الإنسان اليمنى ضعيف البنية ، لكنه شديد الصلابة ، تسكنه الأمراض ولا يلقى أى نوع من أنواع الرعاية الصحية ، وغذاؤه فقير ، وهو فى الأغلب الأعم نحيف القوام يتعاطى من مخدر القات ما يستهلك معظم دخله ومعظم صحته كما يتعاطى البعض ما يسميه "شمة" وما أرى تسميته مصَّه لأنه مسحوق أصفر اللون يضعه فى فمه ، ثم يخرجه فى شكل بصقات مقززة . ونسبة الجهل ضاربة وإن تحلى البعض بحكمة التاريخ وفلسفة الفطرة ، فاليمن صاحبة تاريخ واغل فى القدم وحضارة فيما قبل التاريخ وهى قبلة رحلات الشتاء والصيف ومغذية الجزيرة العربية بكل حاجتها فى قوافل التجارة لأهل مكة ، ويقال لهم أخوالنا لأنهم أصحاب الهجرات القديمة إلى مصر وبالأخص إلى صعيدها .. الإنسان هنا لماح وذكى يحفظ عن ظهر قلب ما يراه أو يسمعه ، حواسه حاده خاصة السمع والبصر ، رشيق ، خفيف الحركة أكسبته الجبال صلابتها عَوده الفقر على الخشونة والتقشف فلديه القدرة على العيش فى الوهاد أسابيعا يقتات قليلا من الزبيب أو الشعير ، لكن حقب القهر والحكم الجائر الطويلة جرفت كل الصفات الطيبة ، وتركت الإنسان اليمنى بفقره وعوزه يرنوإلى عدة ريالات أيما كان مصدرها ، وبجهله لا يميز بين الخبيث والطيب ، ويصدق ما يقال له خاصة لو كان من أميره أو شيخه .
أما الجوانب الأمنية وطبيعة العلاقات بيننا فتحتويها حكايات طويلة عن القتال ..
استمرت حياتنا فى صنعاء نعمة ونقمة فنحن نقيم فى تخوم مدينة بها شوارع وأسواق ، وبها قيادة القوات نستمد منها القوة فى مكانتها ، ونؤمنها ضمن واجبنا القتالى ، يسهل علينا التواصل مع مصر عن طريق البريد والصحف والطرود ، ونحن نقيم بالقرب من هيكل طائرة اليوشن بقيت كما هى كنصب أو علامة تذكر الأطراف بما لاينبغى أن ينسوه ، كما أنها نقمة لأن واجبنا فضفاض فعلينا القيام بعمل داوريات تأمين المدينة ومرافقها ، وعلينا أن نستطلع المحاور المختلفة التى يحتمل تقدمنا إلى أحدها لمساندة القوة القائمة على الدفاع عنه وعلينا التدريب الجبلى المرهق لتقطع الأنفاس نتيجة لشح الأكسجين .. وعلينا أن نشارك فى عرض عسكرى ، يمكن – وببساطة – أن ينقلب إلى اشتباك دام لأتفه سبب أو أقل خطأ فى الحساب ..
فى السابع من ابريل قمنا وأجرينا الاستعدادات اللازمة وأهمها التزود بكمية من الذخيرة تكفى

لمعركة فيما لو نشبت ، انتقلنا بالسيارات إلى موقع التجمع ، وبدأ الاستعراض يتقدمه حملة الأعلام فطلبة الكلية الحربية اليمنية ، ثم قوات لوائنا تصحبها الموسيقات العسكرية تصدح بآلاتها النحاسية وقرع الطبول ، وتجمعت جماهير غفيرة أخذت تهتف بحياة جمال عبد الناصر والقومية العربية ، وأبديت عجبى وأسفى إذ لم أسمع هتافا بحياة عبد الله السلال الرجل الذى قاد الثورة معرضا نفسه لموت محقق ، كان كل الهتاف لجمال عبد الناصر ولنا ؛ الأبطال الذين حرروا اليمن .

الحرب على الذباب :

كان الذباب فى اليمن يؤرقنى فهو كثير بشكل يصعب وصفه ، وهو أكثر سماجة من ذباب المقابر عندنا يلتصق بالجلد لا يفارقه إلا إذا قتل ، وكأنما تتوافر له شبكة اتصال جيدة ، فحين تحاول طرد عشرات من افراده يستدعى عشرات الألوف لتجد الهواء من حولك وقد ازدحم بالذباب وتسمع طنينا يمثل تهديدا مخيفا ، وذات مرة شكوت من ذباب صنعاء فى حضرة زميل حضر من محور صعدة ، فضحك ، وأقسم أ ن هذا الذباب خفيف الدم ، على خلق ، وله فى الذوق والأدب نصيب إذا قورن بذباب المحاور الذى يلدغ ويعض ويبلغ حجمه ضعف حجم ما نعرفه من الذباب ، لذا يبيعون "السائل حق الذباب " الذى يماثل شل توكس قبل معرفتنا بالبيروسول بسعر مبالغ فيه .

أتحدث عن الذباب لأننى كنت قد قرأت أن أول ما فعله الفيلد مارشال مونتجمرى بعد توليه لقيادة الجيش الثامن فى الصحراء الغربية هو تكليف جنوده بمقاومة الذباب والقضاء على أسباب وجوده وتكاثره ، واعتبر ذلك من أوائل عوامل النصر ، فالروح المعنوية لها الأثر الأكبر فى كسب المعارك ..

ولما كنت أحد (الموسوسين)فى النظافة فقد اشتريت على نفقتى مضارب ذباب بلاستيكية بعدد أفراد فصيلتى وكلفتهم بعدم تركها طوال فترة يقظتهم ومحاولة كل منهم قتل عشرين ذبابة على الأقل يوميا ، هذا من ناحية المقاومة ، أما الوقاية فقد أمرت رقيب الفصيلة بتعيين خدمة يومية من فردين يكلفون بجمع القمامة ومخلفات الطعام ، وخاصة علب الخضار واللحم المحفوظ وحملها إلى حفرة خلف الموقع وعكس اتجاه الريح لإلقائها وحرقها ، وردمها كل اسبوع وحفر غيرها .

الأعمال الادارية :

كان الاستحمام عملية معقدة حيث اضطررت ، ولمرتين أن أكلف جنديين بإخلاء خيمتى من الأسرة والحقائب وغيرها وإحضار جيركان مياه ، وصفيحة جبن فارغة من مخزن التعيين بعد غسلها وتنظيفها ودورق بلاستيك بيد ثم حفر مجرى من داخل الخيمة إلى خارجها ، ووضع أرضية صغيرة من الخشب لكى أستحمم داخل الخيمة ، ولكنى أحسست أن ذلك سيعرض جو الخيمة لنوع من التلوث وتجمع الماء إلى أن يجف مما قد يجذب الذباب والبعوض ، فكنت أقطع أربعة كيلو مترات لكى آخذ دشا فى وحدة آخرى جهزت لهم وحدة المهندسين العسكريين حماما من الصاج المعرج ووضعت فوقه خزانا من الماء وحفرت مجرى للماء إلى الميل الخلفى للهضبة التى يحتلونها وقد منَّ الله علينا بمثل هذه الرفاهية بعد فترة وجيزة .

أما دورة المياه فكانت حفرة عميقة تعلوها أرضية خشبية على شكل الموزايكو بالمراحيض فى الريف ويسترها عن العين تزلك أدبخانة وهو قماش مماثل لقماش الخيام مدكك بقوائم خشبية ويلتف حول القاعدة ونطلق على ذلك مسمى أدبخانة ، وبالطبع فإن وسيلة النظافة هى زمزامية من الماء ..

أما الطعام فكان المتاح منه لا يرقى إلى الدرجة التى نرضاها ، ذلك أن الطعام فى مثل هذه الظروف هو أحد المتع القليلة حيث أن إشباع باقى الغرائز يعتبر حلما مؤجلا بالضرورة ، لذلك كنا نكلف زملاءنا الذين يسمح لهم بالسفر إلى مصر فى مأمورية أو فى أجازات حين بدأت أو أصدقاءنا وزملاءنا فى

الوحدات الأسبق علينا بإحضار أطعمة من القاهرة وهى على نوعين ؛ مطهى مثل صوانى الرقاق والمكرونة والحمام المشوى واللحوم المحمرة والمشوية المحفوظة فى صفائح السمن ، والدجاج المحمر والكشك والكبيبة الشامية وهذه الأصناف تبعث بها أسرنا مع الزملاء عند عودتهم من القاهرة ، فيدعو صاحب الطرد كافة الضباط إلى وليمة تشع جو القاهرة ، وصحبة الأهل ، أما النوع الثانى فهو منتجات مصرية يشتريها الأهل من السوق ويحسنوا تعبئتها ويبعثوا بها إلينا مثل الزيتون الأسود والبسطرمة والطرشى والمربى والحلاوة الطحينية والبيض المسلوق وليمون البنزهير بعد تغليفه بالشمع فى حمام مياه ، وأحيانا كنا نحظى بوجبة من الفطير المشلتت والجبن القديمة ..

نضيف إلى ذلك ما نصرفه من مخزن التعيين من البقول ، والجبن البيضاء ، والفاصوليا البيضاء وغيرها ، والتعيين الطازج مثل اللحوم وأنواع الخضار ، وفى مقدمة التعيين (الميرى) ؛ الجراية وهى أرغفة الخبز ، وكان كل منا يستطيع أن يستغنى عن أى صنف من صنوف الطعام بالبدائل ، ولكن الجراية ليس لها بديل فكنا حين ندعو بعضنا البعض على الغذاء أو العشاء نؤكد على عبارة : الحضور بالجراية !

<u>العمليات :</u>

الجانب العملياتى الرئيسى تمثل فى الداورية الليلية التى تمر فى شوارع صنعاء ؛ مدرعة ولوريان محملين بالجنود ومعهم الأسلحة الألية وعدد من الرشاشات والقنابل اليدوية فتمر بالمطارين المدنى والعسكرى ، ثم دار الإذاعة اليمنية ومنزل الرئيس السلال والشوارع الرئيسية مثل جمال عبد الناصر وميدان 26 سبتمبر .

حز فى نفسى خلال مرورى بمطار الروضة فى إحدى الداوريات أن ضابطا مصريا زميلى شدد على أفراد الحراسة اليمنيين بتوخى الحذر واليقظة وعدم السماح بالمرور لغير المسموح لهم بذلك حين قال : " لا .. يمنى ممنوع يمر .. مصرى تمام ممكن يمر " وتساءلت فى نفسى : هل يمكن أن يقول ذلك وفى داخله رضا ؟ وهل نرغب نحن فى ذلك على الإطلاق ؟ أم أننا نتوخى الحذر من طائفة واحدة من اليمنيين هم الملكيون والضالعون معهم من أعداء الثورة اليمنية .

الخميس 9/ 4 : قام قائد الكتيبة باستطلاع محور أرحب وبصحبته عدد من ضباط الكتيبة ، وعاد السبت التالى وقد تعرف على وحداتنا من اللواء السادس التى تحتل مواقع القطاع وأسماء القرى والقبائل وأصبح من المتوقع أن نحل نحن محل قوات اللواء السادس حين يتقرر رحيلها وعودتها إلى مصر .

الثلاثاء 14/ 4 : تحركت بصحبة قائد ثانى الكتيبة وقائد سريتى وقادة الفصائل واتجهنا إلى الكتيبة 36 حيث استأذنا فى استطلاع المواقع على الجبال المحيطة بالمطار والتى ستشهد المشروع الذى سأشترك به غدا ضمن السرية .

طفنا حول المطار بالعربة الجيب استطلاعا لتبة الحدوة وتباب النهدين وعند نقطة على المدق لم تتمكن السيارة من مواصلة السير رغم وجود فيتيس للغرز ونزلنا من السيارة ننظر من حولنا فوقعت عيوننا على منطقة مليئة بالأحجار الصغيرة التى تفرش الأرض ومن بينها تنبت الأعشاب والصبار والتين الشوكى وبفاصل أمتار تجذب النظر زهرة أو زهرتين تشذ بلونها عن المنظر الكلى ، ووسط اللوحة يمر مدق ضيق ، يضيق حتى يتلاشى على بعد أمتار يقطعه سور حجرى قصير ، وخلفه منطقة منبسطة بها تقسيمات هندسية رائعة على هيئة مربعات من الزرع الأخضر تجاورها أراض جدباء لم تزرع وربما لن تزرع ، وعن بعد تحيط بنا الجبال تلتقى قممها بسحب بيضاء . ثم عدنا نلتف على الجانب الآخر من المطار ونشهد صورة سيئة ؛ مدق غير ممهد فيه من البرك ما تضطر السيارة إلى خوضها دون معرفة ولا حتى توقع لعمقها مما يبرز الحاجة لسيارات برمائية – وبعد تقاطعات وانحناءات ، وارتفاعات

وانخفاضات وصلنا إلى النهدين اللذين نحتلهما غدا .. وبعد تمام الاستطلاع وتحديد طريق التقدم وخطة الهجوم والإحتلال عدنا إلى معسكرنا الذى أصبح بيتنا .

الأحد15/ 4 فى الصباح الباكر قمت بقيادة فصيلتى فى التحرك ضمن السرية إلى منطقة المطار حيث التفت كل الأسلحة المعاونة حول المطار للتعامل مع العدو من منطقة تبة الحدوة بينما اتجهت بفصيلتى إلى أحد النهدين المرتفعين المشرفين على المطار وهاجمت النهد بعمل وثبات بالجماعات ومن داخل الجماعات ، ورغم الإعياء حتى فى وجودنا فى السفح لقلة الأكسجين ، إلا أننا واصلنا التقدم وتسلق الجبل فى سرعة .. وأوشك كثيرون على الإغماء .. ثم وصلنا إلى القمة فى التاسعة صباحا ، وأحسسنا أنها تفرغ من الأكسجين . جلست دقائق أعانى من ضيق التنفس قبل أن أجمع القوة وهى فصيلة مشاة مدعمة بطاقمى مدافع ماكينة ثم أقوم بتوزيع الأفراد على مواقعهم وأرسم كروكى للموقع وتوزيع الأسلحة عليه .

وتناولت وجبة خفيفة من تعيين القتال قبل المرور على الأفراد وتأكيد مهامهم ، ثم راحة لقليل وقت وهبطت إلى السفح حيث تناولت غذائى بدعوة من قائد سريتى قبل أن أعود لأصعد ألف قدم قطعتها فى حوالى نصف الساعة وحين اقترب الليل رافقنى رقيب الفصيلة حيث مررنا بالأفراد وقمنا بتوزيع الخدمات وتلقينها بكلمة سر الليل ، وهى مفتاح المرور لأى فرد عبر هذه الخدمات ، وبعدها حاولت أن أستريح قليلا ، وداعب النوم جفونى فاستسلمت له ساعة ونصف الساعة ، قمت بعدها لأمر من جديد على الخدمات ويطلب منى قائد السرية الهبوط من جديد لتنسيق بعض المواقف مع باقى الفصائل ، كانت الساعة قد بلغت الثامنة ، وخيم ظلام كثيف لا يرى معه الإنسان كف يده فاليوم هو الثالث من ذوى الحجة وبالتالى فالقمر هلال لا يبدو للناظرين . أمسكت بكشاف صغير ضوؤه خافت ونزلت وحدى بخطوات سرعتها إجبارية لشدة الإنحدار محاولا تفادى السقوط فى جرف .. الصخور صلبة ولو تعثر الإنسان لدقت عظامه . كانت الأحذية العسكرية المتينة (البيادة) لا تحتمل هذه الصخور الحادة فتم إمدادنا بأحذية خاصة فى مادتها وفى لونها البنى الفاتح المماثل للون الصخور . واحتمالات وجود الثعابين والعقارب والطريشة والقرود الشرسة فى تجمعات ضخمة تشكل كلها مجموعة من المخاطر ـ كانت مجرد صدفة المواجهة مع أحدها كفيلة بإنهاء الحياة ، وكانت قفزة لم يقدر الإنسان لقدمه فيها موقعها كافية لسقوط الإنسان إلى السفح جثة هامدة .

الأثنين عشرين ابريل : كلفت بقيادة الداورية الليلية ، أعطيت الأوامر بتجهيز عربتين وجماعة مشاة وطاقم مدفع ماكينة وفردى م/ ع أى مهندسين عسكريين للتعامل مع الألغام بالكشف والتأمين , وطلب الملازمين عبد الصمد وسمير فريد مرافقتى ، وقبل التحرك صدرت الأوامر بالتوقف وانتظار قائد ثان الكتيبة لإعداد نفسه ومرافقتنا فى الداورية ، وبعد قليل تحركنا ، وأجمعنا أن المهمة كانت بحاجة إلى قوارب أو لنشات وليست عربات تجرى على عجلات فالعجلات بحاجة إلى طريق ، ولم نر طريقا وإنما كم من المستنقعات فى أراض رملية أو صخرية لم تمهد ولم ترصف ، وتذكرت مقولة أن كل شىء فى اليمن زفت إلا الطرق وكنت أستنكرها فهى توحى أن الطرق هى الشىء الوحيد الجيد ، ولكننى فهمت المغزى فالطرق الجيدة هى المرصوفة بالزفت !

ولما كان المطر ينهمر غزيرا فقد تحقق المثل فازداد الطين بلة وأصبحنا نسير فى ترع توحى إلينا بأننا فى البندقية ولسنا فى صنعاء ، بالطبع تزداد عملية الكشف عن الألغام صعوبة لأن هذه العملية تتم على المدقات الواضحة ..

كان نور السيارة يضىء سطح الماء فتنعكس عليه صور الأشجار والبيوت المنخفضة وكنا نمشى بغريزة التوجيه كما يقال فى الجيش عمن يطلق النار والبندقية عندعظمة السكرجة فى وسطه دون تنشين .

حقيقة أقوى من الخيال

الثلاثاء 21 أبريل : اليوم وقفة عيد الأضحى ؛ حمام منعش ، وغيار داخلى جديد ، بعض الكولونيا ، وماذا نملك أكثر لاستقبال العيد غير الترتيب لصلاة جامعة فى الصباح واستقبال العيد بالتكبير ؟!

أمرت بجمع السرية كاملة وجلست مع جنودى وقت المغرب أقول لهم : كل عام وأنتم بخير ! ونحن نقضى هذا العيد فى أعظم وأمجد الأعمال ، نقضيه فى نصرة قضية عادلة ومبادىء خالدة ومقدسات نعتز بها ؛ الثورة ، الوطنية ، والقومية .

تحدث قائد الكتيبة فأبلغنا أن كتيبتنا مكلفة صباح العيد بتنظيف أرضية ممر المطار بشكل دقيق حيث وردت أخبار عن قدوم شخصية "هامة جدا" فى طائرة نفاثـة يؤثر على محركاتها وجود "كسر" فى ممر المطار . ونعرف أن المشير عبد الحكيم عامر وهو نائب الرئيس ، ونائب القائد الأعلى للقوات المسلحة والقائد العام حضر مرات إلى اليمن ولم يسبق اتخاذ مثل هذه الإجراءات ، ورغم أن الشخصية الوحيدة الأهم من المشير هى الرئيس ، فإن ذهن أى عاقل لم يكن ليقبل هذا الاستنتاج ، فاليمن ليس فيها متر واحد مؤمن بدرجة تسمح بالاطمئنان لزيارة الرئيس - علقت بأننا عسكريون حضرنا إلى اليمن لنقاتل وليس للعمل كعمال نظافة فى مطار اليمن . وأرغى القائد وأزبد ، واتهمنى بافتقاد الحس الوطنى ، ورددت فى هدوء يتناسب مع مقام محدثى ، ويبتعد بالمناقشة عن أى مزايدة . فقلت أنا وطنى أحب مصر وأحب القوات المسلحة التى أغير عليها وأربأ بها من أن تهبط من أداء الواجب القتالى المشرف إلى عمل خدمى متدنٍ إلا لسبب قوى أفهمه .

الأربعاء 22 أبريل ، العاشر من ذى الحجة يوم عيد الأضحى ، تبادلنا التهانى قادة وضباطا وصفا وجنودا ثم انتقلنا إلى مطار الرحبة (الدولى) أو مطار صنعاء المدنى - ثم توزيع الشكائر الفارغة على الجنود حيث وقفوا على ممر الهبوط صفا متلاصقا ، وأمسكوا بالشكائر بعد تطبيقها وأزاحوا بها الكسر والأتربة وخلفهم صف ثان لتأكيد عملية التنظيف ، حتى أصبح الممر نظيفا وجاهزا لاستقبال طائرة الضيف الكبير ، وعند الظهر هبطت طائرة تابعة لشركة مصر للطيران وعليها بعض أفراد الحرس الجمهورى والمفروض أن ذلك يؤكد أن القادم هو الرئيس جمال عبد الناصر – لكن ذلك كان ما يزال ضربا مـن الخيال ، أو السذاجـة الفكرية .

عدنا إلى المعسكر وأثناء تناول الغذاء تلقينا الأوامر باستطلاع المواقع التى نحتلها اليوم على الطريق الواصل من المطار ، إلى مقر القيادة العامة للقوات وطوله تسعة كيلو مترات تقريبا ويقع معسكرنا فى منتصفه ، ووقع اختيار قائد الكتيبة على سريتنا التى أشغل فيها موقع قائد الفصيلة الأولى لعملية التأمين . ألقينا الأوامر لضباط الصف للتجهيز للتحرك فمن تتميم على الأسلحة والمعدات والذخيرة ، وتعيينات القتال إلى التفتيش على اللوارى التى تنقل القوة .. إلى غير ذلك ، وتحركت برفقة قائد السرية للاستطلاع على الأرض وتحديد المواقع الحاكمة التى يمكننا باحتلالها ، السيطرة على الطريق . كانت عملية صعبة فكل تبة تعلو الطريق نرى من خلفها جبلا أعلى ، وكل جبل نراه ، تقع عيوننا على قمة تهيمن عليه ، ولو تتبعنا ذلك لنصل إلى الأكثر سيطرة لوصلنا أو تجاوزنا حدود اليمن . وعبر من أمامنا بعض اليمنيين ، فرادى ، لفت نظرنا – رغم معايشتنا لهم شهرا – أن كل منهم يحمل بندقيـة ، ويتمنطق بخنجر ، فكيف نضمن ولاءه ؟

على كل حال فلقد تخيرنا عدة مواقع حددنا لكل منها من يقوم باحتلالها ، والأسلحة اللازمة لذلك ، وراعينا ان يكون الاحتلال دائريا ، فكل قوة تتجه إلى الطريق فى خلفها قوة تراقب الخلف فتحمى القوة ، وتتعامل مع من قد يتواجد فى جبل أو قمة أبعد .. وحددنا مواقع الأسلحة وأقواس نيرانها وراعينا تداخلها ، ووقعنا ذلك على الكروكيات .

كانت الأمطار قد أنذرتنا بليلة صعبة حيث بدأت فى الثانية ترسل دفعات كأنها تأتى من خراطيم إطفاء توجه من أعلى إلى رءوسنا وإلى الأرض من تحتنا ثم خفت بعد ساعة لكى ننجز عملية الاستطلاع ، ونعود – على عجل – إلى المعسكر لنصطحب القوة ونعود بها إلى الموقع ونوزعها عليه خلال فترة

الهدنة النسبية التى منحتنا السماء اياها ملتزمين بإعطاء تمام الجاهزية قبل الرابعة عصرا ..

غضب الطبيعة :

وما إن وصلنا إلى مواقعنا حتى عاودت الطبيعة زمجرتها ففتحت صنابير المطر غزيرة وقوية ومتواصلة ، وتلبدت الغيوم بكثافة فخيم ظلام سريع وشديد فى رسالة لنا بأن ما تحمله السحب لن تفرغه فى أقل من ساعات طويلة ، وكان صوت الرعد مدويا يكاد يصم الأذان ، ورغم حاجتنا لبصيص ضوء يمكننا من رؤية ما ننفذه على الأرض حتى تكتمل عملية الاحتلال ، إلا أن البرق كان خاطفا للأبصار فى قوته وفى قصر وقته فلم نستفد من ضوئه .

كنا نعرف عن الظروف المناخية فى صنعاء ، ولكننا لم نتوقع كل هذه القسوة ، لقد كان المطر استثنائيا فى اندفاعه ، لم تستطع المعاطف الواقية من المطر من المشمع أو الجلد أن تقى مرتديها مما صنعت من أجله ، الأحذية امتلأت بالماء كقارب شارف على الغرق ، البرد كان قارسا رغم ارتداء الجميع لفانلة (ضرب النار) الصوفية والكبابيد أو البلاطى وأعلاها جزء يغطى الخوذة وجانبى الرأس ومنهما الأذنين ، السيارات كنا نخزن فى بعضها تعيينات القتال تسربت المياه من المشمعات التى تغطيها ، وأخطر ما فى الأمر حفر مجارٍ للسيول اندفع الماء من خلالها فى عنفوان بدأ يجرف معه المهمات والأسلحة ومنها أسلحة ثقيلة الوزن نسبيا مثل مدافع الماكينة ومع الظلام الدامس تخوفنا من فقد بعض السلاح ، فحماه الجنود بأجسادهم لعدم انجرافه ولوقايته من الماء الذى لم تعد الأغطية الثقيلة من قماش البل المصممة لوقايته تجدى شيئا .

ساعدتنا كشافات السيارات قليلا ، لأن ضوءها تكسر على السيول وتبعثر الضوء ، ولم يقو على الاختراق لأكثر من أمتار قليلة وعلى مستوى أفقى مع الكشافات أما الميول والانحناءات فى الأرض غير المستوية ، فكانت مظلمة تماما ، وكان قلبى يتفطر وأنا أرى بعض الجنود وهم يتعثرون أثناء حركتهم ، أو عدوهم خلف رشاش جرفه السيل ، ومضى الليل بطيئا وكئيبا ، كان الجميع يرتجف بللاً وبردا وقلقا ، وكنا جميعا نهرب من إجابة سؤال يملأ على عقولنا كل مساحتها : ماذا لو استمر ذلك الجو إلى باكر ؟ ولم يكن أمامنا إلا أن ندعو الله بعكس دعاء الاستسقاء .

بزغ الأمل فى نفسى عندما رأيت الجندى المصرى البسيط يتحايل على أى ظرف ، مهما بلغت قسوته لكى يباشر حياة شبه طبيعية ، لقد كلفت كل جماعة فردين لإعداد عشاء ، وأمكن لهما أن ينتقيا موقعا فى عكس اتجاه الريح تستره صخره عالية نسبيا ثم يشدون مشمعا يثبتونه على الصخرة بوضع بعض الأحجار على أطرافه ويشدونه إلى شجيرة قصير ير بطونه أعلاها ، ثم يوقدون تحته أقراصا من الوقود لتسخين بعض علب اللحوم والخضروات ، ويحققون مزيدا من الرفاهية بإعداد أكواب الشاى فوجئت بتقديم أحدهم كوبا منه إلى فكان دفئا ومزاجا بل وأملا بأن الحياة دائما ممكنة . تعايشنا مع السيول وأخذنا نتحرك تحتها فى تحد رفع معنوياتنا .. وعند منتصف الليل خفت حدة السيول قليلا فنمنا عدا الخدمات ، وكان نصيبى متران فى صندوق الحمولة لإحدى اللوارى ، لكننا عند الفجر صحونا على الجبل يهتز من صوت الرعد وزخات المطر المنهمر ، ولم تقو العيون على البقاء مقفلة بعد أن اخترق جفونها وميض البرق المتتابع ..

كان أسوأ ما فى المشهد هو اختراق الماء للأحذية حيث أصبح منسوبه يزيد على الثلاثين سنتيمترا رغم أن الأرض إما رملية وإما صخرية تتخللها شقوق عميقة افترضنا امتصاصها للماء ، وقد فعلت ، ولكن كميات الأمطار كانت أكثر كثيرا من أن يستوعبها جوف الأرض وحده ..

مضت أطول ليالى العمر ، وأكثرها سوءا ، إلى أن أرسل الله بريقا من الأمل تمثل فى بعض من أشعة الشمس يتسلل على استحياء عبر ثغرات فى قناع السحب ، ورويدا رويدا تغلبت الشمس على الظلام وبعض البرودة ، بدانا ننتفض ونتحرك ونحرك أذرعنا وأرجلنا بقوة ننفض عن ملابسنا بعض

الماء ، ثم ركن المحظوظون منا ممن احتفظوا بجوارب احتياطية إلى مكان مكنهم من خلع أحذيتهم ، واستبدال الجوارب المبتلة بجوارب جافة ثم أعادوا البيادة المشبعة بالماء فوقها ، لكنهم حققوا وضعا أفضل على كل حال .

مررت بالجنود وطلبت منهم مراجعة أوضاعهم ، وتصحيح ما أصابه الخلل ، ووضع الأسلحة فى مواقعها وتثبيتها بوضع الأحجار أمام وخلف عجلاتها ، وتجفيف ونظافة أسلحتهم الشخصية والتأكد من صلاحيتها للعمل بنزع خزائن الذخيرة وسحب الأجزاء للخلف والضغط على التتك (الزناد) والتكرار مرات .. واستمر كنشرتو الشمس والغيوم لساعتين ، تغلبت الشمس فى نهايتهما وانفرد عزفها وسيطرت على السماء ، وغزا نورها ودفؤها الأرض فانتعشنا وبدأنا فى استرداد بعض من مشاعرنا الآدمية ، واستفقنا على الإشارات التى تلقيناها من القيادات بمستوياتها تطلب الإطمئنان على تمام استعدادنا للقيام بالمهمة التى ننتظر تنفيذها .

واستأذننى عريف قائد إحدى الجماعات فى فصيلتى فى استعمال راديو لست أعرف كيف نجا من البلل .

معقول ؟! فى هذه اللحظة اتصل بى قائد سريتى وسألنى مباشرة :

هل تعرف من الزائر الذى نؤمن موكبه ؟ قالها بنبرة أوحت إلى بما لم أصدقه .

قلت له : لأ ما تقولش . قال تبقى عرفت . قلت : وحاعرف منين ؟

وقال بصيغة جادة ولهجة صارمة ملؤها الإحساس بالمسئولية : الريس ! قلت بإنزعاج وانعدام تصديق رغم ما تؤكده كل المقدمات منذ الأمس وطغى على صوتى فى مراجعة ما قاله قائد السرية عدم التصديق : الريس مين ؟

قال باستنكار : الريس جمال – هو احنا لنا ريس تانى ؟

لم تكن فى علاقتنا فرصة لمزاح أو هذر . اذن فهو جمال عبد الناصر الزائر المنتظر

قلت بمزيج من الدهشة والمفاجأة والقلق : يانهار أسود !

قال : قول يا نهار أبيض . جرى لك إيه يا محمود .

قلت : أبيض .. أبيض جدا يا افندم ، لكن المفاجأة رغم كل الشواهد والمقدمات .. وكمان المسئولية أنا مش متخيل حجمها ، أنا أبقى أول واحد فى اليمن مسئول عن تأمين الأرض اللى حايمر عليها جمال عبد الناصر ؟ ربنا معانا بإذن الله .

قمت ومررت بالجنود فأخبرتهم النبأ ، فهللوا وكبروا وهتفوا ، وتخوفت من انفلات مشاعرهم أثناء مرور الموكب ، فنبهت عليهم بضبط مشاعرهم والانضباط الكامل أثناء مرور القائد الأعلى للقوات المسلحة ، وصرحت لهم بتصريف شحنة من مشاعرهم الآن لو أرادوا .. فى الحادية عشرة والنصف تسلمت إشارة من قائد الطريق مفادها أن طائرة الرئيس ستهبط إلى أرض المطار بعد ثلاثة أرباع الساعة ، فكلفت رقيب الفصيلة بإعطاء نصف القوة راحة قدرها خمسة عشر دقيقة على التوالى ، لتناول وجبة خفيفة أو مشروب والتأكد من أوضاعهم الخاصة بالمظهر والسلاح لتكون على أحسن حال ..

ووقفت أتأمل الطبيعة من حولى وأحسست أنها مثلنا تهيأت لاستقبال جمال عبد الناصر فتوقفت السيول وطلعت الشمس فأشاعت الدفء وجففت تجمعات الماء وبقيت الأرض كأنما مرت "عربة الرش" فابتلت باعتدال وأضفت عليها جمالا .. وبدت الجبال مغسولة ووضحت ألوان صخورها الأصلية الأحمر والأسود والرمادى ، ومن بعيد بدت بعض الأشجار خضراء ، فأضفت على اللوحة جمالا وروعة وحيوية .. والتقطت أذناى صوت المذيع ينطلق من الإذاعة اليمنية معلنا أن المقاتلات انطلقت لاستقبال طائرة الزعيم عند حدود الأجواء الإقليمية لليمن ..

ومع الأناشيد الحماسية المصرية واليمنية ومع المارشات العسكرية ، وسماع هدير المقاتلات ..

علا الرتم وازدادت الحماسة .. وبدأنا نتأهب لرؤية الرئيس وأصدرت أوامرى للجنود الذين يتخذون موقعا دائريا بمراقبة كافة الاتجاهات ، والإبلاغ الفورى عن أى حركة على مدى النظر حتى لو كانت من وجهة نظرهم معتادة ، كما أبلغت الوحدات المعاونة فى الموقع مثل المدرعات والهاونات تعليمات قائد الطريق والتوقيت المحتمل لمرور الرئيس .. وتوالى تلقى الإشارات من المطار حتى أخطرنا بهبوط طائرة الرئيس بسلام فى الثانية عشرة والنصف ، فبدأنا نتابع المذياع فى وصف استقبال الرئيس اليمنى وكبار المشايخ والوزراء للرئيس ناصر ومرافقيه من أعضاء مجلس قيادة الثورة ؛ المشير عبد الحكيم عامر ، زكريا محى الدين ، حسين الشافعى ، وأنور السادات والوزراء وكبار الشخصيات . وبعد مراسم الاستقبال ، أعلن الراديو تحرك الركب إلى خارج المطار .

إذن هى لحظات ويطل علينا ، فشددت التعليمات من جديد باليقظة والانضباط ، ومضت اللحظات بطيئة متثاقلة تشحنها مشاعر مختلطة باللهفة والقلق والمسئولية والسعادة والفخر .

وأهلَّ الرئيس :

وفجأة أطل مع انحناءة الطريق عن يسارنا موكب تتقدمه الدراجات البخارية والمركبات وعشرات من سيارات نصف النقل محملة بمئات من اليمنيين بملابسهم المزركشة زاهية الألوان لا أعرف متى علموا ولا من أين جاءوا ، ثم أفراد من الشرطة العسكرية فى سياراتهم الجيب ، ودراجاتهم البخارية فعدد من السيارات العسكرية ، ثم سيارة مكشوفة فيها رجل لا تخطئه العين طويل القامة ، هامته مرتفعة وحوله رفاقه ، وقعت أبصارنا عليه باختلاس ومضة من التركيز فى المراقبة ، وقبل أن يدركنا الموكب أدركنا الرئيس ببصره الذى وقع علينا كأول المقاتلين فى أول موقع عسكرى يراه فى اليمن . وصلنى إحساسه لحظيا ؛ ألم يترك أولاده فى مصر يوم العيد ليكون مع أبنائه المقاتلين فى اليمن ؟ ها نحن أبناؤه نبادله الشعور ؛ القائد والأب بيننا فى صباح ثانى أيام العيد يشد من أزرنا ، ويتعرف على أحوالنا وظروف حياتنا بالمعايشة .

تقدم الركب ، وبدأ الرئيس يلوح لنا وأحسست أنه يلوح لى شخصيا ، وانتقلت حرارة المشاعر فهزت جسدى ، تضاعف شعورنا بالدفء الذى سرى إلينا مع شمس الصباح وازداد سخونة حتى أصبح لهيبا لا نقوى على احتماله ، أصبحت السيارة على الطريق أسفل النقطة التى أقف عليها بأمتار قليلة . رفع الرئيس يده الأخرى ثم اشتبكت يداه فوق رأسه . لم أحتمل الصمت الذى يفرضه الانضباط ، ولم أتمكن من تطبيق تعليماتى على لسانى - صرخت فجأة بصوت أقرب إلى الهتاف : حمدالله على السلامة يا ريس ! نسيت مقتضيات العسكرية وتغلبت المشاعر الإنسانية ، وانطلقت كمواطن مصرى عربى ملأه الإحساس بالنشوة والفخار ، امتزج بسعادة لاقترابه من النجاح فى أداء المهمة الخطيرة التى أسندت إليه .

ابتسم الرئيس وبدا مع تخطيه للتبة التى نحتلها يلتفت فى اتجاهنا ويحرك يديه فى اتجاهنا حتى غاب عن أنظارنا مع التفاف الطريق من جديد وأصبحت مسئولية تأمينه على الجار اليمين لى ؛ الفصيلة الثانية من سريتنا .. وفوقها وفوقنا داوريات طائرات الميج تزمجر فى السماء ، ومن خلف الموكب العربات المدرعة (P.T.R.) اليمنية والمدرعات المصرية وسيارات الشرطة العسكرية .

عدنا إلى معسكرنا لنتناول غذاءنا ونتحلل من الالتزام بالسلاح والخوذة ، ونتلقى معلومة باعتزام الرئيس السفر إلى تعز فى الجنوب بالقرب من عدن فى مناطحة لبريطانيا التى تحتلها بإلقاء خطاب فى احتفال شعبى هناك .

ولقاء فى القيادة

فى الصباح ؛ وبناء على الأوامر ، انتقلت سرية من الجنود يقودها ضباط ثلاثة إلى ق . ل . (قيادة

اللواء) حيث تجمعت وحدات أخرى وانطلقنا إلى قيادة القوات حيث كان من المفروض أن يستقبلنا الرئيس مع ممثلين لكافة التشكيلات والإدارات .. وأمام القيادة وصل ركب الرئيس السلال حيث اصطحب الرئيس ناصر وصحبه إلى ميدان التحرير ، وهناك – وفى مؤتمر شعبى كبير ألقى الرئيس خطابا سياسيا رائعا ، قدمه الرئيس السلال قائلا : إليكم أعظم رجل فى الدنيا .. إليكم قائدنا ومؤيد الحرية وحامى السلام ، الرئيس الملهم جمال عبد الناصر . بينكم اليوم جمال عبد الناصر .. بينكم عبد الحكيم عامر .. بينكم زكريا محى الدين .. بينكم حسين الشافعى .. بينكم أنور السادات ، ومع ذكر كل اسم يعلو الهتاف ويتواصل التصفيق . وبعده تحدث القاضى الزبير من كبار العلماء فأوقد مشاعر الناس بالحماس .

ثم تحدث جمال عبد الناصر حيث هاجم الاستعمار البريطانى فى عدن وأكد أن عدن عربية وستعود إلى اليمن ، كما يعود كل جزء سليب من وطننا الكبير ، وأكد أن عوننا لليمن مستمر حتى ينهض ويعوض ما فاته فى عهود القهر والتخلف .

أحسسنا سعادة غامرة لرؤيتنا اليمنيين ؛ رجالا ونساء ، أطفالا وشيوخا فى ملابس العيد ، وفى أول مرة تخرج المرأة اليمنية فى مهرجان عام لتستقبل ناصر !

عدنا إلى معسكرنا فتناولنا غذاءنا وخلال تناوله تلقينا الإشارة التالية : " يتم حضور ضابطان أحدهما ضابط عظيم (رائد فما فوق) وصف ضابط وجندى إلى مقر قيادة القوات فى تمام الخامسة مساء اليوم لحضور المؤتمر العسكرى بالقيادة "

تم اختيار رئيس العمليات وشخصى بصفتى ضابط التوجيه المعنوى بالوحدة وانتقلنا إلى مقر القيادة حيث تجمع حوالى مائة ضابط بداية من رتبة لواء وصولا إلى الملازمين ومثلهم من المساعدين والصف والجنود . تم الاصطفاف فى الفناء الواسع طبقا للقواعد العسكرية فحملة رتبة اللواء فى يمين الصف الأمامى يتلوهم العمداء فالعقداء فالمقدمون ثم الرواد والنقباء فالملازمون الذين أتوا فى يسار الصف الثالث .. وخلف الضباط كانت ثلاثة صفوف بدأت بالمساعدين ثم الرقباء الأول وانتهاء بالجنود ..

صوبنا أنظارنا نحو الشرفة الفسيحة فى الطابق فوق الأرضى بمبنى القيادة المواجه لنا وفى السادسة أطل علينا الرئيس ورفاقه وكبار القادة العسكريين من الفريق أول محمد فوزى رئيس هيئة أركانحرب القوات المسلحة إلى الفريق عبد المحسن كامل مرتجى قائد القوات العربية فى اليمن وغيرهم ونودى علينا " انتباه " وأعطى التمام للمشير عامر ، ثم نادى علينا : " صفا " وبدأ الرئيس خطابه عاطفيا حيث قال : " أحمل إليكم تحيات أهلكم فى مصر وهم يذكرونكم فى كل لحظة ويتمنون لكم العودة السالمة . إنكم هنا تحملون الأمانة وأنتم أهل لها ، وعندما يستقر الموقف السياسى والعسكرى فى اليمن ، سيعود الجزء الأكبر منكم ليواصل التدريب استعدادا لواجب آخر ، الواجـب الأكـبر.. " وبدا على الرئيس التأثر الشديد خلال إلقائه للخطاب ، وبعده نزل إلى الفناء واتجه إلى صفوفنا حيث بدأ مصافحة المصطفين ، فأدى كل منا التحية ثم صافح الرئيس . كانت لحظات مشحونة بالدفء والحنان ، ووصلت المشاعر العاطفية من الجانبين إلى حد الدموع والهتاف الهستيرى الذى صدر عن جندى فى الصف الأخير مكررا : أسلم عليك يا ريس .. وشق جمال عبد الناصر الصفوف وصافح الجندى واحتضنه فزاد نشيجه وانخرط فى بكاء متهدج الصوت وكانت لحظات مؤثرة تكرر مشهدها أمام ناظرى فى كل مواقف الانتصار والانكسار التى مرت بجمال عبد الناصر وبالذات يوم وفاته عام 1970 .

فى اليوم التالى كان واجب آخر حيث زرت القيادة لإنهاء طلبات الضباط والصف والجنود ، فمن طلبات تركيب التليفونات إلى طلبات حجز السيارات أو عرض موضوعات تخص الخدمة من الترقيات إلى التنقلات ، إلى طلبات الجنود بالتعيين فى وظائف يشغلونها بعد انتهاء الخدمة العسكرية أو طلبات تملك أراضٍ أو حجز مساكن إلى غيرها مثل العرض على اللجان الطبية المختصة . كان يوما مرهقا لجسدى ، مرضيا لنفسى ، فكم يسعد الإنسان حين يشعر أنه كان وسيلة لتفريج كربة عن إنسان خاصة

لو كان وجوده كطير حبيس فى قفص خـلال خدمته العسكرية أو قضاء فترة العقوبة فى السجن .
الأحد 26 أبريل : خطاب الرئيس فى مدينة تعز بالجنوب ، حضره العلماء وجمهور عريض ، تحدث عن احتلال بريطانيا غير المشروع لعدن ، وتحدث عن الوحدة العربية التى تتحقق باختلاط الدم المصرى بالدم اليمنى على أرض اليمن .. كان الرئيس واضحا ومعبرا وكان فى صوته قوة ورنين ألهبا شعور الحاضرين الذين قاطعوه كثيرا وطويلا بالهتاف والتصفيق .
الأثنين 27 أبريل : أخرت موعد الداورية الليلية بقيادتى من العاشرة إلى الحادية عشرة كتمويه على من يرصد موعدها اليومى للتخطيط لأى عمل عدائى ، فبدأتها بالمرور بمطار الرحبة ، ثم تجولنا فى شوارع قرية الروضة وهى قرية كبيرة ذات مستوى عمرانى مقبول ، وحين عدت بعد منتصف الليل رأيت السيارات على هيئة طابور ، يوحى بتحرك ما لم أكن على أستعداد لأعبائه فأنا جد مريض منذ الصباح وتحاملت للخروج فى الداورية رغبة فى عدم الاعتذار عنها وهى العمل الوحيد الذى نؤديه (حتى الآن) فى نطاق الأعمال القتالية المبررة لوجودنا .. وحين سألت ، أجابنى زميل بأن السيارات اتخذت هذه الهيئة استعدادا لتحرك سريتين من كتيبتنا لاحتلال المطار وطريقه لتأمين موكب الرئيس الذى يسافر الثلاثاء عائدا إلى مصر .
انتهت زيارة الأب لأبنائه ، وكل أسفى أننى لم أحظ بتكرار شرف المشاركة فى الوداع لأننى مريض بدرجة أتوقع معها أن يكون الغد قاسيا يفرض على أن أكون مـلازما للفراش بدلا من أن أكون ملازما فى أداء الواجب .

الصيانة والتدريب :

الأربعاء 29 أبريل : يوم السلاح ، ولأن السلاح هو الصديق الوفى ، وهو طوق النجاة فى الميدان وجواز العبور إلى الحياة من أرض الموت ، والعامل الأول من عوامل النصر فى المعارك ، كانت عناية الجيوش بالسلاح نوعا ، وكما ، وكفاءة ، والكفاءة لا تتحقق إلا بالصيانة الدائمة والإختبار المتكرر .. أتخيل أن عدوا أمامى فى مرمى سلاحى وأنا رام ماهر ، وأننى صوبت السلاح فى اتجاهة وأحكمت التنشين ، وضغطت على التتك ، ولم تخرج الطلقة لعطل ما ، أو أننى أحكمت التنشين وانطلقت الرصاصة لكنها لم تصب الهدف لانحراف فى السلاح . القاعدة أن العدو الذى لا تصيبه طلقتك الأولى يقتلك بطلقته الوحيدة فوراً .. لذا فالتدريب عملية مستمرة .. الصيانة والإصلاح عمليات دائمة وقبلها فإن المحافظة على السلاح نظيفا ، ومختبرا عنصرا أمان يضاعفان الثقة فى نفس المقاتل .
لذا فقد تحدد اليوم لضبط السلاح . انتقلنا إلى ميدان الرماية ، السرية بكامل أفرادها ، ومع كل سلاحه الشخصى ، ومعنا أدوات ضبط السلاح ، نودى على المهرة فى الرماية بأسمائهم من واقع نتائج الرماية السابقة فكلفوا بعملية الاختبار فتمت الرماية بكافة البنادق وسجلت النتائج على النماذج ، وقمنا بضبط البنادق التى لم تسجل نسبة عالية فى إصابة الأهداف ، ثم إعادة اختبارها حتى تعطى النتائج المطلوبة .
ورغم مرضى الشديد منذ أمس الأول فلقد صممت على الإشراف على هذه العملية والمشاركة فيها لأنها من العمليات الهامة للغاية حيث تؤكد ثقتنا فى السلاح ، وتحدد لنا من خلال أول تدريب على الرماية من هم الرماة المهرة الذين يمكن الاعتماد عليهم فى تكليفات خاصة أما أصحاب النتائج المتواضعة فنصبح متأكدين من أن التواضع فى النتائج لعيب فى قدرتهم وليس فى كفاءة السلاح .
وعدت إلى المعسكر وقد ازداد تمكن المرض منى حتى انتهى ابريل وبدأ مايو وانقضت منه أيام .
الأربعاء 6 مايو : يوم نموذجى غنى بكل ألوان الحياة ، مُرضٍ فى نتائجه ، مريح للنفس رغم الجهد والمشقة ، ممتع حتى فى قسوته .
قمنا فى الرابعة ، فتوضأنا فصلينا الفجر ، ، ومع أسلحتنا الخفيفة وبعض من الثقيلة ، وأمتعتنا ، وتعييناتنا ،ركبنا اللوارى ، تحركنا صوب صنعاء فدخلنا إليها ثم خرجنا من بابها ومررنا بالعرُضى وهو

قشلاق ومستودع للإمدادات بكل أنواعها ، ثم سفوح جبل نقم وهو يمثل وضع جبل المقطم بالنسبة للقاهرة مع فوارق الارتفاعات ، ثم تدربنا على مهاجمة الجبل وامتطاء قمته وصولا إلى القلعة التى بناها الأتراك فوق القمة عند غزوهم اليمن فى القرن السادس عشر لتحكم صنعاء ، لذلك تم تحصين القلعة وزرع الألغام من حولها بمعرفة وحداتنا التى تحتلها .
وبعد استقرارنا أعلى الجبل تناولنا إفطارنا وغذاءنا وعشاءنا ، ولقد مثل الطعام جانبا مريحا فلا يتخيل أحد أن يحوى الكبيبة الشامية واللحم والكوسة ، وأنواع الجبن ، والزيتون الأسود والبيض المسلوق وخيرات من مصر حملها زميل عاد لتوه من إجازة بالقاهرة .
والجانب الآخر الممتع والمستغرب ، أن ننظم فى الخامسة عصرا مباراة لكرة القدم مع القوة التى تحتل الجبل لتسجل كأعلى مباراة كرة قدم فى التاريخ على ارتفاع ألفى قدم عن الأرض وأكثر من تسعة آلاف قدم عن سطح البحر ، وفاز علينا الفريق المضيف لاعتياده على التنفس بنسبة أقل من الأكسجين ، ولإرهاقنا فى التحرك والتسلق ..

<u>وانتحر البغل :</u>

فى اليوم التالى كان غذاؤنا أيضا بعيدا عن كل توقع ؛ فى الإفطار : بسطرمة بالبيض ، وفول بالزيت والطحينة والليمون . جبن أبيض ونستو ، وزيتون أسود ، وفى الغذاء ؛ دجاج محمر ، كشك ، شبسى والحلو كاسترد هل هناك أمتع من ذلك إلا توفير مجهودنا باستخدام وسيلة المواصلات التى أتيحت لمضيفنا ، حصان مسروج أصبح أسانسيرا ، يصعد ويهبط يمتطيه ضابط ، أو فرد مكلف بقضاء حاجة أو حوائج أو نقل أحمال من أسفل إلى أعلى أو العكس ، وحين اندهشنا من وجود الحصان وحركته وتساءلنا عن احتماله للجهد وعن طعامه وشرابه ، كانت قصتهم الطريفة عن سلفه ؛ بغل خصص لمعاونة القوة على النقل والانتقال ، ولما كانت الاحتياجات كثيرة لتوفير اكتفاء عدد كبير من الأفراد من المياه والطعام والذخيرة والمهمات وغيرها ، فقد تناوب الجنود الصعود والهبوط وتحميل البغل أثقالا، وبالغوا فى قوة احتمال البغل فلم يكن يرتاح النهار بطوله إلا دقائق أسفل الجبل حتى يتم تحميله ، ودقائق على منطقة منبسطة نسبيا فى منتصف مشوار الصعود ودقائق أعلى الجبل حتى يتم تفريغ الحمولة وإعادة التحميل ..
فى ظهيرة أحد الأيام وكانت درجة الحرارة متناهية الارتفاع ، والأكسجين شحيح يقطع الأنفاس ، وعدد مرات الصعود والهبوط فاقت الحدود ، باغت البغل الجندى المرافق خلال فترة الراحة على التبة الوسطى وعاد بظهره فى اتجاه الجبل ، ثم انطلق عدوا وقفز من ارتفاع ألف قدم منتحرا للتخلص من حياته القاسية ، وليصبح قصة يستشهد بها الجنود عند تكرار تكليفهم بنقل المعدات والذخيرة والتعيينات عبر المدقات القاسية ذات الميول الحادة فى معظم المسافة ، ويكتفون بكلمتين اثنتين طلبا للرحمة : البغل أنتحر !

عدنا بعد الغذاء إلى معسكرنا ، فكان حمام مستحق ، ووصلت الخطابات والجرائد مع مندوب البريد فتصفحتها ، وبدأت أتأهب للراحة وسماع أم كلثوم ، ولكن فرحة ما تمت ، فقد تم إخطارى بأننى مكلف بقيادة الداورية الليلية لكى أواصل الجهد حتى منتصف الليل على الأقل .. ووجدت نفسى أبتسم ، وأردد فى نفسى – وربما بصوت مسموع : البغل انتحر !

رائحة البارود

الأحد 10 مايو : أنباء عن اجتماع لزعماء الملكيين بقيادة محمد بن الحسن فى منطقة أرحب استدعت صدور الأوامر لقواتنا بالاستعداد للتحرك غدا ، والقيام بمظاهرة عسكرية مستعدة للاشتباك مع العدو إذا لزم الأمر والقوة المكلفة كبيرة ولها قدرة عالية على الردع من احتياطى القيادة العامة وتضم لواءنا 1 مشاة ومجموعة سوكة للدبابات التى يفوق عددها الخمسين دبابة إذا أضيفت إلى مدفعيات اللواء فإنها تمثل قوة نيران قادرة على الإسكات ، ونيران العدو فيما عرفته حتى الآن لا تزيد عن بعض المدافع المخبأة فى مغارات تدفع إلى خارجها لإطلاق طلقة أو طلقات تعود بعدها إلى مخابئها إضافة للبنادق التى تطلق رصاصات فردية يسمونها " الكع كُم " نسبة للصوت والصدى التى تحدثه .

وقد يضاف بعض الألغام التى تدرب بعضهم على زرعها فى المدقات التى يحتمل تحركنا عليها والتى يوجد على ترابها آثار لكاوتش السيارات . تعلم الملكيون بعد زرع اللغم أن يحركوا فوق الردم الذى يستر اللغم فردة كاوتش بطول الطريق للإيحاء بأن سيارات مرت على هذه النقطة فى أمان ، أملا فى بث ثقة كاذبة فى نفوسنا فلا نتحرى الدقة ، لكن التعليمات لدينا كانت تقضى بضرورة اصطحاب أفراد مهندسين عسكريين ومعهم المجسات أو كاشفات الألغام لاستعمالها عند أدنى مستوى من الشك ..

كانت هذه التعليمات بمثابة أول النذر بعمليات جادة على مستوى كبير .. فى سرعة وحماسة أصدرنا تعليماتنا للجميع بالاستعداد ؛ التتميم على السلاح ونظافته ، الذخيرة بالمستوى المحدد حسب نوع المهمة ، تعيينات القتال لستة أيام ، النظافة الشخصية ، ونظافة الملابس والغيارات الداخلية ، سلامة الأحذية ومتانة أربطتها ، اكتمال مهمات البل مثل القايش والجتر والجرنبدية ، وتأكدت بنفسى من وجود غيار داخلى وجورب أو أكثر نظيفة بصحبة كل فرد وكل من هذه المهمات له تأثير على الروح المعنوية والكفاءة القتالية , وقد لا يعلم البعض أن رباط فردة حذاء متآكل أو غير محكم أو انفكت ربطته قد يؤدى إلى تعثر فرد وقد يؤدى ذلك إلى فقدان حياته . لذا كانت القيادة مهتمه بدرجة عاليه بصرف الكولونيا وبودرة التلك للضباط والجنود بصفة دورية ضمن الترفيه الذى كان يضم السجائر ، وقد يتساءل البعض هل يمكن أن تصرف القوات المسلحة لأفرادها شيئا يضر بصحتهم ؟ والإجابة بالنفى ولكن مادامت القوات المسلحة تضم بين أفرادها نسبة من المدخنين والذين لا يمكنهم الاستغناء عن هذه العادة ، وحيث أن الخدمة الميدانية لا تسمح بإمكانية شراء سلعة معينة فى معظم الأحيان ، فهى توفرها لهم ، وحيث لا يجوز أن يصرف (تعيين ما) للبعض دون غيرهم فإن السجائر تصرف للجميع كحق يتصرف كل فيه بما يرضيه ..

سألت الجنود عمن يرغب فى البقاء كمؤخرة يحرس متاعنا ، فأبدى الجميع رغبة فى المشاركة فى العملية ، واضطررت للاختيار بطريقة تحكمية .

الأثنين 11 مايو : أوامر جديدة بوقف التحرك مع استمرار درجة الاستعداد الكاملة حيث أن اجتماع زعماء العدو يبدأ اليوم ، وعلينا رصد نتائجه وإرسال الرسائل لقياداته بالإقلاع عن غيهم . بعد العصر وصلت أوامر بتحرك مجموعة سوكة المدرعة إلى محور أرحب على مسافة خمسة وثلاثين كيلو مترا إلى الشمال من صنعاء وجاءت التفاصيل فى مؤتمر عقده القائد مع الضباط وبعده أعدت التفتيش على فصيلتى وتأكدت من جاهزيتها .

مشاعر وشعائر :

الأربعاء 13 مايو الموافق الأول من محرم ، رأس السنة الهجرية وحديث عن الشعائر : إذا كان الإنسان المؤمن عليه أن يكون قريبا من الله فى كل الظروف ، فلا شك أنه يكون أقرب كلما ضاقت به الحياة ، أو اشتدت عليه الظروف ، ونحن فى اليمن نشعر أن حياتنا قد تنتهى فى أى لحظة لننتقل إلى رحمة نرجوها من الله .. الجميل أننا اقتطعنا مساحة كبيرة من أرض الطابور الفسيحة وأقمنا حولها سورا من الأطواف وأصبحت مسجدا للصلاة نؤمه فى الصلوات الخمس ، بداية بصلاة الفجر . فى جنح الظلام وقارس البرودة ، نصحو ، ونأتى بجراكن الماء شبه المتجمد ويصب بعضنا على بعض ، ونتجمع فى المسجد ضباطا وضباط صف وجنود لنقيم الصلاة يؤمنا جندى أزهرى فى صورة رائعة ، لا رتب ولا أقدميات فنحن جميعا عبيد لله متساوون أمامه بل إن أفضلنا عنده ، أتقانا ..

كانت الخدمات خلال الصلاة من المسيحيين ، نصلى فى حراستهم ، ثم تستبدل الخدمات طبقا للدور الطبيعى . جمعنا مبالغ من الضباط ومن يرغب من غيرهم واشترينا " الحصر" لفرش المسجد ، وكانت صلاة الجمعة من كل أسبوع مشهدا رائعا يخطب فينا الجندى الإمام ويدعو فنؤمن أن يكافئنا الله بالنصر لمصر والعودة إليها سالمين . نعم لقد كان المشهد إعادة لجيوش صدر الإسلام التى انتصرت فى كل حروبها بالعقيدة والإيمان بنصرٍ الله ، وبعد الصلوات كان البعض يقرأ ما تيسر له من القرآن ، ونسبة كبيرة من وحدتنا تصوم اليوم نفلاً نتقرب به من الله .

والشعب اليمنى مسلم بأغلبية ساحقة مع نسبة صغيرة من اليهود ، وهم متعصبون للدين ، يقيمون الشعائر ، ويؤدون الفرائض لكنهم لا يلتزمون بالعمل بما أمر الدين ، هم يلتزمون بتراث قبلى ضمنه شعائر الدين . فى أوقات الصلاة ؛ المحال جميعها مغلقة . السوق وقت أذان المغرب شبيهة بشوارعنا فى نفس التوقيت فى شهر رمضان . وغالبية اليمنيين من الشيعة الزيديين ، وفى اليمن عدد كبير من المساجد وخاصة فى صنعاء ، ومساجدها يغلب عليها طابع القباب ونادرا ما ترى المآذن ، وفى صنعاء مسجد صلى فيه جمال عبد الناصر خلال زيارته اسمه المسجد الكبير وهو كبير نسبيا ويعتبر متوسطا بالنسبة لمساحة المساجد فى مصر ، فقير فى تأثيثه ، متواضع فى شكله . أما الحج فقليلا ما تجد من لم يؤد شعيرته فى اليمن وربما لمرات لقرب المسافة ، فالحدود مشتركة ، والطريق برى لا يحتاج لكثير نفقة وإنما يحتاج جهدا ومشقة وهو قادر على احتمالها .

لا تخطىء العين ملاحظة أن الدين والوطنية والقومية تذوب فى الانتماء للقبيلة فى اليمن ، القبيلة هى كل شىء وأوامر شيخها مطاعة حتى فيما يتعارض مع مبادىء الدين فالتخطيط أو الخطاط ، أى مهاجمة قبيلة آخرى ، والإغارة عليها واستباحة مالها ونسائها وغلمانها هو أمر مطاع من الشيخ .

الخميس 14 مايو : بدعوة من قائد وضباط كتيبتنا كانت دعوة على وليمة عشاء حضرها قائد اللواء والقادة حتى مستوى قائد سرية وقائد الكتيبة 342 التى وصلت إلى صنعاء بالأمس وبعض ضباطها تكريما لهم وتهنئة على سلامة الوصول .

هل كنا نصدق أن نقيم فى اليمن حفلات استقبال وإقامة مآدب تضم لحم الضآن والدجاج المحمر والكبدة والمخ والمكرونة والشيبسى والكوسة ثم المشمش والكاسترد ؟

الأحد 17 مايو : شهران على فراق الأهل والوطن ، إن الحنين الذى حرك قلم توفيق الحكيم ليكتب : " عصفور من الشرق" وهو فى باريس أقل كثيرا من ذلك الذى يهزنى وانا فى صنعاء أقيم فى خيمة وأسعد بوجبة طيبة أو خطاب من مصر. لقد اشتقت للجدران بعد أن عشت فى البرية كالوحش ، وعلى ذكر الوحوش ، يزعجنى كثيرا تبادل مخاطبة العسكريين فى اليمن لبعضهم البعض حتى من جندى لصف ضابط أحيانا بكلمة : "وحش" وهى بداية مزعجة لتدنى درجة الانضباط العسكرى .

الثلاثاء 19 مايو : يوم كارثى فى تاريخ الانضباط العسكرى ، وفى تاريخ خدمتى ، صدام عنيف بينى وبين قائد الكتيبة العقيد شفيق الياس شكر الله ، قائد طيب الخصال ، دمث الخلق ، يتعامل مع جميع الضباط كأخوة ، علاقاته الإنسانية تذهب إلى أبعد مدى تسمح به الأوضاع العسكرية ، جلساته الخاصة

دافئة وحديثه جذاب .. مثقف ومؤهل ، يحمل دبلوماتين فى الاقتصاد وعلم النفس ، هذا حقه لأنها حقيقته .
خلال إلقائى لطابور التوجيه المعنوى وهو طابور تجمع فيه الكتيبة كلها ، عدا الخدمات والخوارج أى من هم خارج الوحدة فى أجازة أو مأمورية ، وأقوم بمحاضرتهم فى موضوعات أختارها وترتبط بما يخصهم من أمور ترفع معنوياتهم وتضيف لمعلوماتهم العامة والعسكرية والسياسية ، وأفسح الفرصة للإجابة عن أسئلتهم ويستمر الطابور لساعتين كاملتين . أمرت الجميع : محلك أقعد ، أى إجلس على الأرض فى مكانك ، وجلست أمامهم على كرسـى خشبى .. ومضى الطابور محببا لنفسـى ولنفوسهم ، إلى أن حضر رقيب نوبتجى فأدى التحية وسلمنى وريقة من رئيس العمليات ، قرأتها : يعين جنديين من كل سرية مشاة (طلبة) مع الرقيب ... فناديت : رقباء أول السرايا المشاة . فوقفوا . فكلفتهم بتعيين كل منهم جنديين طلبة من سريته ، فنادى كل منهم على جنديين بالاسم فوقفا واستأذنا وخرجا من الطابور ، إلا جندى من السرية الثالثة ، لم يمتثل بل ولم يعر النداء بالا ، فكرر الرقيب أول النداء ، فشوح الجندى بيده رافضا ، وتدخلت لحسم الأمر قائلا : نفذ الأمر يا عسكرى . قال : "لأ" واضحة وصريحة ومباشرة على مرأى ومسمع من خمسمائة صف وجندى . وهذا موقف صاعق لا يصدقه من يراه بعينيه ، وكان على أن أتصرف بما يحفظ العلاقات فى خدمة الميدان . كررت عليه الأمر ، وبعد تردد وقف أمامى بعد أن خرج من الصف ، فأمرته بالانصراف القانونى ، فانصرف دون أداء التحية العسكرية .
بعد الطابور أبلغت قائد سريته فحرر له أورنيك ذنب لعرضه على قائد الكتيبة فى اليوم التالى . فى موعد عرض المكاتب على القائد انتظرت فى خيمتى حتى اتوجه إلى مكتبه فور استدعائه لى لعرض ما حدث .. بعد طول انتظار اتجهت إلى مكتب القائد فلم أجده . توجهت إلى مكتب مساعد تعليم الكتيبة ، وسألته عما إذا كان القائد قد حدد له موعدا لعرض المكتب ، وصعقت حين أجابنى بأن المكاتب تم عرضها . سألته عن الجندى .. فأفادنى أن قرار القائد بشأنه كان "صُرِفتْ" أى براءة . جن جنونى . كيف يتصرف القائد فى الموضوع دون أن يسمع منى أو من الشهود ؟ وكيف يكون القرار بالصرف دون جزاء ؟ وإذا لم يعاقب جندى على الرفض المباشر والعلنى لأوامر صف ضابط ، ثم أوامر ضابط أمام خمسمائة شاهد فمتى أتوقع أن يعاقب ؟! إن المعنى الوحيد لقرار القائد هو توجيه رسالة لى تقول : "طظ فيك" . لا بل طظ فى أى رتبة !
ولأننى ضابط منضبط ، ولأننا فى خدمة الميدان ، كظمت غيظى وأمسكت ورقة وقلم وكتبت تقريرا وجهته إلى السيد / قائد الكتيبة بواسطة السيد / رئيس العمليات سردت فيه تفاصيل ما حدث وختمته بعبارة : مرفوع برجاء بعد النظر ، عمل اللازم نحو مجازاة العسكرى المذكور حفظا على كيان الضبط والربط .
حاول رئيس العمليات أن يثنينى عن تقديم التقرير لكننى صممت . تسلم التقرير ، وسلمه فى صباح اليوم التالى للقائد خلال تلقيه التمام فى طابور الصباح وحضور جميع الضباط والصف والجنود . قرأ القائد التقرير ، ونادى رئيس العمليات على فاستأذنت من قائد سريتى وتوجهت حيث القائد فأديت التحية العسكرية قائلا : أفندم .
إنهال القائد على توبيخا وتبكيتا ، وتساءل باستهزاء : أنا عقيد خمسة وعشرين سنة خدمة كضابط يعارضنى ضابط مجند فى تصرفى ؟ قلت : نعم هذا أمر يتعلق بكرامتى إضافة للضبط والربط . قال : وهل تعلمنى أنت الضبط والربط ؟ ولاحظت أن درجة الصوت وحدته قد لفتت نظر القوة بكاملها ، وتخيلت الجندى المخالف وهو يخرج لى وللقوات المسلحة كلها لسانه : قلت : بل أصحح وضعا خاطئا . قال : سوف أحاسبك أشد الحساب . قلت : أنا مسئول عن كل كلمة قلتها وجاهز للمساءلة لكن ذلك فى مكتبك وليس على الملأ فقانون الأحكام العسكرية يمنع توبيخ ضابط صف علنا إلا بحكم محكمة عسكرية ، وأنا ضابط وأنت توبخنى فى حضور الوحدة بالكامل ..

وصل القائد إلى أعلى درجات الغضب وأمرنى بالإنصراف بعد أن أمر رئيس العمليات بعرضى على مكتبه .

أديت التحية وانصرفت متوجها إلى فصيلتى لقيادتها خلال طابور التدريب ، ولمست حماسا شديدا من الجنود فى تنفيذ أوامرى بما يعنى تضامنهم معى وتقديرهم لموقفى الشجاع . ونادانى قائد سريتى وسألنى عن الموضوع ، فقصصته له ، وأيدنى تماما وقال : " لو كنت اتصرفت بطريقة ثانية كنت حازعل منك" .. وعند الظهر توجهت إلى رئيس العمليات أسأله عن موعد عرضى على المكتب . فقال : بعدين . القائد عيان .. وسألت الدكتور رمسيس طبيب الوحدة عن حالة القائد فأجابنى أن ضغطه مرتفع للغاية وأنا حذرته من أى انفعال وطلبت منه الراحة التامة ومنع الزيارة بتاتا ..

لم يحضر القائد معنا وجبة الغذاء فى الميس وطلب منى قائد ثانى الكتيبة ، الاعتذار للقائد لأنه قائدنا ونحن فى الميدان ، وثانيا لأنه مريض ، وثالثا لأننى رددت عليه بشكل بعيد عن العسكرية . أبلغته أننى أتمنى عاجل الشفاء للقائد واعتذرت عن عدم التنازل عن حقى فالذى يرتب له حقوقا علىَّ هو القانون ، فإذا خالف القانون لكى يهيننى بدلا من أن يرد إلى حقى فقد أخطأ مرتين ، وأنا قد أكون أخطأت مرة .. تضامن الضباط جميعا معى . واستغربوا بشدة من موقف القائد . بقى القائد فى خيمته يومان ، طلب خلالهما قائد سريتى ليستميله ضدى حيث تساءل كيف تسمح لضابط تحت قيادتك بأن يخاطبنى دون عرض تقريره عليك ؟ وأجاب النقيب : كيف لم يعرضه على وأنا الذى أمليته عليه .. فهاج القائد وقال : أخرج يا محب أنا مش عايز حد هنا .. ألخ .. خرج النقيب وقص على ما حدث ثم سألنى مختبرا . هو صحيح انت ما عرضتش التقرير من خلالى ليه ؟ قلت : الواقعة حدثت خلال قيادتى للكتيبة بالكامل فى طابور التوجيه المعنوى وليس بصفتى قائد فصيلة فى السرية الأولى . وابتسم النقيب ابتسامة رضا ، وكأنما يقول : هذا الشبل من ذاك الأسد !

<u>قيادة بالتحليل النفسى :</u>

فى اليوم الثالث لهذا الحدث جاءنا نبأ هز الأعصاب والنفوس : جندى فى سرية النقل أطلق دفعة من بندقيته فى اتجاه قائده بعد مناقشة حادة بهدف قتله . واخترقت الرصاصات سترة أوفرول قائد السرية فى خط رأسى مواز للأزرار ما بين جسمه وذراعه فنجا بأعجوبة . هزت هذه الحادثة وحدات اللواء بالكامل وأبلغت قيادة القوات وتمت إحالة الجندى للمحاكمة العسكرية .

فى الميس حضر القائد وجبة الغذاء ، وبعده وجه حديثا للضباط قائلا : طبعا شايفين نتيجة العلاقات غير السوية بين الضابط والجندى . الناس لازم تدرك اننا مش بس فى غربة ، احنا فى ميدان قتال ، ولازم يسودنا الحب والمودة .. أنا لا أحمل لكم غير كل حب ومودة ، ولو حد زعلان منى يقول ، لازم تكون قلوبنا صافية . صمت الجميع ، أما أنا فرفعت يدى قائلا : أنا يا أفندم .

قال : زعلان من ايه يا محمود ؟ قلت : ما دام سيادتك فتحت قلبك للحديث بحب ومودة يبقى لازم كمان تكون فيه صراحة . قال : أنا مستعد أسمع . قلت : سيادتك بتسألنى زعلان من إيه ، وكأن لم يحدث شىء مع أنى حتى هذه اللحظة منتظر مكتب سيادتك علشان أتحاكم عسكريا على جناية إن عسكرى كسر أوامرى علنا ومارحتش أعتذرله وأبوس دماغه .

أبتسم العقيد وقال : ياه داانت شايل أوى . لا مكتب ولا حاجة يا سيدى . كما كنت وأنا بتعامل معاكم زى ما تكونوا اخواتى ، وعايزكم تعاملوا بعض وعساكركم بنفس الأسلوب .

قلت : إشمعنى العسكرى يكسر أوامرى وأتسامح . وأنا كتبت لسيادتك تقرير وبختنى بصوت عالى وانتهى الموضوع بأوامرك لرئيس العمليات بعرضى على المكتب ؟ قال : كثير من العسكريين لما بيخدموا فى الميدان ويتعرضوا لظروف جديدة عليهم بيصابوا بهلوسة الحرب ، قالها بالإنجليزية WAR HALLUCINATION: زى العسكرى اللى ضرب النقيب صفوت ، وأنا لما شفت العسكرى

اللى كسر أوامرك لاحظت فعلا انه مهتز ومش سوى ، علشان كدة إديته صرفت كوسيلة من وسائل العلاج .
وعلقت على قولته : إذا كان هذا العسكرى مريض بحالة نفسية ، مش كان الأفضل استبدال أورنيك الذنب بأورنيك عيادة وعرضه على طبيب مختص فإذا ثبت مرضه يعزل ويعالج أو تنهى خدمته ، وإذا كان سليم يحاكم ؟ ولا نسيب واحد عنده هلوسة وسط العساكر ومعاه سلاح آلى وست خزن فيها مايه وثمانين طلقة ممكن يعمل مدبحة ؟
قال : معاك حق . لكن الموقف كان سريع ودا اللى أنا شفته ساعتها .
قال قائد ثان الكتيبة : خلاص كده يا محمود وسيادة العقيد طيب خاطرك وشرح لك الموضوع . قوم سلم على سيادته .. واحنا كلنا اخوات وحبايب .
قمت وسلمت على القائد ، واحتضننى فصفق الضباط وانطوت صفحة قاسية فى تاريخ خدمتى العسكرية ، لكنها أثرت على تقيمى لكيفية تعامل القادة والضباط معى لبقية سنوات خدمتى ، وزادتنى تصميما على المثالية وعدم ترك فرصة لأعتى متعصب فى التعامل معى أو النظر إلى بدونية قميئة .
الخميس 19 يونيو : استطلاع لمحور أرحب فى شمال صنعاء ، واتضح أن هذا المحور سيكون موقعنا الثابت طوال فترة تواجدنا فى اليمن ، وفى المحور قرى كثيرة لكن أهمها : بيت العذرى ، والعومرة والمكاريب ، وبيت مران ، وفى كل منها باستثناء المكاريب مواقع لوحدات من اللواء السادس مشاه ، وقد أمضينا يومين فى زيارة هذه الوحدات والتعرف على أوضاعها القتالية وظروفها المعيشية ، وعلاقتها بالقبائل التى تعيش فى مناطقها والتى لاحظت تداخل العلاقات بينها وبين وحداتنا ، بل والسماح لبعض الشيوخ والأفراد الموالين بالمرور وسط مواقعنا ، ومن الجدير ذكره أن بكل وحدة على مستوى كتيبة مشاه ضابط لشئون القبائل يعمل كضابط اتصال معها ، ينسق مع شيوخها كل ما يهم أحد الطرفين لدى الآخر ويدعوهم لحضور بعض المؤتمرات التى يطلقون عليها : مَجْمَع ، ويزورهم فى قراهم ...
الأحد 21 يونيو : عدنا اليوم إلى معسكرنا مرورا بالكتيبة 18 مشاه فى العومرة وبقينا فى ضيافتهم ثلاثة ساعات .. واليوم بدأت إجازة الدفعة الأولى من كتيبتنا وقد تم تنظيم الدفعات على قاعدة الأولوية للمتزوج ويعول ثم المتزوج فالأعزب والتفضيل فى حالة زيادة عدد أى فئة عن العدد المسموح له بالأجازة فى دفعة واحدة ، للأقدم فى الرتبة ، وبما أننى أعزب وثانى أحدث رتبة فإن أجازتى ستكون فى الدفعة الخامسة والأخيرة أى بعد شهرين ، ولقد قضيت فى اليمن حتى الأن ثلاثة شهور بالتمام . الصبر يا رب !
الأربعاء 24 يونيو : فيلم تسجيلى بالصور الفوتوغرافية .. مجموعة صور تذكارية تمثل كل جوانب حياتى من لحظة اليقظة والتمطى الكسول على السرير داخل الخيمة إلى الوضوء على بابها فى الحوض القماش " البل" ذو الحامل الخشبى المنطوى ، واستبدال الملابس ، وحضور طابور التدريب ، ثم تناول الطعام فى الميس الميدانى وهو خيمة هندى دائرية كبيرة وكتابة الخطابات وقراءة الصحف والمجلات على ضوء فانوس هوركن بالكيروسين .. وصور أخرى لمباريات الطاولة وكرة القدم وصور ببالطو المطر .. وستكون لنا صور فى السوق بصنعاء وعند باب الحرية وغيرها .. وأنا سعيد بتسجيل شريط الحياة اليومية ، يتعايش به أهلنا معنا ، ونجتر ذكرياتها لو شاء الله ومد فى أعمارنا أعواما آخرى .
الثلاثاء 29 يونيو : نقل القائد إلينا تفاصيل وقائع المؤتمر الذى عقد فى القيادة العامة برئاسة الفريق أول محمد فوزى رئيس هيئة أركان حرب القوات المسلحة وبحضور قائد القوات ورئيس الأركان وقادة المحاور والتشكيلات حيث أصدر تعليمات تفصيلية حول التحفظ على الذخيرة والاقتصاد فى استخدامها ، إضافة إلى الاحتياطات الأمنية بخصوص المخالفات التى رصدت فى سلوك بعض ضباط الصف والجنـود بشـأنـهـا : الـنـقـد المصرى : حيث يعود البعض من الأجازات وبحوزته مبالغ من النقد المصرى

لتحويله فى السوق إلى ريالات يمنية بأقل من السعر الرسمى مما يهبط بقيمته ويلحق ضرراً جسيما بالاقتصاد المصرى .
المخدرات :
حيث يحضر البعض معهم كميات من المخدرات بغرض التعاطى وربما الاتجار مما يعرض العمليات العسكرية لخطر داهم ، ورغم أن نسبة المنحرفين الذين يسلكون ذلك السلوك نسبة ضعيفة للغاية لكن التصدى لهم بحزم من البداية واجب وقائى لمنع الانتشار .

ولمواجهة هؤلاء المخالفين :

- **أنشئت نقاط للشرطة العسكرية فى المطارات والموانىء لتفتيش العائدين من الصف والجنود .**
- **التنبيه على الوحدات بتفتيش العائدين فور وصولهم إلى وحداتهم بمعرفة رئيس عمليات الوحدة .**
- **فوض الفريق أول فوزى الضباط سلطة تفتيش كل الدرجات الأدنى من الصف والجنود ، فى أى وقت ودون إبداء أسباب وتقديم من يضبط حائزا على العملة أو المخدرات إلى المحاكمة العسكرية – ومن المعلوم أن عقوبة إحراز مخدرات فى الميدان هى الأشغال الشاقة المؤبدة فى السجن المدنى بعد الفصل من الخدمة العسكرية .**

السرقة : ونظرا لرصد بعض حالات السرقة من المحلات التجارية بالمدن اليمنية مما يسىء إلى سمعة القوات وسمعة مصر كاملة تقرر أن يفتح كل قائد فصيلة دفترا يخصص فيه لكل صف أو جندى صفحة يسجل فيها رقمه العسكرى ودرجته واسمه ، وتسجل فيها المشتريات التى يشتريها ويبلغ عنها صنفا وسعرا ، واسم المحل المشترى منه وتاريخ الشراء ، وعليه الإبلاغ فور الشراء وكيفية التصرف فى المشتريات ؛ استهلاك – استعمال – تخزين ، ومقارنة ثمن الشراء بما يتقاضاه من بدلات بالعملة اليمنية ، ويستطيع قائد الفصيلة رصد المخالفة عندزيادة قيمة المشتريات . وللضابط حق التفتيش وتسجيل البضائع المتواجدة بحوزة الصف أو الجندى وتقدير أثمانها .

اليوم وردت تعليمات كتابية عن إحلال كتيبتين من لوائنا محل كتيبتين من اللواء السادس الموجودتين فى العومرة وبيت مران ، وستحل كتيبتنا محل كتيبة بيت مران أى الأبعد عن صنعاء وقد تحدد لسريتنا يوم الأحد الخامس من يوليو للإحلال محل السرية الأولى فى بيت مران .

لقد أسعدتنا تلك الأنباء كثيرا فهى تمثل بداية المهمة الأساسية لوحدتنا .

الفصل الرابع
الميدان الحقيقى

البدايــة

الأحد 5 يونيو : تأمين محور أرحب الذى يعتبر بوابة صنعاء الشمالية مسئولية ضخمة لكن قوة وحداتنا كافية وكفيلة بتأمينه ، وتتمثل قوتنا فى مبدأ نعتقد به ونحارب من أجله ، وفى عزيمتنا ورغبتنا الأكيدة فى القتال إلى جانب عددنا وكفاءة تسليحنا .

قمنا مع الفجر ؛ توضأنا وصلينا ، وألقينا بتعليماتنا التفصيلية إلى الجنود ، لكى يعدوا أنفسهم ويحملوا متاعهم ، ثم تناولنا إفطارنا ، وأعددنا أنفسنا ، وعدنا إلى جنودنا نتابعهم فى تنفيذهم للتعليمات ونشرف على تحميلهم فى العربات ، وأوضاعهم فيها ، وجاهزيتهم للاشتباك الكفء إذا دعا داع .

فى تمام السابعة تحركنا فى اتجاه مطار الرحبة ، ثم قرية بيت العذرى ، ثم مررنا بالعومرة ثم المكاريب فموقع الثمانيات ، وأخيرا وصلنا إلى هدفنا ؛ بيت مران . وصلناها وقت الظهيرة واستقبلتنا القوة المتمركزة فيها حيث تقضى ليلتها معنا قبل ان تنسحب فى الصباح التالى بعد تسليمنا المواقع ، وكروكيات النيران ، والذخيرة الزائدة عن متطلبات التحرك إلى الحديدة . تجول كل منا مع نظيره فأطلعه على الموقع وملاحظاته خلال فترة خدمته بالموقع ونقاط القوة ، والمواقع التى تحتاج إلى تركيز فى

الخدمات والملاحظة والمتابعة .. وغير ذلك .
في المساء ، رافقت ضابطا من ضباط اللواء السادس فى داورية استمرت حتى الرابعة فجرا ، وخلال تسلقى إلى موقعى بعد العودة زلقت قدمى فارتطمت بصخور صلبة سببت خدوشا فى كفى يداى وفى قدمى اليسرى ، وكانت رغبتى فى النوم – بعد أربعة وعشرين ساعة من الجهد قد طغت على احساسى بالألم فسلمت نفسى له حتى العاشرة صباحا .
الموقع الذى نحتله ، هضبة عالية فسيحة تتسع لقيادة اللواء والوحدات الإدارية وبعض الملحقات والوحدات المعاونة مثل المدفعية وسرية الاستطلاع ، وقيادة كتيبتنا ووحدات القيادة ؛ العيادة والحملة وفصيلة الإشارة .. ويتدرج ارتفاع الجبل لحوالى مائة متر لكى تحتل سريتنا قمة طولية على حوالى مائتى متر تبرز قمتها لكى تحتلها فصيلتى وكأنها نقطة إشارية أو علم مثبت على سارى سفينة يبدو للناظر على الشاطىء والسفينة ما تزال فى عرض البحر .
وخلف الهضبة الرئيسية منخفض تحتلوه تبة صغيرة تحتلها فصيلة كنقطة قتال خارجية تعتبر نقطة ملاحظة وإنذار مبكر ، جاهزة للاشتباك إلى أن تتدخل القوات التى تحددها القيادة بنيرانها .
الموقع حصين ، والقمم المماثلة بعيدة ، وتزيد مسافاتها عن أطول مدى لأى سلاح قد يتوافر للعدو*
قضيت نهارى الكامل الأول فى أول موقع نحتله فى اليمن فى استكمال أعمال التسلم ، وتنظيم الخدمات وتحديد مواقعها ؛ الثابت منها والمتغير ، والإشراف على إقامة أو ترميم القائم من دشم الأفراد ، والدشمة يقصد بها

* كلمة العدو فى هذا الكتاب تعنى القوات الملكية .

المكان الحصين لحماية آلة أو معدة عسكرية مثل الطائرة أو الدبابة أو المدفع أو لإقامة أفراد ، وتجهز وتحصن طبقا لما ، أوْمَن تحصنه وبما يتناسب مع البيئة المحيطة وما يحتمل أن تتعرض له من أخطار ، وفى اليمن نصف ما خلقه الله من الحجارة ، لذا فنحن نقيم المتاريس حول الموقع بالكامل ، والمتراس سور سميك من الحجارة
المتراصة تحجب الرؤية عن الداخل ، كما تمنع الطلقات
من النفاذ وإصابة الافراد ، كما نقيم دشما للأسلحة الملحقة والمعاونة مثل الرشاشات بعياراتها المختلفة والمدفعيات ، والدبابات .. ونقيم دشما لإقامة الأفراد نختار لها موقعا ميتا أى فى ميول تعتبر منخفضة عما يحيطها أو فى الميل الخلفى لاتجاه العدو ، وتغطى بالخيام أو المشمعات ، كما نعد فى اليوم الأول – أو الساعات الأولى – أماكن الاستحمام وقضاء الحاجة وأيضا نختار لها مرتفعا يبدأ من عنده منحدر حتى لا تتراكم المياه المستعملة .
وبعد انسحاب القوات التى أحللناها ، كان لى – كصاحب بيت – أن أكلف الجنود بإعادة تجهيز دشمتى وهى محل إقامتى ، ومركز قيادتى ، ومكتبى الذى أباشر منه وظيفة الخدمات الإجتماعية للوحدة ، ولأننى أقتنع أن الإنسان يؤدى أفضل إذا استوت حياته واستقرت على إمكانية توفير الراحة لجسده ، وإذا حسن طعامه وشرابه ، وتوافرت له إمكانية النظافة لجسده وملبسه فلقد كانت هذه المسألة محل تركيزى واهتمامى الشديد أينما حللت ، لذا أصدرت تعليماتى لرقيب الفصيلة بما أرغب أن ينفذه الجنود فى إعدادهم لدشمتى وتركت له الإشراف على التنفيذ وانضممت إلى قائد السرية حيث توجهنا إلى نقطة الذخيرة فأشرفنا على جردها وحصرها فى كشوف وعمل كشف بعبوة كل صندوق ثبت على غطائه من الداخل ، وأمن موقعها وأسلوب الصرف منها عند صدور الأوامر بذلك ، ثم تناولت الشاى معه فى المغارة الحقيقية التى يحتلها ؛ كهف بحجم مائة متر مكعب ، له مدخل عشوائى يقل ارتفاعه عن مترين

وعرضه متر ونصف المتر ، وقرر أن يضرب طوبا من التراب والتبن والماء لبناء جدران بداخله تحسينا للشكل ومنعا لاحتمالات الحشرات أو الزواحف .. إنه رجل جبار ، طيب بما يزيد على شراسته .
وعدت إلى دشمتى ، حيث أعددت السرير ، وعليه مرتبتين ووسادتين وثلاثة بطاطين جديدة وملاءة بيضاء نظيفة ، وعلى الأرض الصخرية (المستوية) فرشت ثلاثة مشمعات ووضعت ثلاثة صناديق ضخمة أثنان منها من الصاج وواحد منها خشبى تحوى كل أمتعتى ومهماتى وصندوقان خشبيان صغيران فى أحدهما ملابسى النظيفة بعد كيها ، وفى الآخر الأطعمة وأدواتها من أطباق وملاعق وسكاكين وأكواب ، وتحت السرير صندوق آخر أودع فيه مشترياتى ؛ لشخصى أو الهدايا للأهل والأحبة . وعلى الحائط علقت ملاءات لتحسين المنظر ، وفى جيوب الخيمة وضعت سجلات ونماذج الخدمة الاجتماعية .. ووسط الدشمة مائدة كبيرة على جانب منها كتب وأدوات كتابية ، وبجوارها حامل أضع عليه الفانوس وأمام المائدة كرسى عليه شلتة مريحة ، وإلى جانب السرير تقف بندقيتى الألية مجهزة للضرب وعصاى التى أتوكأ عليها فى تسلق الجبل والهبوط منه لألم فى ركبتى وجهاز اللاسلكى الذى يحقق لى الاتصال بالقيادات وفوق رأسى أعلى السرير أعلق طبنجة الإشارة ونظارة الميدان .
إستغرق ذلك التجهيز منى ومن الجندى المراسلة - وهو الجندى الذى يتفرغ لتذليل حياة الضابط فوقت الضابط ومسئولياته إضافة لوضعه الأدبى لا تسمح له بأداء كثير من الأعمال اللازمة لاستمرار وتسهيل الحياة - إستغرق بقية اليوم لنبدأ المهام القتالية بجاهزية عالية .

السراب

الأربعاء 8 يوليو : جاءت البداية بأسرع مما توقعت ، وُضعت فى الاختبار مبكرا ؛ عقدت اجتماعا حضره رقيب الفصيلة وقادة الجماعات وأطقم الرشاشات م/ ط ، م/ م ، م/ د لتلقينهم بمهمتنا وشرح خطط التعامل فى المواقف المختلفة وتكليفهم بعمل كروكيات مبدئية لمواقع أفرادهم أو مواقعهم كما شرحت لهم قواعد تنظيم الخدمات للأفراد ولقادة الجماعات ، ولحكمدارية أطقم المدافع للمرور على الخدمات .
وكاد الاجتماع أن ينتهى ، وفى السابعة والنصف مساء ، اندفع إلى الدشمة دون استئذان جندى يلهث من الجرى قائلا بصوت ينبىء عن فاجعة : يمنيين طالعين الموقع يا افندم ، وبنعارضهم ما حدش بيرد ، ومتقدمين ناحيتنا ووصلوا ارتفاع نص الجبل .
أمرت بانصراف الجميع ، والانضمام إلى جنودهم ووضعهم فى تمام الاستعداد للاشتباك فور صدور الأمر وانطلقت فى اتجاه أقرب نقطة أستطيع منها الملاحظة قبل إبلاغ المستوى الأعلى ، ولاحظت أن قدماى فيهما شبشب حمام وليس معى سلاح فعدت الخطوات التى تقدمتها فوضعت قدماى فى الحذاء بسرعة والتقطت بندقيتى وطبنجة الإشارة ، وأمرت المراسلة بأن يتبعنى ومعه جهاز اللاسلكى والجورب لألبسه داخل الحذاء حين تسمح الظروف .
أطللت من مزغل (فتحة) فى المتراس فلم أر سوى ظلام دامس ، لا يسمح برؤية أى شىء ، فتوجهت إلى موقع خدمة الجندى الذى أبلغ عن الهجوم ، وسألته كيف رأى اليمنيين فى هذا الظلام المطبق فأفادنى أنه سمع حركة شديدة أسفل الجبل وعلى ميله حيث اصطدمت مئات وآلاف علب التعيين الفارغة التى يلقيها الجنود بعد تناول ما بداخلها من أطعمه ..
وأنصت ، فسمعت حركة أسفل منى ، لكنها ما تزال بعيدة ، أحسست توجسا وخوفا أصابا كثيرا من المجندين ، بينما أبدى كثيرون منهم ثباتا وجرأة . وعن الخوف ؛ أعرف أنه شعور طبيعى لدى البشر ، يعانى منه الجندى قبل أن يطلق الرصاصة الأولى ، فإذا ما أطلقها ذهب خوفه وانقلب إلى رغبة فى القتال وربما فى الالتحام . أردت طمأنة الجميع وتثبيتهم فسألت الحاضرين منهم : ماذا يفعل اليمنيون إذا رأوا رأساً يمتد خارج المتراس ؟ قالوا : يقطعونها بخناجرهم فورا . فجلست على ركبتى وأخرجت رأسى من مزغل مدفع الماكينة بعد أن سحبته للخلف ، وقلت بصوت عال فيه تحد : رأسى اهى ياللا أقطعوها يا

يمنيين . وجذبني الجنود إلى الخلف خوفا على حياتى ، وقد اطمأنوا بما لايدع مجالا لأى شك فى عدم حدوث اختراق أو وجود أعداء . ويعلم الله أننى فعلت ذلك وأنا فى قمة الخوف كإنسان لأننى لم أكن على يقين قط من خلو الموقف من خطر داهم وإنما كان الاحتمال الأقوى لدى هو الاطمئنان ولم يكن الاحتمال الوحيد وحين يرتبط الأمر بالحياة والموت فإن للإنسان – كإنسان – أن يخاف فالخوف كثيرا ما يحفظ الحياة على عكس الجبن الذى يضيعها فالشجاع يموت مرة والجبان يموت ألف مرة .

تحركت بسرعة فى الموقع أمر على السرية كاملة حيث كان قائدها فى إجازة ميدانية ، أثبت الجنود وأؤكد عليهم اليقظة التامة ، والاستعداد للاشتباك فى أى لحظة فور صدور الأوامر ، وسألنى أحد الجنود : نعمَر يا افندم ؟ وسخرت منه قائلا : لا يا حبيبى استنى لما العدو يركب الموقع وبعدين عمرَ . وجذب الجندى الأجزاء وقدمها فسحب طلقة من الخزنة إلى ماسورة البندقية وضغظ بإصبعه – دون قصد – على التتك فانطلقت دفعة من الطلقات كان من الممكن أن تودى بحياتنا ، لكن الله سلم وتفادت رءوسنا ، لكن الموقف اشتعل فقد قطعت الطلقات الصمت ، ما أقلقنى أن يتصرف كل جندى طبقا لتوقعه ، فلو استنتج أن هذه الطلقات صوبت إلينا من العدو فالواجب أن يرد فى اتجاهه ، وإذا توقع أنها صادرة من قواتنا فمعنى ذلك أن أمرا قد صدر ، بإطلاق النيران وفى الحالتين ستكون النتيجة هى فتح النيران على هدف غير مرئى أو غير موجود أصلاً مما يشعل الموقف بشكل غير محسوب فى وقت مبكر لم يتم فيه تطعيم الأفراد ، والتطعيم فى المعركة مثل التطعيم ضد الميكروبات ، فالحقن بجرعة مخففة منها يقى الجسم ويحصنه من الإصابة بها لأن الجرعة الموجودة بالجسم ستتولى التعامل مع الجرعة الأكبر التى يصاب بها "وداونى بالتى كانت هى الداء" لذلك لا تسأل المقاتل عن سلوكه وثباته خلال المعركة الأولى التى يشترك فيها ، فبعدها يكون القتال عملية نمطية كالواجب اليومى ، أو أداء الموظف وظيفته .

لإيقاف تتابع فتح النيران ، سألت الجندى بصوت مرتفع حازم : إسمك ايه يا عسكرى ؟ بتضرب ليه من غير أوامر ؟ يا حسين خد اسمه وييجى مكتب . نبه على الجميع بعدم الاشتباك بدون أوامر ، ويكون الاشتباك عند صدور الأمر مع هدف محدد ومرئى .

وأصابت الحمى جهاز اللاسلكى بعشرات الاتصالات من قائد المحور ، ورئيس الأركان وقائد الكتيبة ورئيس عملياته ، وقادة السرايا والوحدات المعاونة ، وقائد نقطة القتال الخارجية وزملائى .. يالله ! طمأنت الجميع ، وشرحت الموقف للقادة ، فتلقيت الأوامر بإطلاق طلقة إشارة بيضاء فوق ميل الجبل لإضاءته والتأكد من حقيقة الوضع ولطمأنة الجنود ، ففعلت ، ولكن درجة الإضاءة لم تكن كافية لكشف الموقع ، للاتساع الكبير ، وكثرة الصخور والثنايا التى يمكن أن يختبىء خلفها جيش كامل إضافة لأن الملابس العادية لليمنيين تماثل لون الصخور مما يساعد على التمويه .

أبلغت النتيجة لقائد المحور ، فأبلغنى أنه سيأمر سرية الهاون بإطلاق طلقتين مضيئتين لكشف الموقع وأن على التأكد من تمترس جنودى ، حتى لا يكشفهم العدو – فى حالة وجوده ، وتكون الإضاءة لمصلحته .. وبعد خمسة دقائق ، أضىء الموقع ، ومن خلف ساتر جيد ، دققت النظر ، وهالنى ما رأيت ، وانفجرت ضاحكا ، وأمرت الجنود بإطلالة على الجبل لرؤية ما رأيت ، وضحكوا جميعا ، وتنهدوا تنهيدة راحة وانقضاء قلق ، حين رأوا جثة حمار ، من الواضح أنه تحرك على غير هدى وسط أكوام العلب الفارغة الملقاه على اتساع المطالع كلها فأحدث الأصوات التى أزعجتنا ، قبل أن يتعثر ويسقط قتيلا .

وعلى كل حال فقد شكرت له أن أثار فى عقلى خطورة هذه العلب بما فيها من بقايا أطعمة على الصحة لجذبها للذباب والأوبئة وأمرت بسكب الكيروسين عليها وإشعال النار فيها فى النهار التالى ، وكلما ذكرت ذلك الحمار الذى أثار فينا القلق ودفع حياته ثمنا لذلك كنت أقول : عاش حمارا ومات حمارا .

الخميس 9 يوليو : استيقظت فى الخامسة والنصف على صوت العسكرى منصور مراسلة قائد السرية يسلمنى إشارة مكتوبة بعقد مؤتمر لضباط اللواء ، فارتدريت ملابسى وأمرت بجمع الجنود بعد أنتهاء

فترة (أول ضوء) حيث تكون القوة بكاملها فى مواقعها وفى تمام الاستعداد فى فترتى : أول ضوء ، وآخر ضوء لأنهما التوقيتان الأكثر احتمالا للمداهمة والهجوم . وعلقت فى عجلة على ما حدث مساء الأمس وطلبت منهم كامل اليقظة ليلا ونهارا وأقنعتهم أن المعين خدمة فى رقبته أرواح الآخرين نياما أو مسترخين أو مشغولين بأعمال آخرى ، ولتفادى تكرار ما حدث أمرت بتعيين خدمة يومية من فردين يعد لهما ساترا متقدما محصنا يحتلانه بعد آخر ضوء ويشدان حبلاً طرفه عندهما ، وآخره معلق به علبة فيها بعض الحصى كوسيلة إنذار لنا عند ملاحظتهما لغير المعتاد من الأمور - بعد كوب من الشاى نزلت لحضور المؤتمر الذى تحدث فيه إلينا العقيد اسماعيل صبرى قائد المحور بالإنابة عن الخدمات واحتياطات الأمن ، وعلاقاتنا باليمنيين وغيرها من الموضوعات التفصيلية ، ثم عرض القادة والضباط ما رأوا أهمية لعرضه .

وبعد انتهاء المؤتمر ، وعلى مدى رحلة العودة إلى موقعى تخيلت الموقع وطبقت عليه ما تحدث فيه القائد وأدركت مدى الخطورة والأهمية التى تتمثل فى نقطة هامة وثمينة لابد للعدو أن يقيمها وأن يضحى بالكثير للوصول إليها وهى منطقة الدشمة التى أقيم فيها ، فهى أعلى نقطة على الجبل وذلك يمثل أهم عوامل السيطرة ، وفيها نقطة الذخيرة ، أى مخزن الذخيرة التى نزود منها المقاتلين قبل نفاذ ما فى حوزتهم من ذخيرة خلال الاشتباك أو لاستعواضها بعد توقفه ، والذخيرة هامة جدا لليمنيين فهى تغنيهم عن تكبد مصاعب جمة فى عملية تزودهم بها ، وحتى لو اختلفت أعيرة بعضها عما يلائم أسلحتهم فعلى الأقل أن يحرموننا نحن من استخدامها ضدهم ، وثالثا وجود ضابط كهدف يعرض اليمنيون ألفى ريال وسلاحا ثمنا لرأسه ويقولون : راس جايد أى قائد ونظرا لأن هذه الأمور مجتمعة تقع عند نهاية مطلع درجة ميله قليلة رغم ارتفاعه فلقد قررت نقل موقع الرشاش م/ ط 12.7مم لتغطية هذه الثغرة واستبدال الجماعة المشاة التى يقع عندها بجماعة أكفأ وعلى الجانب الآخر وضع رشاش م/ م جرينوف تتقاطع نيرانه مع نيران الرشاش الثقيل على منطقة الصعود . ثم كان طلبى من القيادة تكليف فصيلة الكيما (الحرب الكيماوية) بتكثيف الألغام الكيماوية الموجودة فى هذه المنطقة بعد الكشف على القائم منها قبلا وهى ألغام تنفجر بشحنة 67.5 فولت وقوة انفجار كل منها تغطى مساحة تسعمائة متر مربع (30مترا□ ×م) ، وكذلك طلب بحث إمكانية زرع ألغام ضد الأفراد ، وهى ألغام وتديه تتصل ببعضها بسلك رفيع يؤدى التعثر فيه إلى انفجارها .

السبت 11 يوليو : حديث عن القادة والسياسة العسكرية : كان اللواء (فريق لاحقا) أنور القاضى قائدا حازما مع القوات التى يقودها ، وكان شديد البأس مع من يحاربهم ، يتعامل مع المفسدين أو الملكيين بما يتناسب مع غدرهم وما يسببونه لنا من خسائر فى الأرواح والعتاد – وكانت كلمة "يفسد" تطلق على من كان مواليا أو متظاهرا بالولاء للجمهورية ثم انضم للملكيين وعكسها كلمة "يجمهر" بتعطيش الجيم – وتسبب هؤلاء الخونة بسلوكهم ضد صالح وطنهم فى استمرار الحرب وزيادة حجم القوات من عدة فصائل من قوات الصاعقة والمظلات إلى أن وصلت إلى ثلاثة عشر لواءًا من المشاة وحدهم ، إضافة لنصفهم من المدفعية والمدرعات والوحدات الخاصة والبحرية و..و.. أى ما يزيد على خمسة فرق أو جيشين . كان اللواء القاضى لا يدخل الرحمة فى حسابه مع المقصرين ، حاكم الكثير منهم وحاسب الجميع حسابا عسيرا بنظرية أننا لسنا فى نزهة . جئنا لهدف محدد علينا انجازه فى أقصر وقت وبأقل تكلفة لنعود إلى مصر وقد نجحنا فى أداء المهمة . وكان قاسيا فى التعامل مع القبائل اليمنية وكان رد فعله مضاعفا فى القوة ، مما أدى إلى الردع أحيانا ، وإلى إفساد الكثيرين أحيانا آخرى وكانت السياسة مبنية على القيام بعمليات خاطفة مستقلة عن بعضها ما أدى إلى إشغال قواتنا فى أكثر من جبهة فى الوقت الواحد .

وفى أواخر العام 1963 عين الفريق (فريق أول لاحقا) عبد المحسن كامل مرتجى قائدا عاما للقوات . كان بلسما لمداواة الجروح ، وكان صاحب سياسة ناجحة سار على نهجها خلفه اللواء أحمد فتحى عبد

الغنى ، وعلى ذكر هذا الإسم فإن هناك مزحة مرتبطة باسمه فحين رقى إلى رتبة اللواء ، علق زميل بأنه دفعة الرئيس جمال عبد الناصر فى الكلية الحربية ، فعلق آخر : "يعنى لو كان الريس استمر فى الجيش ، مش كان زمانة دلوقت لوا؟!"

نعود للفريق مرتجي ؛ واحد من عتاولة العسكريين استمر مديراً لهيئة تدريب الجيش فترة طويلة بنجاح كامل حتى تولى قيادة القوات ، يمارس رياضات منها "اليوجا" وهى رياضة للنفس والروح وتضاعف القدرة على التحمل ، يبدو وكأنه لم يجاوز الأربعين من عمره ممشوق القوام فى ملامحه نبل . اعتمد فى العمليات الكبرى على القوات اليمنية (صاحبة القضية) فى النسق الأول يعاونهم بنيران الطيران الذى يشكل ميزة منفردة فهو يملك الجو بلا منافس ، ونيران المدفعية – وتتبعهم قواتنا فى الأنساق التالية حيث تتشبث بالأرض ، لأن القبائل كانت تحتل بعض القمم والمواقع الحاكمة وسرعان ما تتخلى عنها لأتفه الأسباب مثل تأخر الرواتب .

كذلك تبنى مرتجى سياسة مهادنة القبائل (دون تفريط) وبذلك يستطيع تأديب القبائل المفسدة الواحدة تلو الآخرى وليست مجتمعة بالعداء فى نفس الوقت وتعامل معهم بسياسة الجزرة والعصا فخصص لهم الرواتب والهدايا العينية التى تضمن ولاءهم أو تنزع عداءهم بتكلفة أقل من تكلفة العمليات المضادة التى لا يلجأ إليها إلا لضرورة .. كما لجأ إلى ارتهان بعض أبناء شيوخ القبائل وليكن بغرض التعليم فى مصر ففى هذه الحالة لن ينقلب علينا شيخ القبيلة وابنه فى القاهرة ، كما أن إقامة الإبن فى القاهرة سيولد الإنبهار والارتباط الوجدانى ، وربما أمكن زيارة الأب لابنه فتكون الحلقة الأخيرة فى هذا الارتباط ، ولقد تم تنظيم رحلات لكثير من المشايخ إلى مصر واقامتهم فيها لبعض الوقت ..

وفى حالة التحركات لقواتنا وقولاتنا العسكرية على طريق تؤمنه قبيلة تتقاضى منا الرواتب كنا ندعو شيخ القبيلة ، ثم نكرمه بتخصيص مكان له فى عربة المقدمة ونضمن بذلك عدم زرع الألغام فى طريقنا بم-عرفة قبيلته .

<u>طين ، وبرد ، وظلام</u>

الجمعة 17 يوليو : دورى فى قيادة الداورية الليلية من بيت مران إلى المكاريب مرورا بموقع الثمانيات المتقدم فى اتجاه صنعاء ، حاولت النوم ظهرا لكن سؤال أحد الجنود عنى لصرف راتبه أيقظنى وأفقدنى القدرة على معاودة النوم ، وخاصة حين سمعت للمطر صوتا فى ارتطامه بالأرض ، زمجرت الريح ، وهبطت سيول غزيرة متواصلة ، وأبرقت السماء فتشققت عن خطوط من الضوء الخاطف ليبدد الظلام للحظة ، وكان الرعد يهز الجبل العتيد بكل ما حمل . كان الصوت مجسما يخترق السمع قادما من كل صوب . تناولت وجبة خفيفة اقتصرت على كوب من البليلة ، ثم مررت بقائد السرية الذى أخبرنى بتعديل الدور ليكون الملازم محمد السيد هو قائد الداورية اليوم ، فاستأذنته بأن أرافقه بعد أن تأهبت نفسيا وارتديت كل ما توفر لى من الملابس الصوفية والواقية من المطر ، وقبل أن يرد اتصل الملازم أول محمد للاعتذار لمرضه الشديد ، فقال : جت بأوامر إلهية ، وفى قيادة الكتيبة أخبرنى قائد ثان الكتيبة أنه سيرافقنى للمرور والتفتيش على المواقع التى نمر بهـا. جمعت أفراد الداورية وحضر القائد وبدأنا التحرك. كان المطر قد ازداد قسوة وعنفا ، ابتلت الأرض وتحول الماء مع الأتربة الموجودة إلى طين زلق . البرد يجمد الأطراف . من العجائب أن أسرح فى خيال بتسجيل فيلم سينمائى عن هذه الظروف الجوية . سبعين دقيقة سارت خلالها عرباتنا بالتوجيه الذاتى فلا رؤية لقدم واحد أمام العربات رغم اضاءة كشافاتها التى غطاها الطين . حمدنا الله لسلامة وصولنا لموقعنا الأمامى ، فاسترحنا نصف ساعة تناولنا خلالها كوبا من الشاى كان الأهم من شربه – على أهميته – إمساك الأكواب بكلتا اليدين علها تجدى فى رفع درجة حرارتهما ولو بدرجة مئوية واحدة .

ركبت مع أفرادى العربة المدرعة P.T.R وانطلقنا بعد أن استمر القائد فى الموقع المتقدم انتظارا

لعودتنا ليصحبنا إلى موقعنا الذى وصلناه فى الثالثة والربع فجرا فتممت على الأفراد والأسلحة وأمرت الأفراد بالانصراف للراحة ، وأمرت عامل اللاسلكى بإعطاء تمام بوصولنا لغرفة العمليات ثم عدت لدشمتى للراحة .

إن هذه الداورية هى العمل الأكثر احتمالا للتعرض للخطر ، فاجتراء الأعداء على مهاجمة مواقعنا الحصينة نوع من الانتحار ، ورغم ذلك نتحسب له ولا نغمض أعيننا عنه برهة ، فالقاعدة القتالية تفترض أن تكون للمهاجم ثلاثة أضعاف المدافع من حيث العدد والتسليح ، هذا فى الظروف القتالية العادية مثل القتال فى الصحراء ، أما إذا كان المدافع متمترسا على قمم مرتفعة ، وتحصيناته شديدة وتسليحه عالى الكفاءة ، فإن المهمة صعبة للغاية ، لذا فإن الفرصة الوحيدة للعدو للقيام بعمل ناجح أو مؤثر بالنسبة لنا هو أن يقلب الصورة بحيث يكون هو فى موقع المدافع ، مثل حالات استفزازنا للقيام بعملية هجومية ضده فى موقعه ، أو – وهذه هى الصورة المثلى ، بعمل الكمائن لوحدات متحركة من قواتنا مثل حالات التقدم والانسحاب ، والأفضل منها القولات الإدارية والداوريات ، ففى هذه الحالة يختار هو الموقع المناسب ، واللحظة المناسبة ويتخذ الأوضاع المناسبة ليكمن فى مناطق انحناءات على الطريق مثلا ، ووضع لغم أرضى (م/ د) ينفجر فى العربة الأولى فيوقع ضحايا وتسبب المفاجأة ارتباكا ، ويتوقف القول إذا كان الطريق ضيقا حيث تسده المركبة المصابة ، ويفاجىء القوة المتحركة بنيران كثيفة ، وغالبا ما يتكون الكمين من مجموعة قطع ، وقوة رئيسية ، ومجموعة ثالثة للحماية والتعامل عند محاولة الانسحاب أو التخلص من المعركة ، ولقد اكتسب اليمنيون مهارة فى عملية الكمائن لذا كانت الداورية الليلية هى القوة الأكثر تعرضا للمخاطر ، وتعتبر عودتها دون مشاكل إنجازا يستحق التهنئة .

الأحد 19 يوليو : تكرار بشكل مختلف لما حدث فى موقعنا منذ أيام ؛ كان ما حدث اليوم فى موقع السرية الثالثة : رأى بعض أفراد الخدمة أنواراً تظهر وتختفى ، وقدروا عدد حملة الفوانيس المصدرة للضوء بأربعة ، فأبلغوا قائد الموقع الزميل والصديق محمد عبد الصمد حمادة حيث أبلغ قائد السرية الذى رفع درجة استعداد الموقع ، وأبلغ قيادة الكتيبة حيث أبلغت كافة المواقع باليقظة وتمام الاستعداد . تلقيت هذه التعليمات فنفذتها بدقة ومررت على الجنود وسألتهم عن مدى رغبتهم فى الاشتباك ، وسعدت لردودهم التى عبرت عن روح قتالية عالية ، ونظرا للظلام الشديد لكثافة السحب التى حجبت القمر فقد أمرت ببقاء الاحتلال مائة فى المائة حتى الصباح ، ولمست روحا طيبة ، ورضا كاملا من الجنود ببذل الجهد الإضافى والبقاء يقظين جميعا فهذا واجبهم وهذه حياتهم ، وقد خصصت الجنود المكلفين بالإمداد بالذخيرة ، والمعينين لإخلاء الجرحى ، وأعددت البطارية الخاصة بتفجير الألغام وكافة الأعمال اللازمة للتعامل مع التطورات وبعد منتصف الليل انقشع الغمام ، وبدا القمر رائعا ، وكسى ضوؤه الأرض والجو ، ولم يبد لنا أحد من أفراد العدو ، فأمرت باستمرار نصف القوة فى الخدمة ، والسماح للنصف الآخر بالراحة مع استمرار الحيطة والحذر .. ودخلت إلى دشمتى حيث أعد المراسلة لى كوبا ثمينا من الشاى تناولته مع كتابة مذكراتى ، ثم نمت مطمئنا .

الأربعاء 22 يوليو : كمكلف بخدمة قائد القول الادارى ، وحيث أغيب عن موقعى نهارا كاملاً فقد أحببت الاطمئنان على سير الأمور وانضباطها . استيقظت فى الثالثة والنصف فجرا فمررت على الخدمات ، واطمأننت على يقظتها عدا جندى واحد وجدته يغط فى نومه بينما ترك سلاحه إلى جواره ، سحبت السلاح وسلمته لرقيب الفصيلة الذى رافقنى ، وأيقظت الجندى الذى فزع فزعا كبيرا فأنذرته بالحضور إلى المكتب لتوقيع أقصى العقوبة عليه .

استعددت للتحرك واصطحبت الحرس اللازم ، ونزلت إلى منطقة تجمع القول الإدارى وهو عبارة عن عدد من العربات تتجه إلى صنعاء كقاعدة إدارية لقواتنا ، حيث يتم صرف التعيينات والجراية (الخبز) وملء عبوات المياه من نقطة المهندسين العسكريين ، وصرف كافة اللوازم من مهمات أو ذخيرة ، كذلك

إجراء أعمال الصيانة والإصلاح فى الورش الرئيسية للمركبات والأسلحة ومعدات الإشارة وغيرها ، ويصحب القول الضباط والأفراد المرضى لعرضهم على السرية الطبية فى العومرة أو المستشفيات العسكرية فى صنعاء ، لذلك يضم القول عدة عربات تتقدمها مدرعة وخمسة عشر فردا فى المتوسط اضافة إلى جماعة الحراسة المكلفة بتأمين القول بقيادة ضابط وفى حالات خاصة يكون أحد قدامى ضباط الصف ، وفى كل الأحوال تكون سلطة قيادة القول للمكلف بهذه الخدمة حتى لو تواجد فى القول من هو أقدم منه فى الرتبة ويصحب القول لنزول أجازة أو العودة منها أو العرض على الجهات الطبية أو مأمورية خاصة بالصرف من المستودعات أو الإصلاح بالورش وغيرها ، وبالتالى فإن قائد القول هو الذى يعطى كافة الأوامر الخاصة ببدء التحرك ، وبأماكن وتوقيتات الوقفات ، ويحدد ساعة ومكان التجمع فى صنعاء لبدء التحرك للعودة بعد انتهاء أعمال القول .. وهكذا .

فى السادسة والربع أصدرت الأمر بتحرك القول الذى أوقفته فى العومرة لبعض الوقت ثم واصلت التحرك إلى صنعاء ، وحددت للجميع موعد التجمع للعودة ، وتوجهت إلى المستشفى العسكرى لشكواى من آلام فى قدمى حيث تلقيت العلاج وتوصية بالأعمال المكتبية لمدة أسبوع . وخلال سيرى فى أحد شوارع صنعاء فوجئت بزميل دراسة فى القاهرة ؛ يمنى من إمارة بيحان يدعى محمد على الشعيبى البيجانى ، لم أكن قد رأيته مننذ سنوات ، عقدت المفاجأة لسانى . كنت أحبه وأقدره لثقافته الواسعة ومشاعره القومية الجياشة ، واعتزازه الشديد بجمال عبد الناصر كزعيم للأمة وكرئيس له لا يعرف رئيساً غيره .. ناديت عليه باسمه فتوقف وتفرس فى وجهى . هو صديق ويعرفنى جيدا ، لكنه لم يكن يعلم أننى حضرت إلى اليمن مقاتلا ، الطريف أننى بعد العناق سألته فى دهشة : إيه اللى جابك هنا ؟ وضحك كثيرا وطلب منى أن أعكس اتجاه السؤال وتداركت ضاحكا : " آه صحيح دى بلدكم " . تبادلنا الحديث والرأى وشكوت له من بعض المتاعب وضمنها ما يعرفه جيدا عنى من تفضيلى للجوع عن تناول طعام تعافه نفسى ، وأننى أعانى فى الأيام التى أحضر فيها إلى صنعاء حيث أتحرك قبل الإفطار وأعود بعد العشاء ولا أجد فى صنعاء ما أتبلغ به إلا أحد بديلين : الأول علبة كمبوت مع قالب من الشيكولاتة (المستوردة طبعا) أو علبة جبنة كرافت (مستوردة أيضا) مع رغيف من الجراية التى نصرفها ، فاصطحبنى إلى مطعم - بعد رفض وتمنع منى – لكن اسم المطعم طمأننى قليلا قبل عرضه خطة تقضى بأن يطلب هو طعاما يتناوله فى حضورى فإذا ما أعجبنى العرض والرائحة وما إلى ذلك طلب لى طعاما . اتفقنا ، وفى المطعم وجدت نادلا عدنيا عرض قائمة مشجعة من الطعام وطلب صديقى الأصناف التى يعرف – بعشرتنا الطويلة – أننى أفضلها ، وفوجئت بالنادل يعود حاملا طاولة خشبية عليها مجموعة من أطباق الأركوبال الفرنسية ، فى أحدها الاسباجيتى باللحم المفروم والجبن الرومى المبشور وفى آخر قطعة سكالوب بانيه شهية فى شكلها وفى رائحتها ، وإلى جوارها طبق من السلاطة الخضراء ، ترانشات من الطماطم والخيار والفلفل وفى مركز الطبق قلب الخس ، مع كوب كريستال ملىء بالماء المثلج وزجاجة دراى كندا مثلجة هى الأخرى ، وضعها على المائدة الخشبية الأنيقة وعاد بعدها ومعه طبقا من الكاسترد شممت رائحة الفانيليا ومكسبات الروائح الطيبة ، فلم أنتظر حتى يأكل زميلى كاتفاقنا ، وطلبت تكرار نفس القائمة فورا .

بعدها اصطحبنى إلى ستوديو التحرير بصنعاء حيث التقطت لى صورة تذكارية بالملابس اليمنية . ثم افترقنا إلى الأبد ، حيث قرأت خبرا عن مصرعه فى موطنه بعد ذلك .

إتجهت إلى مكان تجمع القول ، وفى الموعد تحركت ، وفى العومرة كانت وقفة زرت خلالها زميلى ودفعتى عبد الحميد أمين ضابط ورشة المركبات حيث عرفنى على مجموعة الضباط بالورشة : الرائد يحى أنيس ، رئيس الشئون الفنية ، النقيب سمير القيصرلى ، قائد الورشة ، النقيبان ؛ محمد الغمراوى* وفوزى الكومى* ، وفى السادسة انضم إلى القول من تركناهم

---

*وزير الانتاج الحربى وأمين العاصمة بالحزب الوطنى الديمقراطى لاحقا .
* نائب مدير إدارة المركبات ، ثم العضو المنتدب لشركة المهندس الوطنية لصيانة السيارات (مهندس كار) لاحقا .

فى العومرة لتنفيذ أعمال مأموريتهم ، وباكتمال العدد تحركت فى طريقى إلى الموقع فى بيت مران ، مضى ثلث الطريق بشكل عادى قطعناه فى أقل من نصف ساعة ، ثم ، وفجأة ، أظلمت الدنيا ، هز صوت الرعد أرجاء المكان الموحش فازداد وحشة ، وانهمر المطر الانتقامى ، نعم كان المطر يمثل تحديا من الطبيعة القادرة لبشر لا قدرة لهم ، أمرت بإغلاق سقف المدرعة ، لكنه لم يحجز كميات المطر الساقطة على السقف أو المتجمعة عليه فمع كل هزة تهتزها المدرعة كانت تسقط زخة من الماء على رءوسنا وخلفى جنود يركبون فى صناديق اللوارى المكشوفة .. ازداد السيل قسوة ، وازدادت تجمعات المياه ، والبرك الطينية اللزجة تغطى الأحجار البارزة على جانبى الطريق الذى لم نعد نميزه . ننطلق فى مدرعة من طراز قديم أدت من الخدمة ما يحيلها للمعاش مرتاحة الضمير ومعى فى العربة نقيب وتسعة من الصف والجنود .. الظروف مناسبة تماما لكمين ، تحيط بالطريق تباب خلفها خور ، ومناطق منخفضة ، لو اندفعت نحوها المدرعة فلا عاصم إلا الله .. الجميع تلتاع قلوبهم ويتحسبون للحظة الارتطام بصخرة أو الهبوط إلى هاوية ، أو تلقى رصاصات كمين غادر . العربة تندفع بسرعة على طريق لا نراه ، النور الأمامى لا يكشف الطريق لضعفه أساسا وتغطية الفوانيس بالطين ، العربة تهبط وترتفع ، وترتج بعنف ، وبدا لى أن السائق مات بعد أن ألقى بثقل ساقه على دواسة البنزين ، وأصبح مصيرنا معلقا بيد القدر ، وأمرت عامل اللاسلكى بالاتصال بالقيادة للإبلاغ عن الحالة حتى يعدوا العدة لنجدتنا عند اللزوم لكنه أبلغنى بفقد الاتصال لضعف البطارية . فجأة أحسسنا بارتطام المدرعة بجسم صلب وتوقف حركتها . وأغمضنا عيوننا حتى لا تبصر نهايتنا لكننا أحسسنا بقلوبنا تنبض ففتحنا عيوننا لنجد العربة وقد استقرت فوق صخرة . حمدنا الله على كل حال أن نجونا من عربدة الطبيعة وسخريتها ، وتصورنا كيف كانت المدرعة 4□ 4 ووزنها ثلاثة أطنان كقشة تنطلق مع الريح وتتمايل بلا سيطرة ، والماء يندفع على رءوسنا وأكتافنا من خلال كتل الحديد التى يتكون منها جسمها وأبوابها .. وحين عبرت عجلتيها الأماميتين الصخرة البارزة من الأرض ، ارتكز عامود الكردان عليها ، ولم تقو العجلتان الخلفيتان على دفع العربة لاجتياز الصخرة .

نزلنا من العربة وحاولنا دفعها فلم تجد المحاولة نفعا . حاول السائق ومساعده إصلاح العربة تحت المطر والظلام المسيطر ، ومع انعدام الأمل فى الاتصال بالقيادة ، أو مرور عربة ، حيث لا توجد عربات سوى عرباتنا ولا تسمح التعليمات بتحرك العربات بعد آخر ضوء ، وانحصر الأمل فى قلق القيادة لتأخر وصول القول فتدفع بعنصر استطلاع للبحث عنا ، أو مرور الداورية الليلية بعد العاشرة .. وأخذت أرقب حولى بالتنصت فى ظل انعدام الرؤية حتى لا يباغتنا عدو متربص .

رفعنا العربة بكوريك الرفع الخاص بها ، وكوريك عربة آخرى ووضعت تحت عجلاتها بعض الحجارة ، ثم تجمع كل الجنود بالقول ، وفى لحظة واحدة دفعوا العربة إلى الأمام وتم إخلاء الصخرة من تحتها ، وانطلقنا نكمل الطريق بعد أن كلفت مساعد السائق بالجلوس على مقدمة العربة لتوجيه السائق الذى لم يعد يرى شيئا خاصة بعد أن تحول الزجاج الأمامى إلى لوح معتم عازل .. وبعد مغامرة قصيرة لكنها مثيرة وصلنا إلى بوابة موقع الثمانيات المتقدم ، وعارضنا العسكرى الخدمة فأعادنا صوته إلى الحياة ، واستعاد السائق روح الدعابة ، فرد على الخدمة متسائلا بتهكم : " يا عم انت بترفعنا على ايه بس ؟ هى ناقصة؟ " .. ووصلنا بسلام إلى موقعنا بعد يوم مرهق ، ممتع ، مثير ، يوم آخر من أيام الطين والبرد والظلام .

الأربعاء 29 يوليو : شوهدت تجمعات للأعداء على الجبل الأحمر المواجه لموقعى ، وتحدثت المعلومات أن العدو فى المنطقة بقيادة الشيخ عبد اللطيف الطهيف يجمع قواته ويحاول الاتفاق مع أكبر عدد من القبائل للقيام بعمل موحد ضد قواتنا ، تتزعمه قبيلة نهم المفسدة والقريبة جدا منا ، لشغل القوات فى

وقت واحد ، وأبلغنى قائد ثانى الكتيبة أن التجمعات التى شوهدت على الجبل الأحمر كانت تحتفل بإضافة مدفع ثالث إلى موقعها ، وهم يستخدمون المدافع بأسلوب إلدغ واهرب فهم يخبئون المدفع فى مغارة بالجبل لوقايته وعدم رصده ويدفعونه خارجها لإطلاق طلقة أو أكثر فى اتجاهنا ثم اعادته فورا إلى داخل المغارة وأعتقد أن العدو سيمنى بخسائر فادحة إذا فكر فى القيام بعملية هجومية ، ففى موقع فصيلتى وحده مدفعان م/ د 76مم ، وثلاثة مدافع م/ ط أحدها 37 مم والثانى 14.5مم والثالث 12.7مم ومدفع ماكينة متوسط جرينوف ، إضافة لثلاثة رشاشات خفيفة ، وخمسة وعشرين بندقية آلية وعشرة بنادق نصف آلية وثلاثة رشاشات قصيرة كارل جوستاف مع ثلاثة قواذف صاروخيةR.B.J. وبالفصيلة أربعة طلقة عيار 7.62□ 39 مم عادة روسى ، وألفى طلقة عيار 7.62 □ 54مم عادة روسى وخمسين قنبلة دفاعية F.1 روسى ، 36 ميلز انجليزى ، ويؤمن الموقع ثلاثة مجموعات من الألغام الكيماوية يتم تفجيرها بواسطة بطارية .. إضافة لوجود نقطة ذخيرة السرية ، وبها مائة وخمسين آلف طلقة أسلحة صغيرة ، ومائتان وخمسين قنبلة دفاعية وهجومية S.C.R.M إيطالى ، وقنابل دخان ومسيلة للدموع .

ترى من ذا الذى يلقى بنفسه إلى التهلكة بمواجهة هذه القوة التى يسعدنى أن أكون أحد عناصرها ؟

الخميس 30 يولية : وحيث كنت فى صنعاء كقائد للقول الإدارى ، ولما كنت قد عرفت الطريق ، فلم لا أتناول وجبتين لا وجبة واحدة فى مطعم الحرية أو الأمم المتحدة (U.N.) ؟ برفقة صديقى الملازم سمير فريد تناولنا وجبة إفطار من البيض المقلى والزبد والمربى مع طبق من السلاطة المتبلة ، ووجبة غذاء من المكرونة والبوفتيك والبورية والسلاطة مع الحلو والمشروبات الباردة والساخنة وهو ما كلف كل منا ريالين كاملين أى خمسة وستين قرشا مصريا ، وفى جولة مشتريات كان الأهم فيها شراء حوضين أحدهما لغسيل الوجه والآخر أكثر اتساعا لغسيل الملابس كلاهما من قماش البل السميك ، وكلاهما يعلق على نفس الحامل الخشبى الذى ينطوى ، اشتريته من غرفة البيع بالقيادة مقابل جنيه مصرى واحد يخصم من مرتبى فى القاهرة .

السبت أول أغسطس : وردت معلومات فى الصباح عن رصد استعدادات العدو للقيام بعملية ما ضدنا فمثلا هناك حركة نزوح ملحوظة لسكان القرى بالمنطقة ومعهم أمتعتهم وزوجاتهم وأطفالهم إلى أماكن بعيدة وهو إجراء وقائى يلجأون إليه قبل الاعتداء علينا تفاديا لهدم القرى على رءوسهم ، كذلك فقد رصدنا تحركات على الجبل الاحمر منذ أيام . نحن نحتل مواقع حصينة ولدينا التخطيط العسكرى الجيد ، والسلاح الكافى ، وتبقى اليقظة والملاحظة والرصد ، فما لم يباغتونا فى غفلة منا فإنهم هالكون لا محالة . جمعت جنودى وشرحت لهم ذلك وخيرتهم بين خيارين ، أن نسهر ونفتح عيوننا وآذاننا فنحمى موقعنا ، ونصون كبرياءنا وسمعة وطننا ، أو أن ننام فنعرض أنفسنا للذبح ، ونمرغ سمعة وطننا والعسكرية المصرية فى الوحل ، ونجلب على أنفسنا وعليها العار . ثم أكملت أن هذان الاختياران ليسا متروكان للتقديرات الشخصية ، وانما هو خيار واحد ملزم لنا : اليقظة . إن جنديا واحدا ينام فى خدمته يعرض الموقع بالكامل لكوارث ، وشددت على ضباط الصف بالمرور الدائم على الخدمات ، وذكرونى هم بأننى كثيرا ما مررت على الخدمات ومن خلفى المراسلة يحمل ترمسا مليئا بالشاى ومعه أكواب فارغة حيث أوزع المشروب الساخن على الأفراد الذين أمر بهم ، وأننى أبقى مع كل منهم لبعض الوقت حتى أتأكد من يقظته التامة وأننى أحللت – ذات مرة – محل أحدهم حيث أحسست بأنه منهك وشككت فى صموده يقظا حتى انتهاء خدمته فأمرته بالنوم نصف ساعة ثم أيقظته ليستكمل خفرته ..

الثلاثاء 4 أغسطس : إنهال المطر عنيفا واختلف عن كل المرات السابقة فقد صحبته ريح صرصر عاتية اقتلعت كل ما صادفها ، ارتديت بالطو المطر وخرجت من خيمتى .. ناديت على الخدمات ولم أتلق سوى رجع الصدى ثم اكتشفت أن الجندى المكلف بالخدمة على نقطة الذخيرة يحتمى من الريح والمطر بالجلوس داخلها .. اتجهت بسرعة الى موقع الخدمة التالى ، ولم أجد الجندى ودفعنى ذلك إلى المرور

على الموقع كله ، واجتاحنى غضب شديد فلم تمر أيام على شرحى لخطورة الموقف للجميع ، اتجهت لدشمة الرقيب وكلفته بإيقاظ العرفاء وباقى الجنود ، وسرت فى الاتجاه المضاد لسيره لاستكمال التفتيش فوجدت جنديا يقظا يضع الكبود أو البالطو الصوف ويرقب عبر المتراس وأحس بخطوى فعارضنى فامتدحته ثم أبديت ملاحظة أنه لايقف فى موقع الخدمة فأبلغنى أنه اليوم فى راحة وليس معينا خدمة ، فقط أحس بأن الظروف الجوية الصعبة أثارت فى نفسه قلقا فخرج إلى هذا المكان لكى يكثف المراقبة ..
تجمعت الفصيلة بالكامل فوبختهم وتوعدتهم ثم أمرت بأن يستمر الجميع يقظون فى الخدمة حتى الصباح كعقاب جماعى يشمل من كان فى وقت راحته ، فالعدو إذا تسلل إلى الموقع سيذبح الجميع ولن يسأل أحدا عما إذا كان فى الخدمة أم فى الراحة قبل أن يذبحه .
وبينما امتدحت الجندى الواعى اليقظ إحساسا بالمسئولية وكافأته بإعفائه أسبوعا من كافة الخدمات النهارية والليلية وأمرت بعرض الجنود المقصرين فى الخدمة على مكتبى لتوقيع جزاءات رادعة عليهم .
وقبل أن أنصرف سلمنى مراسلة قائد السرية قصاصة تحمل معلومات عن انقسام بين اليمنيين الموالين لنا على أنفسهم فقرأت فحواها للجنود وحذرتهم من احتمالات اعتداء على مواقعنا ثم مضيت أمر على الفصيلة المجاورة لى حيث أنها بدون ضابط " قائد فصيلة " ، ثم عاودت المرور على فصيلتى حتى ظهر أول ضوء فعدت إلى دشمتى لأتناول كوبا من الشاى وأكتب مذكراتى وأستسلم للنوم .

الإجازة الأولى وفيلم هندى :

الثلاثاء 11 أغسطس : القاهرة .. الساحرة .. الساهرة ..

أمضينا أمسية الأثنين وليله فى صنعاء ، نمنا سويعات واستيقظنا فى الثالثة فجر الثلاثاء أعددنا أنفسنا ؛ حلاقة الذقن والحمام ، وارتداء الأوفرولات التى أشرفنا على كيها بعد تنشية الياقات والأساور وأغطية الجيوب وحزمنا أمتعتنا واستغرق ذلك وقتا حتى بعد الخامسة ثم انطلقنا إلى مطار الرحبة وأوصلنا زميلنا محمد عبد الصمد حمادة حيث ركب وحده الطائرة أنتنوف وهى طائرة نقل عسكرية ، توضع البضائع فى وسطها وتلقى عليها شبكة متينة تثبت فى حلقات بأرضية الطائرة بينما يركب الأفراد – حال وجودهم – موازين لجسم الطائرة ، ويضعون كمامة " ماسكا " يتنفسون الأكسجين من خلاله لأن الطائرة غير مكيفة إلا فى الكابينة ، ويلجأ بعض الضباط لطلب ركوبها لأحد سببين : إصطحاب حمولة كبيرة يتعذر السماح بها فى طائرة الركاب ، أو تعجل الوصول الى القاهرة فهى تتحرك قبل الطائرة الأخرى بساعة وزمن طيرانها يقل عنها ساعة آخرى .. أقلعت طائرته فى السادسة والنصف واتجهت أنا وسمير فريد حيث ميزان الأمتعة واستلمنا تذاكر سفرنا وركبنا طائرة الركاب المدنية طراز D.C.6. .. دارت المحركات وانطلقت فى الثامنة فشاهدنا صنعاء من الجو لأول مرة ، ومررنا على الجبال نشاهد قممها حتى هبطت الطائرة فى مطار الحديدة بعد التاسعة بدقائق حيث توقفت للتزود بالوقود وركوب القائمين بأجازات أو مأموريات من قطاع الحديدة ، وبعد ساعتين أقلعت ونظرت تحتى لأجد البحر الأحمر .. وانطلق خيالى يسبق الطائرة الى القاهرة ، وسرحت بعيدا فى المكان وفى الزمان ، فى متعة لامتناهية حتى وقع بصرى على أرض مصر فى الجنوب ، رأيت النيل ، ثم رأيت الأهرام .. هذه هى القاهرة التى ودعتها منذ خمسة شهور . هبطت الطائرة بعد الثانية بقليل . أوقفت محركاتها وفتحت بابها وهبطنا إلى أرض المطار الدولى فسجدنا لله شكرنا وقبلنا أول بقعة من أرض مصر ، وكدنا نخلع نعالنا تبجيلا وتقديسا لأرضها الطاهرة . ونقلتنا الأتوبيسات إلى مطار الماظة (القديم) حتى لانخضع لإجراءات الجمارك أو الجوازات فنحن لا نحمل جوازات .. استقبلتنا التشهيلات العسكرية بالتحية وسئلنا عن المدينة التى نود الحصول على استمارة سفر بالسكك الحديدية اليها ، ولما كنا فى أغسطس فقد كانت الإسكندرية هى المقصد .. انطلقنا الى بيوتنا حيث لقاء الأهل والطعام الشهى ، والفراش الوثير

والملابس المدنية ..
وأيام فيها الكثير والكثير مما يخرج عن نطاق موضوعنا ، إلا إذا أفرغنا فصلا تحت عنوان : مقاتل فى أجازة !
مضت أيام الأجازة مدنية بامتياز، ممتعة بلا حدود ، لم نقترب من أجواء العسكرية إلا فى سفر إلى قمة فايد حيث كلية الضباط الإحتياط ثم زيارة لإدارة كاتم أسرار حربية حيث أتممت إجراءات إنهاء فترة تجنيدى واستدعائى كضابط احتياط ووصلت إلى آخر أيام الأجازة ؛ الأثنين 24 أغسطس حيث أعود إلى اليمن فى اليوم التالى . وافق هذا اليوم عيد ميلادى الثالث والعشرين . لم أكن معتادا الاحتفال بهذا اليوم فيما قبل ، ولكن أن تكون عودتى لخدمة الميدان فى اليوم التالى وكما كان يقال عنا : الذاهب مفقود والعائد مولود فلتكن حفلة لوداع الأهل ولأننى كنت قد اقتنيت أكبر جهاز تسجيل فى الأسواق وكان جهازا جديدا وغير متداول فى مجتمعنا فليكن الحفل مع إذاعة أغانى المناسبة ، دعوت الأهل والأصدقاء وأكدت عليهم الحضور ، وكلفت من قام بشراء التورتة والجاتوة والمشروبات وكافة متطلبات المناسبة ، وطلبت من والدى الحضور – على غير العادة – قبل السادسة حيث يأتى من عمله التجارى فى العاشرة غالبا . .
قبل الموعد تذكرت أننى لم أدع صديقا عزيزا على مسيرة دقائق من مسكنى فنزلت فى الخامسة لاصطحابه إلى الحفل .. وفى الخامسة والنصف وأثناء صعودى السلم سمعت صراخا يوشى بوفاة أو كارثة فى أحد الشقق المجاورة ، وتضايقت لأن ذلك سيتسبب فى التزامنا بتخفيض الصوت واختصار الاحتفال حفاظا على مشاعر الجيران التى كنا نلتزم بها ونحترمها فى ذلك الوقت ..
وصلت إلى شقتى ، وجدت بابها مفتوحا ، والصراخ يصدر من داخلها ، ورأيت وجوما واضحا على الوجوه ، ودموعا فى العيون ، ووقف الرجال يمسكون بذراعى يواسوننى ، وما أن رأتنى النساء حتى صرخن بأعلى تردد ممكن . أصابنى وجوم بليد وتساءلت : ما الخبر ؟ قالوا : البقاء لله . قلت سبحان من له الدوام . من المتوفى ؟ قالوا : والدك تعيش أنت !
لم أصدق . هناك خطأ . متى عاد ؟ متى مرض ؟ ثم متى مات ؟ لقد تغيبت نصف ساعة ؟ قال أخى : لقد عاد وجلس على كرسى إلى المائدة التى تحمل الحلوى والشراب ثم ارتكز بمرفقه على المائدة وأسند رأسه عليها ، ولاحظت مرور دقيقتين من الثبات فسألته : مالك يا بابا ؟ ولم يرد . كان قد مات .
من بين ثلاثمائة وخمسة وستين يوما فى العام اختار القدر يوم ميلادى لكى يرحل أبى . من خمسة عشر يوما هى مدة أجازتى اختار ملك الموت يومها الأخير لكى ينفذ مهمته .. فى لحظة الفرحة بذكرى الميلاد ، نفذ عزرائيل قرار الموت .
كان الغد موعد الفراق . لماذا عجلته إلى اليوم ؟ كان فراقنا إلى حين ، فجعلته إلى يوم الدين ..
هل يمكننى التخلف عن طائرة العودة ويحتسب ذلك غيابا عن حد تصريحى خلال خدمة الميدان ؟ هل يخصم على – إضافة للجزاء المشدد – ثمن رحلة الطيران لعودتى بعد الرحلة المقررة لى ، ويكون ذلك تحقيقا للمثل الشعبى الذائع : موت وخراب ديار ..
لاحظ أحد الجيران الذين حضروا على عجل فور سماعهم النبأ ، حيرتى ، فسألنى عما يقلقنى وحين أخبرته بمعضلة انتهاء الإجازة ، أخبرنى أنه قريب العقيد عز الدين ربيع نائب كاتم أسرار ، وأنه سيتصل به ، وعلىَّ زيارته فى اليوم التالى فى مكتبه وسيقوم بكل التسهيلات ، واعتذرت عن عدم إمكانيتى الذهاب إلى أى مكان غدا ففى الصباح تكون الجنازة وفى المساء أتلقى العزاء . المهم إتفقنا على تأجيل ذلك لليوم التالى وسأتخلف عن السفر وليكن ما يكون .. فى اليوم التالى أعطانى أحد المعزين كارت زيارة كتب عليه توصية للعميد أبو الوفا مروان مدير الإمداد بإدارة المشاه (أو المنطقة المركزية لا أذكر) ولما كانت فى باب 3 بالعباسية أى فى طريقى إلى كوبرى القبة حيث إدارة كاتم أسرار ، فقد مررت بها أولا ، وفى مكتبه سألنى الرجل عما أطلبه ، فقصصت له مأزقى ، وعلى الفور قال لى " روح

خلص أمورك وريح نفسيتك وفى الوقت اللى تلاقى نفسك قادر تسافر تعالى . وإن أحببت إلغاء سفرك قول لى . البقاء لله يا ابنى وشد حيلك " .
تحدث الرجل بثقة وكأنه القائد العام للقوات المسلحة فخرجت من مكتبه مقررا نسيان ما قاله ونسيان الزيارة من أساسها وندمت على الوقت الذى ضيعته واتجهت إلى كاتم اسرار حيث وجدت العقيد عز الدين ربيع فى انتظارى . استقبلنى بحفاوة وصمم على تناولى كوبا من عصير الليمون قبل أن يسمع منى ، وعرضت موضوعى . وسألنى : والمطلوب ؟ قلت تأجيل السفر يومين أو ثلاثة . قال : لا تقلق كل شىء حايتم زى ماأنت عاوز إن شاء الله ..
وأمسك الرجل بسماعة التليفون وأدار القرص ، ومع لفاته سرى الاطمئنان فى نفسى لأنه . وهو نائب كاتم أسرار ، يتصل بمستوى أعلى للتنسيق معه ، وحملقت فى الرجل ، وتابعت المكالمة :
آلو .. صباح الخير يا افندم .. أخوك الصغير عز الدين ربيع . .
خدمة صغيرة يا افندم .. فى ملازم بيخدم فى اليمن ووالده توفى أول أمبارح وأجازته خلصت امبارح
أيوه يا افندم اسمه محمود مبروك سيادتك تعرفه ؟
كان عند سيادتك ؟ معلش يا افندم أنا آسف جدا .. ربنا يخليك لينا دايما .
وأنهى المكالمة ، ونظر إلى تظرة ملؤها الاندهاش والتساؤل قبل أن يسألنى قائلا : انت كنت عند العميد أبو الوفا ؟ قلت نعم . قال : وجاى لى ليه ؟ قلت : أسف يا افندم بصراحة أنا قلقت من كلامه الواثق زيادة عن اللزوم ..
قال : زيادة عن اللزوم ؟! قوم يا بنى روح واعمل اللى قاله العميد ابو الوفا وبلاش تتسبب لنا فى جزا .
أنصرفت ، وبعد يومين من الحزن المتجدد كلما حضر مُعزٍّ أو معزية على وجه الخصوص ، رأيت أن العودة إلى اليمن أهون على ، فتوجهت إلى العميد أبو الوفا وأبلغته برغبتى فأثنى على وثمن رأيى واتصل بقائد ك1 حراسة فأبلغه باسمى وكلفه بالحجز لى فى طائرة اليوم التالى وتسليمى شهادة بأن تخلفى كان بسبب المجهود الجوى .
اتجهت سيرا إلى الكتيبة فى بداية شارع الخليفة المأمون ووجدت قائد الكتيبة فى انتظارى وصحبنى الى مكتبه ، وصمم على تقديم مشروب ، وقدم لى الشهادة المطلوبة حيث تم تحريرها وختمها فى اللحظات التى أمضيتها فى الطريق .. وأستحلفنى أن أزوره فى كل اجازة لى بالقاهرة وأنه يشرفه تقديم أى خدمة لى أو لأى صديق يهمنى أمره دون حاجة لإزعاج سيادة العميد أو إشغاله . ولما لم يكن الرجل صديقا لى أو قريبا فإن اهتمامه المبالغ فيه وعرضه لخدمتى ولكل من يأتى من طرفى راجع إلى بركات رئيسه العميد أبو الوفا الذى عرفت بعد ذلك بسنوات أنه صديق المشير عامر وربما بلدياته ودفعته ، والأهم من ذلك أنه أصبح صهر الرئيس جمال بزواج ابنه أشرف من السيدة / منى ابنة الرئيس .
مثل الرحيل التراجيدى المفاجىء لوالدى الذى كنت أحبه وأقدره وأتخذه مثلا أعلى ، صدمة شديدة لى خفف عنى بعض حملها ، ما رأيته فى جنازته المهيبة التى فزع إليها كل رجال العائلة التى كان عميدا لها من عدة محافظات بالوجه البحرى ، لقد كان أنفا أبيـا ، خـدم الجميـع فى حياته ، وأبى أن يتكبد أحد – حتى ولديه – أى عبء فى مماته ، لم يكلفهما جهدا ومشقـة أو كلفـة ونصبا فى علاج ، أو عجز يتطلب العون ولو ليوم .. وحيث نشر النعى فى جريدة الأهرام ، فقد تفرغ عامل البرقيات لتسليمنا برقيات العزاء ممن تعذر عليه الحضور ، وتسلمت برقيات من رئيس الجمهورية والقائد العام ومدير سلاح المشاة .. وعج سرادق العزاء بالمئات مما اضطر المقرىء إلى تخفيض زمن القراءة إلى دقائق قليلة حتى يفرغ السرادق ويتمكن المنتظرون خارجه من الدخول . حقا إن أحد المقاييس الرئيسية لحب الناس هو عدد من يحضرون عزاء المرء أو الذين يحتفلون بإحالته إلى المعاش .
الخميس 27 أغسطس : فارق أبى الحياة وانتقل إلى العالم الآخر منذ ثلاثة أيام ، وفارقت أنا مصر وانتقلت إلى اليمن اليوم . ودعت أمى ؛ الأرملة التى فارقها زوجها إلى الأبد ، واليوم يفارقها ابنها ؛

ومن يدرى إلى متى ، وشددت على يد أخى الأكبر ، أبى من الآن وتركته حزينا وحيدا مجهدا ، واصطحبنى بعض الأهل والأصدقاء إلى المطار يواسوننى بكلمات مكررة لا تعنى شيئا سوى أنهم أناس طيبون . ركبت الطائرة بعد منتصف الليل ، وسبحتْ ــ وسبحتُ معها ــ فى ظلام ممتد من حولى ، وداخل نفسى الكسيرة ، وقلت سبحان الله ، شتان ما بين رحلة المجيء ورحلة العودة .
الأثنين آخر أغسطس : انتهت ثلاثة أيام من العزاء ومشاطرة الأحزان من الجميع بدءً بقائد المحور والضباط وانتهاء بالصف والجنود فى فصيلتى وباقى أفراد السرية ، أديت خلالها الأعمال الضرورية التى لا تقبل التأجيل ، والحقيقة أن قائد سريتى طلب منى الراحة وعدم إجهاد نفسى للمدة التى أراها لازمة للتماسك إلا أننى رأيت فى العمل إشغالا عن اجترار الحزن ، وطريقا سريعا للنسيان .
الخميس 3 سبتمبر : تأثرت بصفة إضافية عندما وصلت الجرائد ، ووقع بصرى على صفحة الوفيات ، بجريدة الأخبار الصادرة بالأمس ، قرأت نعيا نصه : أسرة السرية الأولى بالوحدة 144 تشاطر الملازم محمود مبروك الأحزان لوفاة والده المرحوم محمد مبروك .. إغرورقت عيناى بالدوع فلم يكن ذلك النعى واجبا ملزما أو حتى ميسرا ونحن فى اليمن ، ولكن جهدا وتدبيرا لابد أن النقيب محب شاهين ــ ذلك الرجل الرائع ــ كان وراءهما ببساطة لأن الأخبار ليس لها مكتب فى اليمن ..
وكانت الكلمات البسيطة والمعبرة من جندى تجاهى تهزنى بعمق ويعجز كبريائى أن يمنع عبرة أن تترقرق فى مآقى .
كنت أحس أننى نجحت فى أن أمزج بمهارة بين الشدة التى تفرضها اعتبارات العسكرية ، وبين الأبوة التى وصلتهم منى رقتها ودفؤها ، مع أن معظمهم يكبروننى سنا . كنت أحمد الله أن أبى لم يرحل قبل أن أصبح أبا لكثيرين ..
السبت 5 سبتمبر : تممت على الجنود وسلمتهم التصاريح ، وتحركت بالعربة المدرعة فى مقدمة القول ، إلى العومرة حيث وحدات من تشكيلنا ، وفى الطريق توقفنا لمرات شكا فى ألغام مزروعة فى طريقنا وفى إحداها أشار كاشف الألغام إلى وجود لغم . أمرت بتراجع العربات والأفراد واتخاذ السواتر المناسبة وتوجيه أسلحتهم نحو قرية يمنية على يمين الطريق مستعدين للاشتباك إذا لزم الأمر ، وتضاعفت شكوكنا عندما هرول أربعة من اليمنيين واستتروا عند رؤيتهم لنا ، وحفر أفراد المهندسين العسكريين الأرض بحذر بحثا عن اللغم فلم يجدوه ، ويبدو أن ارتفاع نسبة الحديد بالأرض ضللت مكتشف الألغام .. وعلى أية حال فإن اتخاذنا للإجراءات الاحتياطية عشرة مرات دون تحقق شكوكنا أفضل آلف مرة من عدم الإكتراث لمرة واحدة يتصادف معها تحقق الخطر .
بعد استراحة قصيرة فى العومرة وإخطار الزميل عبد الحميد أمين لنا بأننا مدعوون للغذاء معه خلال عودتنا من صنعاء ، تحركنا بحذر ، وفى صنعاء توجهت وبرفقتى الملازم السيد بدوى والملازم وجدى ناصر إلى المستشفى العسكرى ، فصرف للأول دواء ، وتقرر سفر الثانى إلى القاهرة غدا فى إرسالية مرضية لإصابته بشلل نصفى أما أنا فقرر الطبيب تحسن حالة قدمى وأوصى بعدم إجهادها والقيام بالأعمال المكتبية فقط لمدة أسبوع ، وضحكنا ثلاثتنا عندما عبر وجدى عن حالتنا بأنه تم تكهيننا فى عز الشباب ، لكننا ــ قياسا بالحالات التى رأيناها بالمستشفى فى خير نحمد الله عليه .
وفى الشئون العامة تسلمنا الترفيه ؛ علب بسكويت ، ولكل ضابط بشكير وزجاجة كولونيا ولا أذكر السجائر ضمن الترفيه حيث كانت تصرف كتعيين والفرق بين الأثنين أن الأول منحة لا تخضع لنظام ثابت أو أصناف بعينها ، أما الثانى فهو حق ثابت فى نوعه وكميته وتوقيته ، فنحن نصرف عددا ثابتا من علب السجائر شهريا . ورافقنى فى عودتى الملازم أول محمد السيد حيث عاد من أجازته بالقاهرة ، وفى طريق عودتنا تناولنا غذاءنا عند عبد الحميد فى العومرة وعدنا إلى بيت مران لأخلع حذائى وأغسل قدماى بالماء الساخن وأطهر جروحها بصبغة اليود ، وأتناول كوبا من الشاى الساخن ويدخل المراسلة ليعلق الفانوس فى سقف الخيمة ويخفض ضوءه ، وأسبح فى الفضاء نائما حتى الصباح .

الخميس 10 سبتمبر : على مدى أيام كنا قد ضربنا كمية هائلة من الطوب وحفظناه من المطر بتغطيته بالمشمع حتى جف ، وبدأنا اليوم فى بناء حمام له جدران وله سقف من الصاج ، وباب خشبى يغلق بمزلاج وأرضية أسمنتية بها مجارى لصرف الماء إلى ميل الجبل ، وبعد الحمام سنبنى أكثر من دورة مياه آدمية قدر الإمكان ، وبعدها نبنى دشما منتظمة كالغرف التى يعيش فيها الناس وسأطلى غرفتى باللون الأبيض لتشرح النفس ، وسأمهد الطرق والمدقات وندعم المتاريس ونحصنها .. سنترك على هذه الجبال بصمات تقول للتاريخ : " هنا جاء المصريون .. وعمروا ."

بعد الظهر نشأ خلاف بينى وبين قائد الكتيبة حول الخدمات الاجتماعية ، وطلبت منه إعفائى من القيام بها وتقرر تسليم الدفاتر والنماذج الخاصة بها للملازم عبد الحميد بعد عودته ، ورغم إرسائى لنظام العمل وتنظيم قواعده فسيعرف القائد مدى كفاءتى التى لا تهمه كثيرا حيث تأكد لى بصفة لا تقبل الشك فى أنه يتعامل مع أسوأ ضابط عامل بأفضل مما يتعامل به مع أكفأ ضابط احتياط ، واستأت كثيرا من ذلك ولكن شعورى بتقدير كل زملائى الضباط العاملون بالكتيبة خفف كثيرا من استيائى .

وانفجر اللغم

الجمعة 11 سبتمبر : تحرك القول الادارى بقيادة الزميل عبد الصمد وتخطى المكاريب والعومرة والعذرى ، وبينها وبين صنعاء تخطى بعربته المدرعة نقطة ما على الطريق تبعته عربة لورى فثانية ، فثالثة ، أما العربة الرابعة فكانت تحمل دفعة من المجندين المصرح لهم بإجازة ميدانية فى مصر ويبدو أنها انحرفت سنتيمترات عن مسار العربات السابقة ومرت العجلة الخلفية اليسرى على لغم مزق أشلاءها فتطايرت ومعها ركابها فى الهواء ، وسقطوا على الأرض بعد أن فقد كل منهم عضوا من جسده ، أصيب الجميع بإصابات متنوعة ومنهم ثمانية إصابات جسيمة وبدلا من سعادة لقاء الوطن ، كانت آلام العمليات والعناية المركزة ، ولكن حمدا لله لم يسقط قتلى فقد خففت العناية الإلهية قدر المصاب بانفجار اللغم تحت العجلة الخلفية وليس الأمامية . سمع الجميع صوت الانفجار فتوقف القول وانتشر الجنود موجهين أسلحتهم صوب القرية القريبة ، وسيطر الزميل عبد الصمد على الموقف فمعه عشرة مسلحون وخمسون بلا سلاح فالأوامر تحظر اصطحاب المصرح لهم بإجازات لسلاحهم ، وأخطر القيادة التى اطمأنت إلى عدم وجود اشتباك فأرسلت إليه عربة إسعاف لإخلاء الجرحى إلى المستشفى وعربة نجدة ميكانيكية لسحب بقايا العربة التى تعرضت للانفجار . واستمر القول فى طريقه لإنجاز الأعمال المكلف بها .. وفى المساء ، زرنا عبد الصمد للاطمئنان عليه وضحكنا : فـات دورك على خـيـر .. الدور والباقى علينا .. كلنا لها .

الثلاثاء 15 سبتمبر : صحوت فى السادسة والثلث صباحا على صوت انفجار شديد ، ولما كان اللغم م/د لا ينفجر إلا بمرور جسم ثقيل الوزن من فوقه ، وبإضافة عنصر الوقت ومعلومتى أن قائد القول اليوم هو زميلى الملازم أول محمد السيد ، فقد انتفضت ، واتصلت بغرفة العمليات فأبلغونى أن لغما أنفجر فى المدرعة التى تتقدم القول وفيها محمد السيد وذلك فى المسافة بين موقعنا الرئيسى وبين موقع الثمانيات المتقدم ، وأنه لا إصابات .. ودفعت عربة مدرعة أخرى مع ضابط آخر حيث أكمل المهمة ، ونقل محمد السيد إلى العومرة حيث السرية الطبية لفحصه وقلت سبحان الله فهو المتزوج الوحيد من بين مجموعة الملازمين وينتظر مولودا ، ولقد قضينا وقتا طويلا من الأمسية السابقة فى الحديث عن الألغام تعقيبا على ما تعرض له زميلنا عبد الصمد منذ أيام .

وصدرت تعليمات مشددة بتوخى أقصى درجات الحذر فى التحركات بعد أن أصبح التعرض لانفجارات الألغام ظاهرة تقدمت حتى أصبحت تبث بين مواقعنا .. أعددت نفسى لقيادة الداورية الليلية بعد الثامنة واستدعانى قائد الكتيبة لإبلاغى بتأخير موعد التحرك حتى الثانية عشرة والنصف ، وشدد على اليقظة التامة . جمعت القوة وأكدت عليهم أن الداورية ليست نزهة فى ضوء القمر وإنما عملية عسكرية على

أعلى درجة من الخطورة وتحمل من الاحتمالات أسوأها وخاصة فى مثل هذه الأجواء المكهربة ، فقد تلقينا معلومات بوصول سبعين جملا محملة بالسلاح والذخيرة إلى محور أرحب ، وأن كبار القيادات الملكية ومن بينهم أحمد بن الحسن وناجي الغادر وصلوا إلى المنطقة لتأليب الجمهوريين وميلكتهم ، وها هو معدل انفجار الألغام يرتفع ، والموقف يتفجر فى كثير من المحاور .

الأربعاء 16 سبتمبر : تكتيك جديد ، ونمط مغاير ابتكرته لمفاجأة العدو ، وحرمانه من أن يفاجئنى هو . فى بداية اليوم , عند منتصف الليل ، كنت أنفث دخان آخر أنفاس سيجارتى التى شربت معها كوب الشاى الساخن خلال خروجى من دشمتى حتى لا أتلقى الهواء البارد مباشرة . كنت مسلحا بالبندقية الآلية مع مائة وثمانين طلقة ، قنبلتين يدويتين ، طبنجة الاشارة وطلقاتها الملونة ، تممت على الجماعة المرافقة لى من أفراد سريتى ، واطمأننت إلى اكتمال هيئتهم القتالية ، ونزلنا إلى أسفل الجبل حيث تممت على الجماعة الثانية التى سترافقنى وأفراد المهندسين العسكريين وحامل جهاز اللاسلكى ، وصلاحية الجهاز والبطارية .

شرحت للجميع المخاطر المحتملة وخاصة تعرضنا للألغام ، وقد يعقب انفجار أحدها كمين لذا فقد قررت عدم ركوب العربات . اندهش الجنود فهم يعلمون أنها داورية راكبة ، وان العربات معنا بالفعل فشرحت لهم خطتى ودور كل منهم تفصيلا ؛ سيتقدم المهندسون العسكريون سيرا على الأقدام للتأمين من الألغام ويليهم اللورى وفيه السائق وحده يتبعه خمسة أفراد مشاه للتأمين ، وبفاصل سأكون أنا ومعى جماعة مشاه وحامل اللاسلكى كقوة رئيسية وفى المؤخرة الرقيب ومعه خمسة أفراد لحماية ظهرنا . تقدمت الداورية والتزمت العربة بسرعة عشرة كيلو مترات فى الساعة كما حددت لها على أن تتوقف كل خمسمائة متر لمدة خمسة دقائق حتى لايتسع الفاصل بيننا وبينها . فى خلال ساعة كنا قد وصلنا إلى موقعنا المتقدم فى الثمانيات فانضمت إلينا مدرعة 4□ 4 ركبت فيها ومعى المدفعجى وأربعة أفراد مشاه وحامل اللاسلكى بينما جلس فردى (م.ع) على مقدمة المدرعة ، وركبت باقى القوة فى اللورى وتقدمنا إلى العومرة ، وفى الطريق إليها التقينا بالداورية التى تتحرك منها فى الاتجاه المعاكس فكلفت المهندسين بالكشف عن الألغام فى يمين الطريق حيث أفسحت الطريق للداورية الأخرى ثم عدت إلى مسارى على المدق وآثار مرور العجلات الذى يطمئن إلى الخلو من الألغام ، وانتهت الداورية بعودتنا ووصولنا إلى مواقعنا فى بيت مران فى السادسة صباحا ، وكان النهار كله راحة وتكاسل وقراءة .

السبت 19 سبتمبر : كقائد للقول الإدارى توجهت إلى صنعاء . هناك التقيت بزميل من دفعتى لم ألتق به منذ تخرجنا يخدم فى الكتيبة 350 من اللواء 116 مشاه ، وأبلغنى بصدور أمر القتال لعملية القضاء على الشيخ الغادر بعد غد الأثنين ضمن مجموعة قتال تضم المدرعات والمدفعية وتدعمهم الطائرات والصواريخ . وفى المستشفى زرت الزميل محمد السيد الذى تعرض للإصابة فى انفجار لغم وأبلغنى أنه أعاد عمل الأشعة على ظهره لثالث مرة للاشتباه فى إصابته بانزلاق غضروفى DISK .. ثم التقيت صدفة بعبد الرحمن زبارة ؛ زميل يمنى كان يدرس معى فى المرحلة الثانوية بطنطا وأبلغنى أنه يدرس البحرية فى ألمانيا ، وتحدثنا فى الأحوال العامة ومستقبل اليمن واقتنعت باحتمالات تطوره بسرعة على يد الجيل الذى يتم تأهيله فى كافة المجالات المدنية والعسكرية . فى فرع الاستطلاع (سطع) بالقيادة العامة سلمت تقرير سطع لقطاع أرحب عن الأسبوع الماضى ، وفى ميدان التحرير بصنعاء التقيت بنقيب من الكتيبة 20 من اللواء الأول التى تحركت من طريق الحديدة / صنعاء إلى صنعاء وأبلغنى أن الكتيبة ستشترك مع مجموعة شاهين ذات السمعة الطيبة فى عملية القضاء على الغادر وشرح لى العملية التى تتضمن الاستيلاء على جبل نهم وتأمين جبل ذباب ثم الاتجاه نحو الأعروش مع تدمير كافة قرى المنطقة التى لايقيم فيها سوى المقاتلين الملكيين بعد إجلائهم النساء والأطفال .

الأربعاء 23 سبتمبر : يوم مرهق حقا بدأ فى الدقائق الأولى منه وحتى السادسة صباحا فى أعمال الداورية الليلية فى ظل أسوأ التوقعات حيث تحدثت التقارير عن احتمال قيام العدو بعمليات كبيرة فى

الذكرى الثانية لقيام الثورة أى خلال هذا الأسبوع ، وقد نفذت الداورية بخطة جديدة وتشكيل مخالف لإرباك العدو فى حالة رصده للتشكيل المعتاد .. وخلال النهار أجريت تدريبات على صد هجوم نهارى بإبلاغ القوة بمواقف وهمية وملاحظة مواجهتهم لها فكان الموقف الأول بإنذار مراقب بالهجوم من الأمام حيث تعاملت معه الرشاشات ، ثم الأفراد بأسلحتهم الخاصة ، ثم انذار مراقب فى الخلف بأن القوة الرئيسية تهاجمنا من الخلف ، وأن الهجوم الأمامى كان للتمويه وجذب انتباهنا ، فتحولت مدافع الماكينة والرشاشات الخفيفة وثلاثة أفراد سبق تحديدهم من كل جماعة إلى المتاريس الخلفية وبدأوا التعامل مع العدو ، وتوالت المواقف التى أعطيتها ومتابعتى لتصرف القوة ودونت ملاحظاتى عن أداء الدفاع الدائرى ثم جمعت القوة وألقيت إليهم بملاحظاتى وصححت لهم الإجراءات التى ينبغى على كل منهم اتخاذها ..
وبعد حلول الظلام أعدت التدريب على صد الهجوم الليلى ، وبعده شرحت للقوة إجراءات إخلاء القتلى والجرحى وسحب الأسلحة المدمرة ، والإمداد بالذخيرة وغيرها على أن يتم التدريب العملى عليها فى وقت لاحق ..
الخميس 24 سبتمبر : حلقة فى مسلسل الألغام ؛ إنفجر لغم تحت العجلة الخلفية اليمنى للمدرعة المرافقة للقول بينما تجمع بعض الأفراد فى سوق القرية المجاورة وشوهد أربعة أفراد يهرولون داخل المزارع فلاحقهم الجنود حيث قبضوا عليهم وأوسعوهم ضربا ولكما واصطحبوهم إلى قيادة اللواء حيث سلموهم للتحقيق معهم وأرسلت عربة إسعاف ، وعربة نجدة ميكانيكية ، ومدرعة بديلة للمصابة ، واستمر القول بقيادة النقيب محب شاهين حيث صرف مستحقاتنا من العملة اليمنية عن الشهر الحالى وأبلغنى بعد عودته أن الملازم أول محمد السيد قدأخلى إلى القاهرة للعلاج .
أخبار صنعاء : انفجارات داخل صنعاء .. خلافات داخل الوزارة اليمنية . زيارة المشير عامر لصنعاء أمس وعودته إلى القاهرة اليوم – تعليمات من القيادة بعدم دخول العسكريين إلى صنعاء إلا لسبب قهرى ومع حمل السلاح والتصاريح اللازمة . انتشار الشرطة العسكرية فى شوارع صنعاء لتنفيذ القرار .. المتاجر خالية من الزبائن . الموقف يسوده التوتر .
عامان على الثورة : كان العالم يتوقع ثورة وينتظر بيانها فى دمشق نتيجة لأوضاع متفجرة ، كنت أستمع إلى أغنية تبث من إذاعة القاهرة . توقف إرسالها وأعلن المذيع قيام الثورة .. فى اليمن . اليمن ؟! لم يكن قد مضى أكثر من أسبوع على وفاة الإمام أحمد بن يحى حميد الدين وتولى ابنه محمد البدر للإمامة . توالت الأيام وتعرضت الثورة لمتاعب وأخطار جسيمة فاستنجدت بمصر ؛ القوة الثورية الحاضرة الوحيدة فى العالم العربى وبعد أيام (أول أكتوبر 1962) كانت لنا قوات عسكرية فى اليمن كأول قوات مصرية تقاتل خارج الحدود بعد معارك الشام والسودان والحجاز ونفارين فى عهد محمد على الكبير فى بدايات القرن التاسع عشر .
بعد الثورة بعام وفى التاسع والعشرين من سبتمبر 1963 تسلمت عملى فى الكتيبة 340 مشاه وكان لى نصيب الأسد من المشروعات والبيانات العملية لأخدم ضمن القوات العربية فى اليمن منذ ستة شهور . وفى بلاد اليمن كل العجب ، نقول بلاد ولا نقول مملكة فليست مملكة ولا نقول جمهورية فليست جمهورية هى بلاد تشغل جنوب غرب الجزيرة العربية ، انفصل عنها الجنوب فى مستعمرة عدن ومجموعة محميات بريطانية ، وأهم المدن فى اليمن صنعاء ، والحديدة الميناء ، وتعز زهرة الجنوب وباقى البلاد تنطق باسمها أو اسم القبيلة التى تقيم فيها مثل عبس قبيلة عنترة بن شداد ، قفل حرض ، رايدة ، صعدا ، حريب، صرواح ، مأرب – مقر أقدم سد فى التاريخ – حرض ، سلا وكوكبان ، الحواشب ، العوالق المكامنة ، مَجَزْ ، الحزم ، الجوف ، الحرف ، جيحانة ، الأعروش ، الحيفة ، الحيمة الداخلة ، الحيمة الخارجة ، وعلى طريق الحديدة – صنعاء تقع قرى : باجل ، خميسة سعد ، مناخة ، مفحق ، خميسة مزيور ، متنة . أما المحور الذى أخدم فيه وهو أرحب فيضم مجموعة قرى ؛ العذرى ، العومرة

، المكاريب ، بيت سوا ، بيت مران . وعلى وزن " الموكوس فى بلاد الفلوس " فقد أصبحت أنا " المحتاس فى بلاد أعجب الناس " أو " المحتار فى بلاد اللهيب والنار " أحاول أن أفهم شيئا عن كل شىء فى هذه البلاد ، إنها نمط غريب عن العالم الذى نعرفه باسمائها وأرضها ، وجوها وسكانها ، عاداتها وتقاليدها .

الأربعاء 30 سبتمبر : كقائد للسرية بالإنابة عن النقيب محب الذى بدأت اجازته الميدانية ، من حقى أن أعفى من خدمة قائد القول الإدارى ، لكنى آثرت أن أشاهد صنعاء فى ظل حظر تجول العسكريين فيها إلا لضرورة ، ورأيتها ؛ خراباً بلقعاً ، لا بيع ولا شراء . السؤال : كيف كان حال هذه العاصمة قبل مجيئنا ، وكيف يصبح بعد رحيلنا ؟

الخميس 15 أكتوبر : لأن المعلومات التى وردت الينا يوم الأحد الماضى جاءت مؤكدة لدوافع القلق حيث أفادت تكتل قوى العدو لإلقاء الورقة الأخيرة بالقيام بعملية واسعة فى كل المحاور فى وقت واحد على غرار ما قامت به فى شهر رمضان الماضى حيث اشتعلت اليمن بكاملها – عدا محور أرحب – وقد تنفذ هذه الخطة بأسلوب عكسى فتجمع كل القوى للقيام بعملية مركزة فى محور أرحب لأنه مفتاح صنعاء ، فلقد شددنا الأوامر باليقظة التامة والإبلاغ عن أى ملاحظة مهما قل شأنها من وجهة نظر الجندى ولأن الموقف على هذا القدر من الاشتعال ، فقد تشددت كثيرا فى كافة الإجراءات المتعلقة بالداورية الليلية التى قدتها ليلا إلى العومرة وعدت مشدودا مرهقا إلى موقعى فى الخامسة صباحا لكى يفجعنى ما أرى ، وسرت وتعمقت داخل الموقع ولم يعارضنى أحد ، أحدثت صوتا متعمدا بتحريك عصاى بين مجموعة من الصفائح الفارغة ولم ألحظ أى رد فعل . الكل فى سبات عميق . استمر سيرى فى جنبات الموقع ولم يشعر بى أحد من أهل الكهف . سَرت فى جسدى رعشة خوف أن يكون الجميع قد قتلوا وأن أفاجأ بيمنيين يخرجون من دشم الجنود ، ورغم استحالة هذا الفرض إلا أنه كان التفسير الوحيد لما أرى . جذبت أجزاء بندقيتى فسحبت طلقة فى فم الماسورة استعدادا للتعامل بالنيران مع أى مفاجأة ، وتوجهت إلى دشمة رقيب الفصيلة . وجدته حيا . أيقظته وأمرته بمرافقتى لاستكمال المرور على الموقع .. وجدنا الجميع نياما . أمرته بإيقاظ الجميع وجمع الفصيلة مع تعيين مراقب واحد فى أعلى نقطة ، وانطلقت إلى الفصيلتين الأخريتين من السرية ولم أجد اختلافا فى الحال ، فالجميع نيام .. أمرت بإيقاظ الجميع ، وتعيين مراقبين وجمع الباقين من المشاه والأسلحة المعاونة والملحقة .

أمرت بوقوف الجميع انتباه لمدة ساعتين (يسمى هذا اللون من العقاب : داخلية) ووبختهم بأقسى وأقذع العبارات ، وانتهيت بأننى حفاظا على حياتهم سأقلبها جحيما ، وقد يكون ذلك أرحم من فقدهم إياها ، وأصدرت دفعة سريعة من العقوبات (تحت الحساب) فحبست جميع ضباط الصف ، وأمرت برفع نسبة الخدمات للأفراد إلى مائة فى المائة أى الخدمة طول الليل بدون راحة ، وألغيت السير فى الموقع بالخطوة المعتادة بل الجرى بالخطوة السريعة ليلا أو نهارا ، وعدم الراحة خلال النهار سوى النوم الاجبارى أربعة ساعات بالتناوب ، وألغيت حق الأفراد فى العرض على الطبيب إلا فى أحد حالتين : الوفاة أو الإغماء .

عند الظهيرة أمرت رقيب أول السرية بجمع الأفراد بالشدة الكاملة أى السلاح وكافة المهمات حتى البطاطين الصوفية وتكديرهم بطابور زيادة . كما قررت الاستفادة من حالة التكدير فى تنفيذ جزء كبير من الطريق الصاعد من موقع القيادة أسفل الجبل إلى موقع سريتى بالتدبيش وتسوية ما بين نتوءات الصخور بالتراب والماء ، وعلى كل حال فحين يكتمل الطريق سيخفض المجهود الذى يبذله الأفراد فى حمل التعيينات والمياه وكافة المستلزمات من أسفل إلى أعلى حيث تتمكن العربات من حملها وتوصيلها للموقع ..

أصابنى الرعب مما شاهدت فى هذه الليلة ، فقد سبق حدوثه على نطاق ضيق ، فأعدت تنظيم الخدمات وابتكرت أسلوبا لمرور ضباط الصف والتوقيع فى بداية وفى نهاية خدمة كل منهم فى دفتر فى دشمتى ،

وقررت المرور فى مواعيد مختلفة على أن يكون أحدها قبل منتصف الليل والأخرى بعده وأن ألتزم بحضور درجتى الاستعداد القصوى فى أول وفى آخر ضوء .
توالت الأيام والليالى ، ما بين العمل والتدريب ، والتجهيزات الهندسية للموقع ، قيادة القول الإدارى والداورية الليلية .. ما بين السهر والسمر ، وليالى أم كلثوم المرادف لكل ما نحب ؛ الوطن والأهل والأحبة ، كانت وصلاتها الغنائية وصلا بكل هذه المعانى ، وكان صوتها دفئا فى ليالى الشتاء الباردة ، وألحانها نسمات رقيقة تخفف لفح الحر فى نهار الصيف ، وكانت كلماتها بلسما يداوى الجراح ، وخففت عنا تباعد الإجازات الميدانية التى نقضيها فى مصر لمدة خمسة عشر يوما كلما قضينا فى اليمن شهرين كاملين .. وانتهى العام 1964 .

يوم القيامة

الجمعة أول يناير 1965 : بدأ عام جديد ، ومعه أمل وتجديد ، أمل فى أن يكون عاما سعيدا فى حياتنا الشخصية وفى عمر مصر ، وأن تنتهى الحرب فى اليمن نهاية كريمة مظفرة لنا ، محققة الحرية والتقدم للشعب اليمنى الشقيق . أأمل أن نحقق ما جئنا من أجله ونعود لنستأنف حياتنا الطبيعية ، فالحياة فى اليمن قاسية رغم جهود دولتنا لتخفيف هذه القسوة ، فالطبيعة فى اليمن ، والشعب فى اليمن ، ومهمتنا فى اليمن كلها تتصف باللا معقولية .
السبت 2 يناير : أسود أيام حياتى وأشدها قسوة ، يوم الهول العظيم والكمد الأليم ، يوم الحزن والندم ومنتهى الألم

بدأت الأمور معتادة لا تحمل من النذر ما يؤرق أو يقلق ؛ بتوصية من طبيب الوحدة ، قمت من نومى فتوجهت إلى العومرة وفيها طبيب الأسنان حيث حقن لثتى بالمخدر واستأصل ورما منها وصرف لى دواء وزرت الزميل عبد الحميد أمين فى ورشة المركبات فبقيت معه بعض الوقت حتى أبلغنى الرقيب الذى يقود قول المياه باستعداده للتحرك عائدا إلى موقعنا فى بيت مران فاصطحبته كراكب مرافق جلست فى كابينة السيارة وما أزال متأثرا بـألـم فـى فـمـى وصـداع قـد يكـون نـاشـئـا عـن الـمـخـدر ، أما بـاقى التفـاصـيـل فـيـضـمـهـا الـتـقـريـر الـذى رفـعـتـه لـقـائـد الـكـتـيـبـة ونـصـه :

تقرير عن عمليات الفترة
من يوم السبت 2/ 1/ 65 إلى يوم الثلاثاء 5/ 1/ 1965

السيد / قائد الكتيبة 340 مشاه بواسطة السيد / رئيس العمليات .

توجهت يوم السبت 2/ 1/ 1965إلى العومرة "عرض أسنان" وبعد انتهاء معالجة أسنانى ركبت فى أحدى عربات المياه العائدة ضمن قول المياه إلى بيت مران وتحرك القول فى حوالى سعت 1300 وعند ,ية المكاريب سمعت صوت انفجار لغم فى العربة "زيل" التالية للعربة المدرعة 4□ 4 المكلفة بحراسة القول ثم سمعت أصوات أسلحة صغيرة ، من العدو ، ومن المدفع جرينوف الموجود بالمدرعة ، فقفزت من العربة بسرعة وأمرت الأفراد بالنزول والانتشار فورا ، ووزعت الأفراد خلف السواتر والمتاريس المنتشرة فى المنطقة وأمرتهم بالتعامل مع أفراد العدو مع المحافظة ما أمكن على الذخيرة حيث كانت كمياتها محدودة للغاية . ولاحظت اشتباك المدفع الجرينوف بمعدل آلى مستمر فزحفت إلى العربة المدرعة التى كانت تسبقنى بحوالى مائتى متر بعد الاطمئنان على تشكيل الأفراد فى الخلف .. ووصلت لى العربة المدرعة فأمرت بالاقتصاد فى استعمال الذخيرة وخاصة 7.62□ 54 التى كانت قد قاربت على الانتهاء ، وطلبت السيد المقدم فاروق محمد حسن (ر.ع.ل)لاسلكيا لإبلاغه بالكمين وطلب النجدة فأبلغنى

أنه تبلـغ بالكمين من موقع الثمانيات ، وأن النجدة فى الطريق . ظللت أتعامل مع العدو حوالى (15) دقيقة أطلق علينا خلالها طلقات الأسلحة الصغيرة ، وطلقتى مدفع صاروخى "بازوكا" لم تصب أحدا من الأفراد أو العربات . وصلت النجدة بقيادة النقيب مصطفى الحلفاوى ، ثم اشتد الاشتباك ، وتضاعفت أعداد أفراد العدو وكمية نيرانهم ، ووصلت مجموعة أخرى بقيادة الملازم أول طارق سعيد ، وبعد اشتباك قوته مع العدو صدرت إلى الأوامر لاسلكيا بسحب عربات قول المياه – عدا العربة المصابة فى اللغم – والعودة بها إلى بيت مران فعدت بالعربة المدرعة إلى مكان العربات فى الخلف (200-300متر) حيث جمعت الأفراد وأشرفت على ركوبهم العربات ونقلت ما أمكننى نقله من جراكن المياه من العربة المصابة ووزعت أفرادها على العربات الآخرى ثم أمرت ببدء التحرك مع تشديد المراقبة والتعامل مع أى أفراد يمنيين يحملون السلاح فى الطريق . وصلت إلى بيت مران حوالى سعت 1530 دون اشتباكات على الطريق بعد ذلك .

وفى غرفة العمليات أعطيت تماما للسيد/ قائد اللواء بالنيابة والسيد ر.ع.ل. مع إيضاح سريع عن موقف القوات التى مازالت مشتبكة هناك .. وتوالت التبليغات اللاسلكية عن الموقف الذى أخذ يزداد سوءًا بسرعة .. وكنت أقدر سوء الموقف حيث أن طبيعة الأرض فى منطقة الكمين صعبة جدا ، وعدد أفراد العدو كان يتزايد فلم يكن يقل عن (300) فرد . وصدرت الأوامر بانسحاب القوات الموجودة فى منطقة الكمين على مجموعتين تستر إحداهما انسحاب الآخرى ، ولكن م.أول طارق سعيد أبلغ السيد / ر.ع.ل أن الموقف متأزم ، وأن عملية الانسحاب صعبة جدا ، وقد تكون مستحيلة وكلفنى ر.ع.ل بالتوجه إلى منطقة الكمين ومعى قوة عبارة عن دبابة من موقع ف. الثمانيات وعربتان جاز 63 (1.5طن) فيهما (25) فرد مشاه ، وطاقم ب 10 وذلك لستر انسحاب القوة الموجودة هناك ، وبدأت التحرك سعت 1630 حيث وصلت إلى موقع الثمانيات بعد ذلك بخمسة دقائق ، ولكننى اكتشفت أن القوة التى كانت معى ، والتى كلفت بقيادتها فجأة ، وفى ظروف تستوجب سرعة بدأ التحرك ينقصها جهاز لاسلكى ، ولم يكن هناك متسع من الوقت للعودة إلى الموقع لإحضار جهاز اللاسلكى حيث تبقى على آخر ضوء حوالى الساعة الواحدة ، ورأيت الاتصال بالموقع بواسطة جهاز الدبابة ، وسألت قائد الدبابة الملازم اليمنى محمد قاسم عما إذا كانت دبابته مستعدة للتحرك فأخبرنى بأن كل شىء تمام ، وأنه تلقى الأوامر بالتحرك معى وأبلغ بمهمة القوة لاسلكيا ، فأكدت عليه أن مهمتنا هى ستر انسحاب القوة الموجودة فى موقع الكمين .. وركبت الدبابة لتوجيهها فى مقدمة القول الى موقع الكمين ، والاتصال بالموقع بواسطة جهاز اللاسلكى الموجود بها بعد أن أحللت العريف متطوع صلاح ابراهيم عبد الحليم مكانى فى قيادة العربة الموجودة بها قوة المشاه ، وتحركت فى اتجاه الكمين وطلبت من قائد الدبابة التبليغ ببدء تحركنا ، وبعد قرية بيت سوا سألته عما إذا كانت هناك أية تبليغات أو أوامر عن طريق اللاسلكى ، فأبلغنى أن الجهاز غير صالح للعمل ، فسألته : منذ متى ؟ فأجاب أنه منذ بداية التحرك .. وقررت العودة فورا ، ولكننى فوجئت بكمين جديد حيث انهالت الطلقات من الأسلحة الصغيرة والقاذف "بازوكا" على قوتى ، وفوجئت أيضا بعدم وجود القوة التى تحركتُ لستر انسحابها . طلبت من قائد الدبابة ان أستعمل التلسكوب لمراقبة الجنود فى الخارج ، وكانوا قد نزلوا من العربات وانتشروا فى مواجهة أفراد العدو المنتشرين بكثرة على يسار الطريق وأخذوا يتعاملون معهم . طلبت من قائد الدبابة ضرب أحد الأبراج التى تجمع فيها أفراد العدو بمدفع الدبابة فاستغرقت هذه العملية وقتا أطول من خمسة دقائق فى وقت كانت لكل لحظة فيه حسابها وثمنها .. ولاحظت إصابة عدد كبير من أفرادى ، وأن كل وقت يمر على هذا الوضع سيضاعف الخسائر والجرحى فى القوة الموجودة معى وكانت هناك عدة أسباب لذلك :

أولاً : الدبابة : فقد كان مدفعها يصوب بانحراف كبير جدا عن الأهداف التى حددتها حيث أطلق خمسة طلقات فى حوالى خمسة عشر دقيقة لم يصب فى إحداها أى هدف .

- نقص فى طاقمها حيث تكون من ثلاثة أفراد بما فى ذلك قائد الدبابة مما اضطرنى إلى

استخدام الرشاش الدكتاروف بنفسى وكان الرشاش هو الآخر كثير الموانع .

- إصابة عدسة التلسكوب بالدبابة الذى أفقدنى مراقبة الأفراد بالخارج .
- طلبت من قائد الدبابة قفل البرج لحماية الأفراد وداخل الدبابة فأبلغنى أنه من الصعب جدا إغلاقه من الداخل .

ثانياً : عدم وجود وسيلة للسيطرة على الأفراد سوى الصوت ، وعدم تمكنى من مغادرة الدبابة لكثافة النيران العالية التى تغطى منطقة برج الدبابة بالذات ، ومنطقة الكمين بالكامل .

ثالثا : أن الوقت زحف بسرعة إلى آخر ضوء فأصبحت الساعة 1730 مما يزيد تعرض القوة بالكامل للخطر .

رابعا: عدم وجود وسيلة للاتصال بالموقع لطلب النجدة السريعة .

خامسا : تزايد عدد أفراد العدو بصورة رهيبة حتى ناهزوا الخمسمائة .

وأصبح على إزاء الخطر المتزايد ، والقوة المتضاعفة لأفراد العدو ، والنقص المستمر فى قوة أفرادى ، وكمية ذخيرتى – وزحف الظلام بسرعة أن أختار أحد ضررين :

1- البقاء والتعامل بنيرانى مع أفراد العدو مع احتمال كبير جدا لإبادة كل القوة الموجودة ، وخاصة بعد استشهاد أكثر من نصف القوة الموجودة معى .
2- الانسحاب بسرعة ومحاولة إنقاذ أكبر عدد ممكن من الأفراد .

ومن الضررين اخترت الأقل ، ففضلت التخلص من المعركة والانسحاب بسرعة ، ووجهت أمرى للأفراد "بالصوت" لركوب العربات تحت ستر نيران الدبابة ، ونيران بنادقهم وسرعة الانسحاب وأطلقت دفعات كبيرة من الدكتاروف ، وثلاثة طلقات من مدفع الدبابة للتطفيش ، ثم أدرت اتجاه الدبابة فى طريق العودة ، واكتشفت ان سائق إحدى العربتين الجاز مصاب بإصابة خطيرة فى رأسه ، فسحبته فى الدبابة ، وقد أبلغنى بتعلق سائق العربة جاز الثانية أسفل عربته ، وعدم تمكنه من مبارحة مكانه بسبب كثافة نيران العدو الكبيرة فى المنطقة ، وأيقنت استحالة تحرك العربتين ، ورأيت الانسحاب بالدبابة ، وسحب أكبر عدد ممكن من الأفراد بسرعة . وتمكن عشرة جنود من الركوب على الدبابة من بينهم سائق العربة الجاز 63 روسى التى اضطرت القوة الأولى بقيادة السيد النقيب مصطفى الحلفاوى إلى تركها فى منطقة الكمين . وبدأت فى طريق العودة .. وبعد الانسحاب من منطقة الكمين ، اكتشفت ان الدبابة انسحبت ومعها عشرة جنود بالإضافة إلى طاقم الدبابة بينما ظلت العربتان والمدفع ب 10 وبقية الأفراد فى مكان الكمين ..

ومن جديد أصبح أمامى أن أوازن بين أمرين :

أولاً : أن أتوقف لمعاونة الأفراد الذين يحتمل وجودهم أحياء فى مكان الكمين بنيران الدبابة – وهى نيران لا أثق بعد التجربة – فى دقتها علما بدخول الليل واحتمال أسر الدبابة والأفراد .

ثانيا : أن أعود بسرعة إلى موقع ف . الثمانيات الذى يمكننى وصوله فى حوالى عشرة دقائق ، ومعاونة الأفراد إما بطلب خروج داورية قتال ليلية لسحب الأفراد والعربات ، وإما بسترهم بنيران دقيقة حولهم من المدفعية .

وكان الرأى الأخير هو الأقرب إلى الصحة فى نظرى ، وبالفعل اتجهت بأقصى سرعة إلى موقع ف. الثمانيات ووصلتها فى حوالى سعت 1745 ، ومن هناك أبلغت السيد ر.ع.ل. تليفونيا بما حدث ، فأبلغنى بأن دبابة آخرى فى طريقها إلى فى موقع الثمانيات للاتجاه إلى موقع الكمين ، فأبلغته أنها غير كافية لمواجهة الموقف هناك وأن أى قوة صغيرة تتجه الى هناك ستكون فى عداد الخسائر .. ووصلت الدبابة الى الموقع ، وعرضت الأمر على قائدها السيد النقيب كمال الشرقاوى ، فرأى فعلا أن الدبابة وحدها غير كافية خصوصا فى الظلام ، واقترحنا طلب التصديق بضرب طلقات منتظمة من المدفعية والهاونات حول المكان لتطفيش العدو ورفع روح من يحتمل وجودهم أحياء من أفرادنا حتى أول ضوء حيث تخرج

قوة لسحبهم مع العربات والجثث .. وبالفعل تصدق على هذا القرار ، وطلب منى البقاء فى موقع الثمانيات لحين صدور أوامر آخرى.
وحتى الصباح ؛ تم تنفيذ الخطة بضرب طلقات من المدفعية والهاونات بانتظام ، وقد سمعنا صوت طلقة ب10 سعت 2330 من اتجاه العربات ، وفى سعت 0300 سمعت طلقة مماثلة . وفى سعت 0730 من يوم الأحد صدرت إلى الأوامر بالخروج فى عربة مدرعة 6□ 6 أُبلغتُ أنها فى طريقها إلىَّ مزودة بمدفعين جرينوف وجهاز لاسلكى R 105 مع الدبابة التى وصلت إلى الموقع فى مساء اليوم السابق مع عربة نجدة ميكانيكية لسحب الأفراد والعربات .. وأبلغنى النقيب كمال الشرقاوى أنه سيستر العملية بنيران الدبابة الأخرى والمعاونة من الهاونات الموجودة فى الثمانيات ، والتى رصدت المكان فى اليوم السابق . وقبل الخروج من الموقع صدرت الأوامر بالإيقاف وانتظار أوامر جديدة .
وفى سعت 1130 صباح يوم 3/ 1 سمعت صوت طلقة ب10 ولم ألحظ وجود أى أفراد يمنيين بالقرب من العربات حتى وصول مجموعة الدبابات إلى قرب المكان ، وقد صدرت إلى الأوامر سعت 1000 يوم 5/ 1 بالعودة الى بيت مران ، فنفذت الأمر فى الحال .
هذا تقرير بجميع أحداث المدة من 2- 5/ 1/ 1965 . مرفوع بناءً على أوامر سيادتكم ، وشكرا .
ملازم

....
كان هذا هو نص التقرير الرسمى وهو لا يحتمل تسجيل الانفعالات أو التفاصيل أما مذكراتى الشخصية فقد حوت الانفعالات والتحاليل وتحديد المسئوليات عن الأخطاء :

- **حين تيقنت من وقوعنا فى كمين ورأيت الأفراد يقفزون من العربات فى فزع ويتجمعون حول بعضهم البعض خشيت كثيرا من مضاعفة تأثير طلقات العدو فقد تحول جنودى من عدة أهداف صغيرة إلى هدف واحد كبير بالتصاقهم ببعض وبذلك لا تحتاج إصابة أحدهم الى مهارة أو إمعان فى التنشين لذا أخذت أصرخ فيهم بأعلى صوتى : إتوزعوا .. اتفرقوا .. خدوا سواتر .. ماتتجمعوش مع بعض ، ومع تنفيذهم لأوامرى بسرعة ، تابعت النداء :"حافظوا على الذخيرة .. ما تضربش طلقة إلا على هدف محدد وفى مرمى السلاح " .**
- **واضح أن أفراد العدو قد تأكدوا من أننى قائد المجموعة من خلال اشاراتى للأفراد ، والنداء عليهم بالإسم ثم الإشارة إلى الموقع الذى يتمترس فيه كل منهم ، ومن لغة الجسد الواضحة بالإشارة بالرأس وكلتا اليدين ، فتركز الضرب فى اتجاهى حتى ان طلقة بازوكا مرت على بعد سنتيمترات من رأسى وأحسست بالهواء المصاحب لحركتها على خدى الأيمن .**
- **بعد الاطمئنان على أوضاع الجنود كان على الوصول للمدرعة للسيطرة على الكثافة الهيستيرية لنيران رشاشها ؛ السلاح الرئيسى معنا والذى كادت طلقاته أن تنفذ وللإتصال بالقيادة من خلال جهاز اللاسلكى المثبت بها ، وكانت مسافة المائتى متر التى تفصلنى عنها هى الأطول التى طويتها فى حياتى ، كنت أعدو والموت يطاردنى ثم أقفز قفزة طويلة وأسقط راقدا ، فتصيبنى الصخور بكدمات وسحجات ، اكتشفت بعدها أنها مزقت بنطلون الأوفرول وكوعىْ سترته .. وأرقب العدو برفع بصرى دون أن أرفع رأسى ، وما أن يقل عدد الطلقات فوق رأسى حتى آخذ وثبة جديدة ، أو أزحف على الأرض القاسية .. إلى ان وصلت المدرعة وأمرت المدفعجى بالكف عن إطلاق النار ، ثم وضعت الـ هلمت HELMET على رأسى واتصلت بالقيادة لاسلكيا .**
- **حين عدت الى الموقع بعد الكمين الأول أشار أحد الجنود الى الجانب الخارجى لفردة حذائى اليمنى ولفت نظرى لوجود دم ينشع منها واكتشفت فى اليوم التالى أنها اصابة من سكترمة**

(انعكاس أو تغير مسار طلقة لتماسها مع جسم صلب خلال خط سيرها الأصلى) وتسبب فى التصاق الحذاء والجورب بقدمى ، واضطرارى لوضع ماء ساخن ، ثم نزع الحذاء والجورب ما أسال الدم من جديد بعد تجلطة فى موقع الإصابة . لكن النتيجة الإجمالية للتخلص من الكمين دون ضحايا كانت نتيجة مبهرة .

- السماء هى التى أهدتنى هذه العملية أو ربما أهدتنى لهذه العملية فقد كانت قيادتى لها محض الصدفة حيث كنت مريضا عائدا من عرض طبى وعلاج .
- الكمين الثانى ازدحم بأخطاء لابد من تحديدها فالعمل العسكرى لا يحتمل الخطأ لأنه يرتبط بالأرواح :

- الخطأ الأول تمثل فى تجميع قوة نجدة ثالثة حيث كانت الأولى هى معظم سرية الاستطلاع بقيادة قائدها وحين تورطت دفع بباقى السرية بقيادة م.أول طارق ، وحين أبلغ عن صعوبة التعامل مع الموقف أو التخلص من المعركة شكلت فصيلة من الوحدات التى تحتل المواقع وكلف م. وجدى ناصر بقيادة هذه الفصيلة والبقاء على وضع الاستعداد لحين تلقى أمر التحرك . فى هذه الأثناء تردد أن م. أول أحمد عطا الله أصيب نتيجة لسقوط دانة هاون على موقعه ، واتجه الملازم وجدى للاطمئنان عليه .

حين عدت من الكمين الأول وخلال وجودى فى غرفة العمليات وتوارد البلاغات المزعجة رؤى تحريك القوة وبالبحث عن م. وجدى لم يستدل أحد على مكان وجوده ، ولاقتراب آخر ضوء الذى يتعذر بعده التحرك خارج الموقع فالقتال المكشوف ليلا لصالح العدو بكل تأكيد ، كان ينبغى تكليف أى ضابط من العشرين ملازماً عداى أنا العائد المجهد المضطرب ، المريض ، المصاب .. إلخ لأنه لا ينبغى تكرار تكليف قائد – على أى مستوى – بالدخول فى معركتين فى يوم واحد وخاصة إذا كانت هذه المعارك ؛ كمائن !

- سقط فى إعداد القوة ، تكليف فرد لاسـلـكى بجهاز 105R
- تكليف الدبابة اليمنية التى لم تختبر كفاءتها أو كفاءة طاقمها أو حتى ضمان ولائهم بأن تكون القوة الرئيسية فى مثل هذه العملية ، كان خطأ فادحاً .
- حين حاولت الخروج من الدبابة لأكون أكثر قربا من الأفراد وضعت خوذتى على سونكى البندقية ورفعتها إلى أعلى ، وما أن ظهرت من برج الدبابة حتى تلقت وابلا من الطلقات ما أكد لى تركيز العدو على القطعة الثمينة وهى الدبابة ، واستحالة الخروج من الدبابة عن طريق البرج ، وأفزعنى خاطر تصورى لنفسى فى موقع العدو حيث كان أول ما أفعله هو إلقاء قنبلة يدوية من البرج المفتوح لكى تصبح الدبابة – بعد مصرع من بداخلها – جائزة كبرى ، لذا طلبت من قائد الدبابة إغلاقه ، وللأسف فقد أجابنى بتعذر ذلك من الداخل .

- انتابتنى مشاعر الألم والأسى والملامة وأشياء كثيرة أحلاها مر اختلطت فى نفسى لم يخفف منها إلا توالى الأحداث ومتابعتى لفشل عشرات الدبابات والمدرعات وقطع المدفعية الثقيلة تحت غطاء جوى يضم القاذفات المتوسطة Tu16 التى كانت تأتى من مصر لتلقى كل منها تسعة أطنان من القنابل أوالصواريخ وتعود إلى مصر لعدم وجود مطارات تناسب هبوطها فى اليمن .. لم تتمكن كل هذه القوة من فض الحصار حولنا وفتح المحور إلا بعد أيام كما يأتى ذكره بعد . وقتها أحسست أنه لم يكن فى الإمكان أبدع مما كان ، وأننى لم أكن مع قوتى المتواضعة فى مواجهة قوة مماثلة وإنما تضاعفها عشرة أو عشرات الأضعاف .

الأحد 3 يناير 1965 – أول رمضان 1384 : وطلع الفجر رغم كفرى بوجوده ، عدت من الكمين الثانى إلى موقع الثمانيات المتقدم ، وصدرت الأوامر ببقائى فيه إنتظارا لأوامر جديدة . وقفت بعد حلول الظلام خلف المتراس المشرف على الأرض الممتدة حتى موقع المعركة التى نفضت منها يدى قبل قليل ، رفعت رجلى اليمنى الجريحة وأرحت قدمى على صخرة مرتفعة عن الأرض ، وسرحت ببصرى إلى حيث لا أرى ، أرقب لعلى أجد دليلا على حياة جنودى ؛ لمحة ضوء ، صوت طلقة ، صراخ .. أى شىء . كان الأمل يصور لى أشياء ما ألبث أن اتأكد من وهمها ، ومضى الليل ثقيلا بطيئا قاسيا فى حلكته ، وبرودته ، لكن نفسى كانت أكثر حلكة ، وأملى كان أشد برودة .. أعلن عن بدء رمضان .. الناس يتسحرون ويستعدون للصيام ، وأنا واقف لا أميز المكان ولا يعنينى الزمان ، فقط أنا واقف خلف المتراس ، حتى هزنى الملازم محمود المطيلى قائد الموقع ، ونظرت إليه فإذا أنا أراه بوضوح فى ضوء الشمس العفية ، قال إن ر.ع.ل. يطلبك على اللاسلكى ، وكان تكليفى بعملية مالبثت أن ألغيت وحمدت الله فلست فى حالة صحية أو عصبية أو نفسية للقيام بأى عمل سوى رثاء الشهداء ومساءلة نفسى – رغم كل شىء – هل أخطأت ؟ بدلاً من طلقات مدفع الإمساك ، كانت طلقات المدفعية والهاون هى الصوت الوحيد الذى يبدد سكون الليل ، ويعبث بخيوط اليأس التى التفت حول نفسيتى وكادت أن تشل أعصابى .

بدأ رمضان وكانت فى استقباله عملية عسكرية محكمة ، وهذا ينبىء بشهر ساخن حيث يحض آل حميد الدين أتباعهم على القتال والاستشهاد خلاله أسوة بما فعل سيدنا محمد صلى الله عليه وسلم وأتباعه فى غزوة بدر ، وكأننا نحن الكفار ، من يقتلنا يجزى الجنة .

أكاد أجن كلما تخيلت أن عشرين نفسا غالية من جنودى ، هناك عند هذه القرية الآثمة لا أعرف إن كانت على قيد الحياة ، حرة أم أسيرة ، أم أنها لقت الله فى ليلة رمضان .

مضى اليوم حتى الغروب على أصوات القذائف والحمم التى يلقيها الطيران والمدرعات والمدفعية مع تقدم المشاه من صنعاء فى اتجاهنا ، وفى كل لحظة صمت نسمع صوت طلقات الـ " كَعْ كُمْ " التى يطلقها اليمنيون . أين يختبىء هؤلاء الملاعين ؟ إن أرضهم تحارب معهم ، مئات بل آلاف الكهوف ، الثنايا الأرضية بيئة حاضنة لألوف يلوذون بها إلا إذا سقطت دانة هاون فوق رءوسهم .

الابتسامة الوحيدة التى شهدتها شفتاى كانت سخرية من قرار تكليفى بالتحرك إلى موقع الكمين وبرفقتى دبابة ومدرعة وعربة نجدة سكاميل لإخلاء الشهداء والجرحى وسحب العربات .

الأثنين 4 يناير : تكرار للأمس متابعة لتقدم الدبابات والمشاه وقذائف الطيران حيث كان الجبل الذى يحملنا والذى يبتعد كيلو مترات عن موقع القذف ينتفض بشدة ، ومع ذلك علمت من خلال التقاطى للإشارات المتبادلة عن طريق الراديو بأخبار عجيبة ؛ دبابة كُسر جنزيرها .. الدبابة الدقاقة وهى المجهزة لإعدام الألغام أمامها ، تلفت . الفارق الوحيد بين الأمس واليوم هو هجوم عناصر معادية للموقع الذى أتواجد فيه ، واشتبكت كل المواقع بنيرانها الكثيفة لرد الهجوم ، ومن جديد ازدحم الجو من حولى بالطلقات من كل العيارات ولم أعد أكترث لها بعد أن تأكد اليأس من بقاء جنودى أحياء فى هذه الأجواء المعبقة برائحة الموت بكل ألوانه .

الثلاثاء 5 يناير : بناءً على أوامر القيادة عدت فى العاشرة صباحا – وبرفقتى العربات التى كان من المفترض التحرك بها إلى أرض الكمين – إلى موقعى فى بيت مران ، وأحسست أننى عدت إلى بيتى وسط أهلى ، استقبلنى جنودى بالبكاء وعبارة واحدة : حمدا لله على السلامة واستعدت مشهد " عمر " المراسلة حين جازف بحياته ليحضر لى بعضا من الطعام والملابس الصوفية ، وتحرك وحيدا إلى موقع الثمانيات وحين رآنى انفجر باكيا معانقا لى والدموع تملأ عينيه . دخلت دشمتى فأحسست بالأمان ، استطعت أن أغسل وجهى لأول مرة منذ ثلاثة أيام ، استبدلت ملابسى الممزقة بملابس سليمة ونظيفة .

كنت أتوق لحمام دافىء ، لكن أزمة المياه اختصرته فى غسيل قدمى بالماء الساخن بعد أن نزعت الحذاء والجورب وحددت مكان الإصابة وطهرتها بالديتول . ارتحت لبعض الوقت ثم جمعت جنودى وشرحت

لهم العملية من بدايتها واستخلصنا الدروس المستفادة ، وطمأنونى عن م. أول أحمد عطا الله الذى كان خبر إصابته سببا لمأساتى . طلبت من الجنود مضاعفة اليقظة خاصة فى التوقيتات الحرجة مثل وقت الإفطار والسحور ، ووقفت خلف المتراس أراقب بدلا من عدد من الجنود حتى يتناولوا إفطارهم حيث أننى مفطر لعدم إفطارى أو سحورى منذ بداية رمضان .

قبل منتصف الليل تعرض الموقع لهجوم صده الأفراد بحماس شديد ورغبة أكيدة فى الثأر لزملائهم ، وارتد المهاجمون دون إصابات فى أفرادنا ولا علم لى بإصابات العدو حيث يسحبونها تحت جنح الظلام إلى قراهم القريبة . عند منتصف الليل عادت الأمور إلى نصابها .

الأربعاء 6 يناير : بدأت أتمالك نفسى ، وأسترد بعضا من قواى ، فأعدت تنظيم فصيلتى بعد استبعاد أسماء الشهداء الثلاثة الذين سقطوا منها كبداية لمباشرة عملى كقائد للفصيلة ، فالحياة لا تتوقف وخاصة هنا على أرض المعارك التى ما زالت مستعرة ويزداد أوارها . بعد الظهر طلب منى قائد الكتيبة تقريرا عن أحداث الأيام المشئومة التى مرت منذ الثانى من يناير ، كتبت التقرير وراعيت فيه منتهى الدقة والأمانة ، وبعد الانتهاء من كتابته ، قرأته أكثر من مرة ولم أغير فيه حرفا فقد كان دقيقا ومثيرا لأنه يروى أحداث السبت الدامى أطول يوم فى عمرى .. اليوم الذى صادفت فيه كمينين ، والكمين عملية عسكرية قد لا يصادفها لواء حتى نهاية خدمته ، خرجت من الأول بمهارة أحسد نفسى عليها ، فلم يصب فرد واحد من جنودى بسوء رغم قسوة العدو وإحكامه فى التدبير واستخدامه للأرض المثالية التى وفرت له أمانا بقدر ما ضاعفت تعرضنا ، وان كنت أنا قد استحوذت على الإصابات التى اعتبرتها مناغشات .

لكننى خرجت من الكمين الثانى وعيناى مليئتان بالدموع على الشهداء ، وفى قلبى نار لن يطفئها إلا الثأر وبحور الدم ممن يجزون مساعدتنا لبلادهم لكى تتحرر وتتقدم بالقتل والإصابة .

لم أتعجب من إحكام الكمائن فقد سمعت أن المخطط لها هو المدعو "حنتش" ويسمونه ملك الكمائن ويقال انه خريج الكلية الحربية بالقاهرة فلقد أعد كمينا للواء 18 طوله أحد عشر كيلو مترا ، ويطلقون عليه صانـع الموت . إن هذه الأحداث لا تمثل الأهم والأخطر على المستوى الشخصى فقط بل وعلى مستوى التشكيل الذى أخدم فيه .

الأحد 10 يناير : يتزايد عدد الطلقات الطائشة فى الجو يوما بعد يوم ، وتتضاعف فى الليل عنها فى النهار مما يمثل خطورة على حياتنا ، ولكن ما يزعجنا أكثر هى العواصف الترابية التى تأخذ شكل دوامات قوية وسريعة قادرة على انتزاع أشياء كثيرة نحن ضمنها ، وتجبرنا على إغماض عيوننا التى نحتاجها مفتوحة على مدار الساعة .

<u>كيس اللبن (الوليمة)</u>

خلال إجازتى الأخيرة فى القاهرة ، وقبل نهايتها بساعات بدأ إعداد الطرود المرافقة التى أعود بها إلى اليمن ، وكالعادة حوت من الطوازج ؛ اللحوم والدواجن المحمرة ، وصوانى الرقاق والطماطم والخيار والليمون و..و..ومن التعيينات الجافة والمعلبات علب الفول المدمس والمحاشى والمربات واللوبيا والفاصوليا الناشفة وقائمة طويلة تمثل سوقا كاملا ، وتفحصت الطرود فى نظرة أخيرة للتأكد من عدم نسيان شىء قد يمثل ضرورة لنا فى حياتنا الجافة فى اليمن ، عثرت على كيسين ؛ الأول فيه قراقيش خبزتها أمى فى المنزل وقالت : "علشان تغير ريقك عليها مع كباية شاى باللبن" وضحكت وسألتها فى سخرية : " إنتى فاكرة يا أمى إننا قاعدين على قهوة الحاج عبد الله السلال ؟ إحنا فى اليمن قاعدين على جبل لا فيه بقرة ولا جاموسة عشان نحلبها . يبقى منين ييجى اللبن ؟ " وببساطة ردت فى ثلاثة كلمات : "من الكيس ده" وأشارت إلى الكيس الثانى بالطرد .

وفتحته فوجدت مسحوقا تعرفت عليه وكنا نطلق عليه اللبن الجاف ، لم نكن نعرف نيدو ولا نستلة ولا غيرها . كان اختراعا بدأت أمريكا قبل عشرة سنوات فى إرساله لنا مع الجبن والزبد ضمن المعونات فى

برنامج النقطة الرابعة ، وتعامل المصريون مع الجبن ومع الزبد ولم يستسيغوا اللبن الجاف مقارنا بالحليب الذى كان الكيلو منه بخمسة قروش ، ذلك حين كان المصريون يتذوقون ويتخيرون وكان ترف الاختيار والرفض ملك يمينهم ، واستمر تدفق كميات اللبن الجاف على مصر بكميات تفوق المستهلك منه كثيرا . المهم أننى رفضت حمل ذلك الكيس الذى لا حاجة لى به ولن يصيبنى منه سوى حمله من القاهرة إلى صنعاء ، وصممت أمى فى رجاء متكرر : " إن ماعزتوش مش هايخسر .. إن ماحتجتوش ابقى ارميه .. إحنا يعنى شاريينه ؟ هناك حاترميه ، وهنا حاترميه . " ولم أشأ أن أكسر بخاطر أمى ، وتركت الكيس الذى ظل فى موقعه لقرابة الشهرين دون أن أمسَّـه .

ثم جاءت أحداث الثانى من يناير .. أغلق الطريق لظروف العمليات .. استخدمنا كل ما لدينا من التعيينات حتى تعيينات القتال التى حاولنا الحفاظ على أقصى ما نستطيع منها بتخفيض ما نتناوله فى البداية إلى ما تحت حد الشبع ، ثم مرحلة سد الرمق ، ثم إلى دعوة من يجد لديه رغيفا منسيا لعدد من زملائه لاقتسامه بعد مسحه جيدا لإزالة العفن ..

تذكرت الكيس وعثرت فى حقيبتى على ثلاثة عبوات فيها ثلاثين قرص وقود جاف . أمسكت بالتليفون وطلبت قائد الكتيبة ودعوته على الإفطار . نهرنى القائد قائلا : إنت فايق بتهرج ؟ أكدت له أننى لو هرجت فلن يكون ذلك مع القائد .. كررت ذلك مع عدد من الزملاء المقربين وحضروا جميعا على عجل .

كان المراسلة قد أشعل الوقود وغلى الماء وصنع كمية كبيرة (للغاية) من اللبن ، وجاء بصينية عليها أكواب اللبن وطبق به قراقيش . صرخ الجميع لهذه الوجبة الساخنة . ونادى القائد ضاحكا : ثابت . فتوقفنا عن الحركة . قال : وزع القراقيش بالعدل .

الجحيم

الأثنين 11 يناير : كانت الثانية ظهرا هى الموعد – ولسبب ما تأجل كل شىء إلى الخامسة ، ومع دقاتها بدأنا نستمع لأعذب سيمفونية ؛ لا باخ ،ولا بتهوفن ولا موزار أبدعوا شيئا مما يشجينا ويشنف أذاننا ويطرب مهجنا ويسعد نفوسنا الآن ، ألف قنبلة فى الساعة تنطلق من مواسير المدافع ذاتية الحركة والدبابات وتصبها الطائرات على رءوس المجرمين .. احترقت كل الأرض ، وفتشت النيران كل شبر .. وتقدمت الدبابات فى خط منتشر بعرض كيلو متر إلى كيلو مترين ومن خلفها المشاه ومعهم جيش العواضى ؛ أقوى الجيوش اليمنية الموالية ، وزحف الظلام ، وخلال تناول طعام الإفطار دخل علينا أحد الجنود والفرحة تكسو وجهه ، والنشوة تغطى تقاطيعه ، وطلب منا الخروج لمشاهدة لقطات العمر ، واندفعنا إلى المتراس لنجد الجنود جميعا وقد تركوا طعامهم وتههلت أساريرهم ، وأخذوا يصفقون ويكبرون ، ونظرنا إلى أسفل منا لنشهد النيران فى كل القرى المحيطة أشعلها جيش القبائل . لم يكن منا نيرون ، لكن أرواح الشهداء كانت تقض مضاجعنا طلبا للثأر .. من خلال الأدخنة المتصاعدة والتى ارتفعت الى السماء ، حاولت أن أنطلق ببصرى إلى قرية المكاريب ، القرية التى غدرت بى ، فحريقها بالذات هو الذى يطفىء بعض النار فى قلبى . اللهم ارحم شهداءنا !

صدرت الأوامر بتجميع خمسة عشر جنديا وضابط صف من سريتنا للمشاركة فى احتلال قرية بيت سوًّا غدا .. ورغم الفرحة العارمة لما أشاهد فقد سادنى القلق والوساوس حول نتيجة العملية ، لسببين :

الأول : أن اليمنيين ومهما كان عنف ما يوجه لهم فإن الخسائر التى تقع لهم دائما متدنية – وقد سألت عن سبب ذلك فيما بعد فقيل لى أن الوفاة تتحقق نتيجة لأحد سببين أو هما معا : الصدمة العصبية ونزف نسبة معينة من الدورة الدموية ، واليمنيون لا يصدمون لأن حياتهم رخيصة عليهم ولا يحرصون عليها ، ونادرا ما ينزفون فهم من النحافة والجفاف بما يثير الشك فى إمكانية نزفهم .

الثانى : أن تجميع أعداد من وحدات مختلفة للقيام بعملية أسلوب خاطىء لافتقاد الألفة والتعارف

والسيطرة بخلاف تكليف وحدة متكاملة يتعرف الجميع على بعضهم ، تدربوا معا ، تعرف قيادتهم كفاءة كل منهم فتكلفه بما يتناسب مع هذه الكفاءة .
لكن الأوامر هى الأوامر ، أمرت الرقيب بتحديد خمسة جنود من فصيلتى وإخطارهم بمهمتهم ، ونمت وليس فى خاطرى سوى الدعوات لهم بتحقيق المهمة والعودة إلينا سالمين .
الثلاثاء 12 يناير : مازال الطريق بيننا وبين صنعاء مغلقا لليوم الحادى عشر ، التعيينات نفذت تماما منذ أيام ، والمياه من قبلها ، لكن العبقرية المصرية التى بنت الأهرام منذ آلاف السنين قادرة دائما على إيجاد الحلول لأعقد المشاكل ، فدرجة البرودة ليلا والتى طالما شكونا منها وتضررنا من قسوتها هى التى كانت تحول المطر إلى جليد ، وكان الجنود يعبئونه فى الصفائح الفارغة ، وحين يطلع الصباح وتشرق الشمس ، يصبح الجليد ماء نشرب منه ونغتسل ، ونغسل ثيابنا وكنا نغسل أوانى الطعام حين كانت لدينا بقية من طعام حقا إن الحاجة أم الاختراع .
اليوم أطلقت على الوادى أسفل منا – والذى لم نعرف له اسما – وادى سعير : اليوم وتحت ستر النيران الثقيلة والمكثفة تم الهجوم على القبائل المعادية فى تحصيناتها بقراها . القبائل تقاوم بعنف ، وقواتنا تهاجم وتضرب بلا هوادة . النصر فى هذه العملية حيوى لأن الملكيون خططوا لها جيدا ، وحشدوا لها حشدا كبيرا لتكون سبيل عودة الملكية إلى البلاد . شعارنا النصر أو الموت .
تابعت العمليات من خلال الإشارات والمكالمات اللاسلكية عن طريق جهاز الراديو . عاد أحد الجنود الذين شاركوا فى غزو بيت سوا مجهدا مشدود الأعصاب ، مقضب الجبين ، سألته فأبلغنى أن أحد زملاءه استشهد . ابتأست كثيرا وترحمت عليه . أعلم أننا ما جئنا إلا لهذا .. أعلم أن هذه ضريبة النصر ، ولكن آلمنى أن توقعت هذا قبل حدوثه ولم يكن بمقدورى أن أمنعه .. والحمد لله أن نسبة الخسائر محتملة – لقد شاركت الدبابة اليمنية المنحوسة فى هذا الهجوم ، وامتنع قائدها عن الانسحاب تحت ضغط النيران الكثيفة لكنه انسحب تحت التهديد بعد فقدان السيطرة على أفراد الطاقم ، ثم قامت سرية من الاحتياطى العام باقتحام التبة الرئيسية التى يحتلها الملكيون ورغم وقوع ضحايا منهم إلا أنهم كبدوا العدو خسائر قدرت بأنها جسيمة . وحل المساء وبددت أنوار النصر الظلام الذى نشرته معارك الصباح .
أكملت اليوم مجموعة المدفعية والدبابات ، مع وحدات المشاه والقبائل الموالية التقدم فى اتجاهنا مع تطهير الأرض التى تمر عليها من الأفراد والألغام حتى وصلت الى مواقعنا الأمامية .
الأربعاء 13 يناير : عاد النقيب محب قائد السرية من صنعاء ومعه كميات كبيرة من الماء والتعيينات والخطابات التى تكدست طوال فترة الحصار ، وبعودته تأكد فتح الطريق ، ووصلتنا المرتبات والترفيه المضاعف ، ومعلومات عن ضخامة العمليات ومدى أهميتها ، وقدرت اذاعة لندن خسائرنا بخمسمائة قتيل وهو تقدير مضروب فى ثمانية أو عشرة بينما لم تذكر شيئا عن خسائر القبائل .

ما زلت أفزع فى كل ليلة من أحلام تصور العمليات التى خضتها ، ولقطات لإصابة جنودى الذين جرحوا أو استشهدوا فأصحو من نومى ، وعبثا أحاول معاودة النوم حتى أصابنى صداع دائم لم يخفف من أثره سوى قراءة القرآن ورفع يداى إلى السماء تضرعا ودعاءًا لله أن يتقبل أرواحهم الطاهرة وأن يجعل مثواها الجنة .

الأثنين 18 يناير : فاجعة كبرى أصابتنا وأصابت القوات العربية باليمن لمصرع قائد المحور العقيد اسماعيل صبرى إثر سقوط دانة هاون فوق رأسه وهو فى حجرته . رحم الله الفقيد فقد كان إنسانا بمعنى الكلمة ؛ طيبا ، بسيطا ، ومؤمنا ، وكان قائدنا ورمزنا ، وباستشهاده تزداد شماتة العدو بقدر ما تمثل لنا من ألم وضيق وخفض للروح المعنوية .

لقد طغى هذا النبأ الصادم على كل اللمحات التى بدأت تعيدنا إلى الظروف الطبيعية ، فقد عاد الزميل جميل أبو حبيش من الأجازة ومعه روائح مصر وخيراتها وكثير من المعلومات التى وصلت الى مصر عن عمليات الفترة الماضية وبالأخص الكمينين اللذين بدأت بهما وأخبرنا أن إذاعة لندن وتل أبيب وطهران أذاعت عن تفاصيلها وان إذاعة لندن قد اكدت مقتل قائد القوة الذى وقع فى الكمين ، الذى هو أنا ..

كما تقرر قيامى بأجازتى الميدانية بعد ان تأخر موعد استحقاقها بسبب العمليات والحصار .

البعث

الخميس 21 يناير : أنا فى القاهرة من جديد ، لم أصدق ما أشاهده وكأننى بعثت من القبر ، ولم يصدق من رآنى أنه يرانى .. كانت أخبار تفصيلية عن مصرعى قد وصلت أصدقائى وإلى شقيقى ، وأحس به قلب أمى .. ثم مضت أيام الأجازة كسابقاتها فى الأجازات الماضية لم يميزها سوى حدثين أثرا فى بشدة :

الأول حين كنت أركب التروللى باص رقم 15 عائدا قبل المغرب بقليل إلى منزلى بالعجوزة ، كان التروللى شبه فارغ من الركاب وأبطأ للتوقف فى إحدى المحطات ، ويبدو أن الكمسارى أطل فلم يجد ركاباً بالمحطة فطرق بكف يده على صاج الجسم الخارجى للتروللى طرقات قوية ومتتابعة ليواصل السائق سيره دون توقف فى المحطة .. كنت شاردا فى هذه اللحظة سرحت بتفكيرى أسترجع الأحداث التى تعرضت لها قبل الإجازة وحين فاجأنى صوت الطرق على الصاج ، هممت بالقفز من مكانى لأتخذ ساترا فقد خلته صوت رشاش تندفع منه الطلقات السريعة ، والحمد لله أننى أفقت على منظر المحلات فى الطريق فتمالكت نفسى وثبتُ فى موقعى . ولقد أصابتنى هذه الواقعة بدرجة من الخجل وكم من الحزن على أعصابى التى اهتزت لمثل هذا التصرف .

والحدث الآخر ، هو تأثرى بشدة واهتزازى بقوة حين زرت مقبرة أبى لأول مرة منذ وفاته ؛ ترحمت عليه وقرأت الفاتحة لروحه ، ودعوت الله أن يتقبل دعواتى لـرجل عظيم افتقدته فى سن مبكرة ، وظروف غير عادية .

الفراق

الخميس 4 فبراير : الوداع لمصر وكل من وما فى مصر ، التقيت بزملائى فى المطار .. حملتنا الطائرة إلى مطار الروضة بصنعاء

الجمعة 5 فبراير : وصلنا الى صنعاء ووجدنا مدرعة ولوريا فى انتظارنا . انتقلنا الى أرحب ، وفى العومرة فوجئنا بتنقلات وتعديلات فى المواقع . كلفنى قائد السرية بالإحلال محل الملازم عدلى فى المكاريب ، القرية الملعونة صاحبة الذكريات الكريهة حتى يعود م.أ. جميل أبو حبيش من مأموريته فى تعز فيحل محلى .

الأحد 7 فبراير : اليوم الثانى فى المكاريب ، فى موقع الأحداث ، أتخيل نفسى فى المنفى . المكان كئيب

لا يصلح سوى لإقامة البوم والغربان . بل أين هى ؟ لم لا تقيم فيه ؟ لقد نفرت من قفره وكآبته وهجرته الى مكان أنسب . فى الليل آويت الى كوخ مبنى من الحجارة وسقفه من الحجارة المعشقة يحمل بعضها بعضا ، وخشيت أن تسقط على رأسى فأنفق كما تنفق الفئران مختنقا فى جحر ، وليتنى – لو كتب على الموت – أن أموت شهيدا فى عملية عسكرية .. وأن أموت فى أرض غير المكاريب .

والكوخ بلا أبواب وأرضه كومة تراب راكمها الزمن ، لقد ذكرنى بأبيات من الشعر درسناها كنموذج للشعر الضعيف خلال الدراسة بالثانوية العامة تقول :

ودار خراب بها قد نزلت   كأنى نزلت إلى السابعة
أخاف بها أن أقيم الصلاة   فتسجد حيطانها الراكعة

الثلاثاء 9 فبراير : أنباء عن دفع القيادة لقول من العربات المسلحة من صنعاء الى الجوف عن طريق أرحب لجس نبض القبائل التى تقطع هذا الطريق منذ بداية العمليات ، ومن خلف القول سيكون لواء من قوات الصاعقة لفتح الطريق عنوة حيث تؤمن هذه العملية محور أرحب من التسللات وتقطع طريق الإمداد للعدو ، وتختصر الزمن الذى تقطعه القولات من أسبوع إلى نصف يوم – وهذه العملية ضمن ثلاثة عمليات تقررت لكى يستتب الموقف فى اليمن ، والذى وعد المشير بتحقيقه وإنهاء العمليات باليمن خلال العام الحالى .

تلقينا إشارة من القيادة العربية بوقف إجازات الضباط والصف والجنود بمنطقة أرحب لحين صدور أوامر أخرى .

تلقت الفصيلة المجاورة لى أمراً إنذاريا بالاستعداد للتحرك . الى اين ؟ لا أحد يعلم . متى ؟ العلم عند الله .

وعلمت أن الشروط التى فرضتها القيادة فى مؤتمر الصلح الذى انعقد أمس تضمنت تسليم المشايخ لكل مدفعيتهم الثقيلة لنا وفتح طريق الجوف بمعرفتهم لتمر عرباتنا فى أمان تحت مسئوليتهم ، وواضح أنهم رفضوا هذه الشروط .

الجمعة 12 فبراير : تلويح المشير عامر – فى خطابه بصنعاء – باستخدام القوة القصوى ضد أعداء الثورة كان له رد فعل قوى وعميق . علمت ان الخطة التى رسمها رئيس اركان القيادة العربية أساسها دفع قوات كبيرة الى قطاع أرحب للقيام بهجوم على الحيفة ثم صرواح لتطهيرها وتأديب القبائل المتمردة وتضم هذه القوات لواء من قوات الصاعقة وحوالى ألفين من رجال القبائل الموالية وكتيبتين يمنيتين إضافة إلى سرية وفصيلة مشاه من ك 340 (كتيبتنا) ، ك342 حيث تتولى قوات المشاه احتلال القرى المجاورة مثل بيت هادى ، وبيت عبد النبى والحجارى ، وبيت مران ، وبيت الحكومة ، ولبوة وغيرها ، وهذا ينبىء بتحركات للعديد من الوحدات قد تشملنى ، وخير وسيلة للدفاع ؛ الهجوم .

الأحد 14 فبراير : بالفعل صدرت الأوامر بالتحرك والعودة إلى مواقعنا فى بيت مران . احتفظت بسرية الأوامر إلا عن رقيب الفصيلة لأنه التالى لى ، ولأنه من ينفذ الجانب الإدارى فى الاستعدادات ، وأمرت الجنود ببناء متراس لتحصين موقعنا الدفاعى لخداع العدو والإيحاء باستمرارنا فى الموقع .

بعد اكتمال المتراس أمرت أحد الجنود أن يثبت سيجارة بين كل حجرين أعلا المتراس ، لكى أصوب عليها كتدريب على الرماية الدقيقة كما كان يحلو لى طوال فترة خدمتى باليمن حيث أحسب عدد الرصاصات التى تصيب عشرين سيجارة وأحقق بذلك هدفين ، أولهما التدريب المستمر على الرماية ، وثانيهما استهلاك السجائر فيما يحقق فائدة بدلا من ضرر التدخين .

فى المساء أبلغت جنودى بخطة التحرك ولقنتهم التلقين اللازم وذلك بعد حلول الظلام وحظر التحرك من الموقع أو إليه .

الأثنين 15 فبراير : فى التاسعة صباحا كنت قد أتممت التحرك واحتللت موقعى فى بيت مران الذى حدده لى رئيس عمليات اللواء عند اعطائه التمام بوصولى ، ثم تغيرت الأوامر ، والمهم أننى عدت إلى دشمتى التى أصبحت وطنا موازيا أحن إليه ، والأهم أننى غادرت قرية المكاريب أو المكائيب كما كنت

أحب أن أسميها لارتباطها بذكريات الكمائن منذ ستة أسابيع .
الأربعاء 17 فبراير : فتح باب الإجازات للضباط ما عدا ضباط القيادة العامة ، وقيادات المحاور ، ووحدات صنعاء ، والاحتياطى العام . وذلك مؤشر على انخفاض درجة الطوارىء العالية .
الجمعة 19 فبراير : ازداد عدد جنودى بوصول دفعة من المستجدين استعواضا لمن سرحوا على الاحتياط كلفتهـم . ببدء العمل فى إقامة مسجد وثلاثة أدبخانات – والأدبخانة كلمة تركية الأصل وتعنى محل الأدب أو دورة المياه – واحدة لى واثنتان لهم . وحين أذن لصلاة الجمعة فرشت البطاطين فى موقع إقامة المسجد ، وأقيمت الشعائر من تلاوة القرآن إلى الخطبة فالصلاة ، ومن حظى أن فصيلتى تضم عددا من الشيوخ والوعاظ كما تضم البناء والحلاق ، والترزى والمكوجى ، وضارب الطوب ، وهم هنا يمثلون أهمية قصوى إلى جانب دورهم كمقاتلين . وفى المساء دعانى الجنود لتناول الشاى فلبيت دعوتهم شاكرا .
الجمعة 5 مارس : وسط جنودى قضيت وقتا طيبا مع الأناناس والشاى والسجائر وما هو أهم : كلمات التقدير والشكر ممن سيسرحون قريبا على الفترة التى قضوها تحت قيادتى ، وسعادتى ببساطة التعبيرات وإحساسى بصدقها بالغ لأنها من القلب ، ذلك ما دلنى عليه قلبى .
الخميس 18 مارس : ابتأست لحدوث خلافات بين الضباط فحين يتعددون ، وتتعدد اختصاصاتهم ، وصلاحياتهم ينطبق المثل الشعبى القائل : "المركب أم ريسين ، تغرق " كانت المركب لها ستة رؤساء : م.أول على زين العابدين ضابط الحملة وقائد القول ، وهو السلطة الرسمية بصرف النظر عن أى رتبة أخرى بالقول .. م.أول عبد الحميد عبد القادر مندوب الكتيبة لتسليم الجنود المسرحين على الاحتياط ، الملازم بهجت الشعار ضابط سطع من ق.ل وقائم بمأمورية م.أول طارق ضابط سطع من ق.ل.وقائم بمأمورية م.سمير فريد ضابط الإشارة وقائم بمأمورية .. والعبد لله متجه إلى مستشفى صنعاء للعرض على أخصائى العيون .
خلال التحرك حدثت خلافات تصعدت الى مشادات بيت على زين وكل من طارق وعبد الحميد .. وخلال وقفة فى بيت العذرى ، تحرك م.أ عبد الحميد بعربات القول عدا لورى جاز تاركا خمسة ضباط وأربعين جنديا إضافة الى حرس القول . تشاورنا إزاء ذلك الموقف السخيف وغير المسئول واستطاع على زين أن يلحق علينا عربة مدرعة خففت الحمولة قليلا عن اللورى ، وبعد كيلو مترين عطبت المدرعة وتعذر إصلاحها ، وعدنا إلى اللورى ليحمل الضباط وحوالى خمسين جنديا بمهماتهم شغلت أقدامهم كل ملليمتر من أرضية صندوق الحمولة وفراغ الكابينة .. وأخذت العربة تتمايل مع كل ميل فى الأرض أو انحناء فى الطريق ، وتعرضت العربة للانقلاب أكثر من مرة وهى تسير على أرض تعجز العربات الفارغة عن السير عليها . أخذ الجميع يتمتمون بآيات قرآنية ، وابتهالات لله ودعوات أن يحقق المعجزة ونصل بسلام .. توترت أعصابنا لساعتين ونصف الساعة ونحن نمثل دور لاعب الأكروبات وهو يسير على سلك مشدود دون شبكة لوقايته فى حالة السقوط .
وصلنا الى صنعاء واستنتجت حقيقة أن حماقة يرتكبها شخص عنيد قد تسبب خسائر فى الأرواح والمعدات تفوق ما تسببه عدة معارك مع العدو . عدو عاقل خير من صديق أحمق .
الأربعاء 24 مارس : بدأ موسم المطر فى اليمن ، جاء متأخرا لكنه فى مارس على كل حال . أمطرت السماء بعد الظهر حوالى الساعة والنصف والمعتاد أن تستمر لمدد أطول ، لكنه مجرد إنذار بأن الموسم قد بدأ ، فعندما وصلنا إلى صنعاء فى أول ابريل من العام الماضى وجدنا سيولا مخيفة تبدأ فى الثانية ظهرا وننام بعد منتصف الليل ولم تنته بعد ، ويتوقف المطر – أو يكاد – فى الأشهر التى لا تحوى حروفها حرف الراء : مايو ويونيو ويوليو وأغسطس بينما يشتد فى أشهر (الراء) . وعلى الرغم من الخير الذى يصيب اليمنيين من هطول المطر لقيام الزراعة عليه ، إلا أنه أحد أهم أسباب الضيق والقلق لنا لاكتساحه كل ما فى طريقه ، وتسربه إلى داخل الدشم والخيام التى ننام فيها ويسقط على رءوس

الجنود المكلفين بالخدمة فى العراء ، كما يصحبه الظلام الدامس حيث تحجب السحب ضوء القمر ، وأصوات الرعد التى قد تخفى أصوات المدافع وومض البرق الذى يكشف المواقع ، أما خيره الوحيد بالنسبة لنا فهو انشغال اليمنيين فى الزراعة مما يلهيهم عن الأعمال القتالية .
الثلاثاء 6 أبريل : الإجازة الرابعة فى القاهرة ، وأجمل ما فيها أن يهل علينا عيد الأضحى ونحن فيها بين الأهل والأحبة ، وفى العام الماضى جاء العيد ومعه جمال عبد الناصر لينقل إلينا مصر وأهلها .
الأحد 2 مايو : فوجئت بالسرية الثالثة وهى تتحرك لتحتل موقعا آخر محل سرية آخرى تم سحبها من القطاع تمشيا مع سياسة تخفيف القوات .. ولما كان صديقى الملازم عبد الصمد أحد ضباط هذه السرية فإننى سأراه كل عدة أيام بدلا من رؤيته كل يوم .. وفى المقابل فإن صديقى الآخر (المرحوم) صلاح مخيمر ضابط مد م.ط. سيقيم معى فى دشمتى ويكون نعم الأنيس والخليل .
الجمعة 28 مايو : استقبلنا عددا من ضباط ل15 مدرع الذين حضروا لاستطلاع المنطقة وأطلعناهم على كل ما طلبوا الإطلاع عليه من خطط وكروكيات وغيرها .
الأحد 30 مايو : كم هى ضيقة هذه الدنيا ؟! انضم الينا ضابط جديد برتبة م.أ مكلف ، كنت أعرف شكله ولا أعرف اسمه . انسان طيب معطاء ، خدوم ، التقيته ذات يوم فى الإدارة المالية للقوات المسلحة فى القاهرة حيث كان يعمل كمحاسب ، وكنت بحاجة لتصحيح بعض الشيكات ، وتعثرت مهمتى لكنه بادر بأخذ الشيكات وتحرك بها حتى أجرى اللازم ، وسلمها لى ثم عرض أداء أى خدمة . سعدت جدا بأخلاقه ، وتمنيت لو رددت له الجميل . أديت له ما أستطيع . استقبلته ، وجهزت له مكانا فى دشمتى للإقامة معى وأجريت التعارف بينه وبين صلاح مخيمر ، واجتهدت فى توصيل مشاعر الألفة والترحاب ، وأحسست بسعادة حيث كان غريبا عن كل شىء ، عن الوطن ، وعن الرفاق ، حيث انضم الى تشكيل لا يعرف فيه أحدا ، ولا يعرفه أحد ، وكان غريبا عن نوع العمل فلم يعرف عن المشاه وتشكيلاتها شيئا .. وخلال أسبوع كان قد أصبح على درجة مناسبة من المعرفة والكفاءة ...
الخميس 3 يونيو : ما نكاد نجتمع حتى تفرقنا الأوامر ، وهذه سنة الحياة العسكرية ، نقل صلاح مخيمر إلى العومرة ، وعطلته عن تنفيذ النقل حتى قضينا السهرة مع حفل أم كلثوم حتى حان موعد الداورية الليلة ، فتحركت بها نبحث عن المشاكل .
السبت 19 يونيو : لِمَ يختص العرب بالغدر ؟ هل يمكن أن يقوم انقلاب ضد أحمد بن بيلا بعد كل الكفاح وكل ما لقى من عنتَ واختطاف وسجن على يد الاستعمار . طالعتنا الأنباء أن هوارى بو مدين الرجل الثانى والقائد العسكرى للثورة انقلب على أحمد بن بيلا القائد النضالى والسياسى لها فحاصرته الدبابات وأوقظ من نومه لإبلاغه أنه لم يعد رئيسا للجزائر . قلبى مع بن بيلا ، وقلبى مع جمال عبد الناصر الذى ما يكاد يرتق فتقا فى الثوب العربى ، حتى تتفتق مواضع جديدة من الثوب . إنه ثوب مهلهل لكنه المتاح . لك الله يا جمال !
الأحد 20 يونيو : فى القاهرة لإجازة خامسة . وجدتها حزينة على مصير الأحرار والمناضلين فى الجزائر .. وقلق بشأن الصراع على الكرسى الملعون .
الأحد 4 يوليو : يوم الحشر والاستعداد العظيم . يوم الفراق لكل ما هو جميل ، والوداع لكل ما هو حبيب . تمر الإجازة وكأن بأيامها مس من جن ، لاأشعر بمضيها .. أما أيام انتظار الإجازة فلا تكاد تمضى إلا بدفع الأيدى . انتهت ايام السعادة ، وغدا تبدأ أيام الشقاء والعد . تأملت هذه الظاهرة التى تشكل دورة فى حياتى طولها شهران ونصف الشهر ، وضحكت لأن من يكون بالإجازة يدعو الله ألا تتسرب اللحظات والأيام من بين يديه ، فيراها وقد مرت ، بينما من يكون بانتظار الأجازة متلهفاً يدعو الله مخلصا أن يسرع خطا الأيام وصولا لعودة من فى الاجازة حتى يبدأ هو بالقيام بها .. وكان مبعث ضحكى أن رأيت المتضادين اللذين يدعوان بدعوات متقابلة هما شخص واحد ولكن فى توقيتين مختلفين . لكن هكذا الحياة حزن وسرور .. أعددت طرودى التى يزيد وزنها عن المائة كيلو جرام تتنوع حمولتها تنوع من

ركبوا مع نوح سفينته ، فأنا أرغب فى اصطحاب كل نعم الحياة التى تجود بها مصر الى حيث تفتقر إليها حياتنا فى اليمن .
الأثنين 5 يونيو : عدت الى اليمن لأجد فى انتظارى أنباءا عن جلائنا عن بيت مران وتحركنا فى اتجاه صنعاء الى العومرة وجبل الصمع تطبيقا لسياسة تجميع القوات حول صنعاء ، ويتصادف اليوم مرور عام على احتلالنا لهذا الجبل الذى ألفنا العيش فيه . لم يمنع التحضير للتحرك دعوتى للنقيب محب والملازم أول جلال على وجبتى الغذاء والعشاء حيث كان الدجاج والبط والكيك والسلاطة الخضراء ، مع مفاجأة الوليمة : زجاجات الكوكا كولا . والتقطت بعض الصور التذكارية تسجيلا لنمط الحياة فى هذا المكان الغريب .
الأربعاء 7 يوليو : شحذ لهمم الجنود وشرح تفصيلى لمخاطر عملية الانسحاب التى كلفت فصيلتى بتغطيتها حيث تتحرك بعد مؤخرة القوات المنسحبة لسترها ونتعامل مع من يستثمر عملية التحرك التى تكون فيها القوات معرضة ، وليست مستترة فالقاعدة العالمية تؤكد على العسكريين : " إحفر أو تموت DIG OR DIE " فأول واجبات الجندى حين يحل فى موقع من المواقع هو أن يحفر بدءً بالحفرة البرميلية لفرد واحد ثم توصيلها فى خندق دفاعى يلحقه بخنادق مواصلات وإمداد وغير ذلك ، وفى الجبال حيث يتعذر الحفر يكون بناء المتاريس لحماية الأفراد والأسلحة والمعدات – وذلك لايتاح بالطبع خلال التحرك .
تممنا على الأفراد ، وعلى الأسلحة والذخيرة ، وتعيينات القتال ، وغيرها عشرات من الإجراءات .. وهم بعض الجنود بهدم الدشم التى أقمناها فمنعتهم من ذلك وأفهمتهم أن اليمنيين (موالين أو أعداء) سيشاهدون ما أقمنا ويتأكدون من أن المصريين بنائين وأنهم جبابرة ، أقاموا المواقع والمدقات وعبَّدُوا الجبل ، ثم أقاموا مساكن ومساجد ..
الخميس 8 يوليو : حملنا كل متاعنا على العربات عدا ما قد نحتاجه خلال الساعات الأربعة والعشرين القادمة .. لقناً الجنود بما يجب عليهم عمله . شرحت لهم أن ضوء القمر سيكون معنا وعلينا فهو يكشف لنا الطريق والمعالم ، وهو يكشفنا لمن يريد متابعتنا ، لذلك فعلينا توخى الحذر وسنمر على بيت سوا والمكاريب موقعى الكمائن القاتلة فى مطلع العام .
الجمعة 9 يوليو : تتميم على إخلاء الموقع واستعدادات الجند ومعرفتهم بما ينبغى لهم معرفته ، أخذت التمام بفصيلتى ثم سلمتها للملازم أول جميل أبو حبيش الذى سيقودها خلال التحرك ضمن القوة الرئيسية ثم اتجهت الى موقع الثمانيات المتقدم وآخر المواقع التى تمر عليها الوحدات خلال انسحابها . قضيت النهار كله فيها ، وقبل حلول الليل جمعت الجنود وشرحت لهم مهمتنا – وهى أصعب المهام – حيث نكون مسئولين عن ستر انسحاب الكتيبة ، ومع تأكدى من معرفة العدو أو على الأقل إحساسه بانسحابنا مما يرتفع معه احتمال ترتيبه لعمل ما ، فقد كانت اليقظة والحرص والدقة عوامل ينبغى التزود بها .
مضت الدقائق متثاقلة فى ظل أعصاب مشدودة ، وعيون مفتوحة ، لمحت المجموعة الأولى من القوات قادمة فى اتجاهنا يكشفها ضوء القمر ، ثم مرت بنا المجموعة .. تلتها بفاصل قصير ، قوات المجموعة الثانية ، ثم الثالثة والأخيرة ، وبمرورها ، أصبحنا نمثل أبعد قوة مصرية عن صنعاء على محور أرحب . إنطلق جنودى إلى السيارات ، ركبوها فى خفة وسرعة ، وأشهروا أسلحتهم الجاهزة للاشتباك فى اتجاه الخارج ، يمينا ويسارا وإلى الخلف ، وتحركنا حتى عبرنا بيت سوا ، والمكاريب ، ثم وصلنا الى العومرة فى سلام ..
السبت 10 يوليو : استراحة فى العومرة حسبتها بداية الطمأنينة ، وقررت النوم لساعات فى الخيمة التى أقمتها بالموقع .. ولم تكد رأسى تلمس الوسادة حتى سمعت أصوات الطلقات التى علمت لاحقا أنها صادرة عن وحدات مصرية تم احتلالها اليوم لموقع قريب ، وتستكمل تأمينه بعد محاولة من اليمنيين

لاسترداده . وصلت كل العربات ، وصمتت كل الأصوات واطمأننت الى سير الأمور فتحركت فى الخامسة والنصف صباحا الى بيت العذرى حيث سبقتنى الكتيبة ، وهناك وجدت ساحة المولد الأحمدى : باستثناء الخدمات ، إفترش كلٌ ما تيسر له ونام مجهدا غير عابىء ببرودة الجو . كنت أكثرهم إجهادا ، بحثت عن جسدىْ النقيب مصطفى منصور والملازم أول جلال ربيع وكأنما كنت أنقب بين الجثث والأشلاء حتى عثرت عليهما ، فدسست جسدى بينهما بعد أن سلمت سلاحى وذخيرتى وخوذتى وجهاز اللاسلكى اللعين لأقرب خدمة منى ، وسقطت نائما لثلاثة ساعات أفقت بعدها لأشرف على احتلال جنودى لموقعهم ، وتجهيزه ، وإعداد خيمة نقلنا اليها متاعنا بصفة مؤقتة . وقبل الليل منَّ الله علىَّ بطعام أكلته شاكرا فكانت سعادتى ، ثم حظيت بساعات من الراحة والنوم فكان الرضا .

الأثنين 12 يوليو : تبعثرت الكتيبة فبقيت رئاستها والشئون الإدارية وسرية فى بيت العذرى ، بينما تحركت السرية الثانية حيث احتلت جبل الصمع (بلا قتال على عكس توقعنا) ، وتحركت سريتنا فاحتلت تبة العومرة التى كانت تحتلها ستة أضعافنا من القوات وهى على كل حال تبة خفيفة الظل فى لون أرضها وفى وجود يمنيين موالين ، وفى تجهيزاتها التى أقامتها القوة التى سبقتنا .

حددت موقع فصيلتى الذى احتلته وموقع فصيلة جلال الذى أرسلت له العربات لتحركه الى هنا ، واخترت دشمة تتوسط الموقعين لإقامتنا معا ، ثم اتجهت الى عبد الصمد ودعوت نفسى للغذاء معه فأعد وجبة فسيخ – مصرى طبعاً – مشبعة .

الجمعة 16 يوليو : مكتب القائد لعرض عريف رفض إطاعة الأوامر ليلة التحرك من بيت مران حيث أحاله القائد للعرض على قال . لعزله إلى درجة جندى . مباراة كرة قدم ثم حمام ساخن ، ونظرت فى أمر المعروضين على مكتبى فسامحتهم بمناسبة نقلى من باكر إلى جبل الصمع تحت قيادة الرائد ممدوح الطنيخى . إنه جبل مرتفع وممتد لمسافات طويلة يسيطر على المنطقة بكاملها فهى تنبسط أسفل منه فى خضوع .

السبت 17 يوليو : إعداد وتجهيز للموقع مترامى الأطراف ورسم للكروكيات . الموقع يحتاج الى أضعاف القوة التى تحتله لذا علينا عمل كثير فسيطرتنا عليه سيطرة على كل القطاع وسأقود فصيلة إضافية قائدها فى اجازة حتى يعود فمن الخطورة أن تبقى مثل هذه الفصيلة بلا قائد ، ولو ليوم واحد .

الأحد 18 يوليو : استكملت عمل الكروكى الخاص بفصيلتى والآخر الذى يخص زميلى فى الأجازة ، وقمت بمراجعة تذاكر المرمى للجماعات والأسلحة ، وأرهقنى البقاء نهارا فى فصيلتى ثم تحركى ليلا إلى الفصيلة الآخرى بفاصل كيلو متر بلا حراسة سوى سلاحى الشخصى لأننى أسستكثر على نفسى أن أضيف عبئا على الجنود المرهقين باصطحابى لاثنين منهما لتوصيلى ثم العودة ، رغم أن التعليمات المتكررة تقضى بالحرص الشديد على حياة القادة على جميع المستويات .

الثلاثاء 20 يوليو : من فوق الجبل نشهد وهج طلقات المدفعية والأسلحة الصغيرة فى محور السر . المتاعب فى محور مجاور تعنى احتمال امتداد لهيب العمليات إلينا . إن شرور الحرب لا تقع فقط على الجانب الأضعف لكنها تمس كل الأطراف بدرجات متفاوتة . الحرب ويل ودمار على من دخلها ومثال الولايات المتحدة الأكبر فى العالم وما تلقاه فى فيتنام من أصغر دول العالم لدليل على أن الحرب قاسية ولا يزعم أحد تحكمه فى إنهائها عندما يريد . الحرب كالحب من السهل أن تبدأ ، ولكن لا أحد يدرى متى ولا كيف تنتهى . ترقب فى المساء لما يتم من اشتباكات فى بيت سيد بمحور السر .

الخميس 22 يوليو : فى خطابه بمناسبة العيد الثالث عشر لثورة يوليو 1952 ، وفيما يخص اليمن أعلن جمال عبد الناصر أن القوات العربية فى اليمن ستنسحب من اليمن خلال ستة شهور إذا لم تواصل السعودية العمل كقاعدة للعدوان على اليمن وقال إننا سحبنا قواتنا بالفعل من بعض المناطق لتجميعها فى مناطق محددة لتوفير الفرصة للقبائل اليمنية لحماية ثورتها . وتوعد السعودية بضرب أراضيها إذا استمرت فى حماقتها بتمويل وتدريب وتسليح الملكيين وقال : إن للصبر حدودا . وهى عبارة قصيرة

لكنها غنية بالمعانى .
الأثنين 26 يوليو : عدت ، والعود أحمد .. الى العومرة بين جنودى وضمن سريتى ودفء المشاعر .
الثلاثاء 27 يوليو : كلفنى قائد اللواء فى صنعاء بتأمين قائد الفرقة فى طريقه الى مواقعنا فى العومرة ، أعطيت تماما بالطريق وخلوه من العوائق كالألغام أو أى ملاحظات مشبوهة ، وعند بداية الطريق استقبلت قا.فر . وتقدمت الركب فى عربتى المدرعة الى العومرة حيث بقى قا.فر فيها معظم النهار وبعد انصرافه كانت جلسة نعمنا فيها بعنب اليمن ، وما أروعه !
السبت 31 يوليو : انكمشت المساحات التى نحتلها حيث ركزنا على احتلال المواقع الأكثر ارتفاعا وإخلاء الأرض المنخفضة من التبة ، فزيادة الكثافة توفر لنا إمكانية أكبر على التأمين لتقليل الفاصل بين كل خدمتين ، وبذلك تعطى شعورا بالأمان . وسأقيم مع النقيب مصطفى فى دشمة القائد (سابقا) وهى فسيحة سنضاعف جمالها وبهاءها ، وندعوا الله بالثبات فى هذا الموقع المناسب .
الخميس 5 أغسطس : تضاعف الجهد لتحسين أوضاعنا الدفاعية فنحن ثمانية ضباط فقط ؛ إثنان منا فى اجازة بالتناوب وأحدنا فى الغالب مأمورية خارج الموقع . نشرف على بناء المتاريس حول الموقع وبث الألغام من حوله ، ووسائل الإنذار المتاحة مع الأسلاك الشائكة على طول دفاعاتنا .
وفى محاولة من القيادة للرفع الدائم من معنويات المقاتلين ، علمت أن كمية التعيين الشهرية من السجائر ستتضاعف من خرطوشة ونصف إلى ثلاثة خراطيش كما تجرى دراسة إضافة يومين للإجازة الميدانية تعويضا عن يومى الذهاب والإياب .
الأثنين 9 أغسطس : رحل الملازم سمير فريد أحد أضلاع المربع الحبيب منقولا من الكتيبة وقد يكون نقله إلى ك 20 باللواء الأول مشاه فى منطقة الحزم . هكذا الحياة ؛ لقاء وفراق .
الأحد 15 أغسطس : الراحة النفسية مرتبطة بالاستقرار. عاد الزميلان جلال ربيع والسيد بدوى من القاهرة ومعهما من خيراتها الكثير ، وأخذت الدشمة التى نسكنها هيئتها التى نرضاها فلها باب خشبى محكم خلفه ستارة ذات حلقات تسمح بفتحها وغلقها ، ونافذتان مغطيتان بسلك مانع للذباب والحشرات فأمكن فتحهما نفاذا للضوء إلى الداخل ، واكتمل بناء الميس وبدأ تشغيله ، وأصبح لنا أدب خانة ، وحمام ، والحقيقة أننا كنا نخلع أرضيات صناديق الذخيرة المستهلكة فيتبقى منها أربعة أضلاع وغطاء بالمفصلات وخلال البناء نترك فراغا مطابقا لمساحة كل صندوق ثم نثبته فى الجدار ليكون بابا أو شباكا يفتح ويغلق بمفصلات قوية ومزاليج مناسبة .
الأربعاء 18 أغسطس : دعونا قائد الكتيبة على الغذاء ، وسره ما رأى من التجهيزات الدفاعية ووسائل الحياة التى نوفرها وتجدر الإشارة إلى أنه العقيد عبود الزمر * الحاصل على أركانحرب من فرونز بالاتحاد السوفيتى هو واحد من أعمدة دفعة شمس بدران وزير الحربية الأسبق وكمعظم أفراد هذه الدفعة كان ذا شخصية قوية معتدة وإعداد عسكرى متقن . أطلق عليه الضباط : الأسد العجوز .

---

*هو اللواء أ.ح. أحمد عبود الزمر الذى استشهد فى معارك الثغرة خلال حرب أكتوبر 1973.

الخميس 19 أغسطس : تحت شجرة الجميز الضخمة جلسنا فى الهواء الطلق وأمامناالمزارع اسفل التبة فكنا
كإقطاعى يطل من شرفة قصره على إقطاعيته بما فيها من مروج خضراء ، وأشجار بديعة تسر الناظرين وكنا نرقب اليمنيين فى ملابسهم المزركشة فاقعة الألوان ، وسرعان ما انشغلت ثنائيات منا فى "عشرة طاولة" تكمل الإحساس بجو خال من الوحشة بعيدا عن رائحة البارود .
الجمعة 20 أغسطس : رياح السلام تهب ، مع أقصى درجات الحذر . الرئيس جمال عبد الناصر يتجه غدا إلى السعودية عن طريق البحر لمباحثات سلام مع الملك فيصل حول قضية السلام وهو بذلك يلقى بأقوى وآخر مبادرة طيبة . فى نفس الوقت علمت باحتشاد لواءى صاعقة ومظلات ولواء مدرع ،

وتوفير حماية جوية لغزو جيزان ونجران فى السعودية على حدودها مع اليمن ، وهما مركزى الإمداد بالأفـراد والسـلاح للملكيين .
الثلاثاء 24 أغسطس : كلفت بقيادة القول الإدارى لكى أمضى نهار عيد ميلادى فى صنعاء ، وهو أفضل بأى مقياس عما سبقه حيث توفى أبى وسط الورود والشربات وتورتة الاحتفال .
سعدت للغاية إذ التقيت فى مفاجأة طيبة بدفعتى وبلدياتى وزميل دراستى مصطفى الجبان وأخبرنى بوصوله إلى اليمن منذ أيام ضمن قوات اللواء 119 ش .
استمعت إلى بيان وزير الإعلام السعودى بشأن مباحثات فيصل / ناصر وأعلن عن سحب القوات خلال ثلاثة عشر شهرا اعتبارا من اليوم ووقف العمليات ومراقبة الـحدود . مع ذكـريات الموت فرحة الميلاد ورياح السلام .
الأربعاء 25 أغسطس : وردت تفاصيل اتفاق جده بين فيصل وعبد الناصر كالتالى :

- وقف القتال فى اليمن ووقف المساعدات السعودية للملكيين .
- انسحاب القوات المصرية من اليمن خلال عشرة شهور تبدأ فى 23 نوفمبر القادم
- فترة انتقال حتى يجرى استفتاء شعبى عن النظام الذى يرتضيه اليمنيون قبل 23 نوفمير 6
- عقد مؤتمر انتقالى فى مدينة حرض من خمسين عضوا يمثلون الفئات المختلفة فى اليمن حيث يشكل الحكومة ويجرى الاستفتاء .
- تكوين لجنة محايدة من مصر والسعودية للإشراف على الاستفتاء ، ولجنة سلام لمراقبة وقف إطلاق النار
- تشكيل قوة مصرية سعودية تساعد لجنة السلام على تنفيذ الاتفاق .

أصداء الاتفاق كلها سعيدة : صوت المذيع السعودى وهو يقرأ برقيات التهانى للملك فيصل كان معبرا .. القنصلية السعودية فى الإسكندرية توزع الشراب على الجمهور . الجمهورية العربية المتحدة سعيدة بوقف نزيف الدم ، والمال ، فالتقديرات تشير الى تحمل الخزانة المصرية لمبلغ 40-50مليون جنيه أى 100 مليون دولار بسعر ذلك التاريخ ، سنويا لمواجهة نفقات الحرب .. حتى بريطانيا عبرت عن ارتياحها للاتفاق ، وأصدقها ، فوجودنا على رأس قواتها فى عدن يسبب لها صداعا دائما .
الجمعة 27 أغسطس : اجتماع برئاسة المشير عامر ضم الفريق أول محمد فوزى ، والفريق أول عبد المحسن كامل مرتجى والممثل الشخصى للرئيس : حسن صبرى الخولى . حول اليمن وأعتقد أنه دار حول تفاصيل تنفيذ اتفاق جدة .
الأثنين 6 سبتمبر : الإجازة الميدانية السادسة وبداية مختلفة تماما .. حمولة لم يكن ليسمح لى باصطحابها فى طائرة الركاب D.C.6 لذا ركبت طائرة النقل أنتنوف ؛
وعلى كل حال فقد فزنا نحن الضباط الأربعة وبعض المساعدين بالمقاعد الخشبية فى الكابينة مكيفة الهواء حيث وصلنا إلى مطار القاهرة منتصف النهار .
الثلاثاء 21 سبتمبر : وعدت الى اليمن التى أصبحت محل اقامتى تستثنى منها فترات إجازة أمضيها فى القاهرة . أخبرنى الملازم أول جميل أبو حبيش بنقله للعمل فى لجنة السلام المصرية السعودية المكلفة بمراقبة الحدود والمطارات والموانىء ومنع التسلل وغيرها من الواجبات المحددة فى اتفاقية جدة .. وعقدت اللواء لجميل بإمارة التنقلات فقد ظل يمثل الجوكر الذى يملأ المكان الشاغر على مدى عام ونصف .
الخميس 23 سبتمبر : بداية التنفيذ لخطة تدريب فى بيت العذرى حيث التقيت بالنقيب ابراهيم وأحمد عطا الله وعبد الحميد وناشد واحمد عثمان ومحمد السعدى واجتمعت الجنود فى طوابير مماثلة للطوابير فى مصر ندربهم ، ففى أوقات السلام النسبى أو توقف العمليات لا يركن العسكريون للراحة ، وإنما يستعدون لما بعد فترات الهدوء . وكنت أفضل أن يتم تدريب فصيلة فى كل موقع بدلا من تجميع سرية

فى موقع واحد تترتب عليه أعباء وتكاليف النقل للضباط والجنود من مواقعهم الى موقع مركزى واحد قبل البدء ثم إعادتهم بعد الانتهاء .

السبت 25 سبتمبر : نبأ مؤلم ليس له تفسير ، واجتهادات فاشلة لم تصل الى دافع منطقى له . اتصل رئيس العمليات بالنقيب مصطفى منصور قائد السرية وأبلغه بالتنبيه على الملازم أول مكلف جلال الدين ربيع يوسف بتسليم نفسه – بعد إخلاء طرفه – الى قيادة اللواء قبل سعت 1000 الأحد 26 سبتمبر . لماذا ؟ لا إجابة ظللنا نقلب الأمر ونضع الاحتمالات فلم تكن شافية . بعد ساعة وصلت اشارة ق.ل. فضاعفت الغموض حيث تضمنت بعض التعبيرات المزعجة مثل : "ولا تقبل أعذار" . تعاونًا فى إخلاء طرفه ، وترتيب متعلقاته .. وأصابنى وجوم ، لأن فراق رفيق السرية والدشمة والطعام والسمر اذا كان بدرجة الدماثة ، والطيبة ، والتجاوب التى يتصف بها جلال ، مدعاة للألم والضيق . فى الصباح ودعناه ، وكأننا نشيعه الى المجهول ، ووعدنا بالمراسلة ، وتزويدنا بأخباره ومتابعة أخبارنا .

الأحد 26 سبتمبر : الذكرى الثالثة للثورة اليمنية . اتجهت الى صنعاء كقائد للقول الإدارى وبرفقتى كل من النقيب مصطفى لبدء إجازته ، وجلال لإنهاء خدمته . فى صنعاء كان الاحتفال ضخما تضمن عرضا عسكريا ، قد أسميه استعراضا عسكريا فقد حوى من الأسلحة الثقيلة مدفعية الميدان والسواحل والمضادة للطائرات وكأنما نقصد الموازنة مع التوجه للسلام وتوقيع اتفاقية جدة ، وفى مشهد آخر ظهرت الطائرات (المدنية) السعودية فى مطارات اليمن ورأينا الضباط السعوديين أعضاء لجنة السلام جنبا الى جنب مع ضباطنا فى معسكر الاستقبال والتقيت بجميل أبو حبيش عضو لجنة السلام ، وبدأت كلمة السلام تتردد فرطبت أحاديث الحرب والقتال ، وبدأ الحديث عن توقعات إنهاء مأموريتنا القتالية فى اليمن ..

حكمة الشيوخ :

الثلاثاء 28 سبتمبر : يوم مميز على مستوى المعرفة . زيارة لأحد اليمنيين فى بستانه وارتياح لرؤيتنا لذلك الكم الهائل من الكروم وعناقيد العنب المتدلية ، نقطف منها تلبية لطلب صاحبها ونتذوق عسلا مصفى ، عصارة لم نتذوقها من قبل ، لقد أيقنت اليوم باعث ندم من حُرِم بلح الشام وعنب اليمن . دخل العجوز ودخلنا برفقته ، فتجولنا بحرية فى البستان ، وسرحت فى ماضٍ قريب لم نكن فيه نملك ترف القيام بمثل هذه الزيارة تواجهنا حبات العنب ، بدلا من حبات الرصاص (يطلق اليمنيون على طلقة الرصاص اسم : حبة) .. ولم يكن لهذا العجوز أن يدخل الى موقعنا ليوجه الينا مثل هذه الدعوة . ما أروع السلام الذى سمى ربنا نفسه باسمه . قضينا وقتا ، وهممنا بالانصراف ، فاستوقفنا العجوز وقطف أحلى عناقيده وصمم على حملها ، ومرافقتنا لتوصيلها إلى موقعنا هدية منه وعنواناً للمحبة . ثم طلب منا معاودة زيارته كل حين ، وكذلك طلبنا منه . وحين زارنا فى المساء رسمت له صورة SKETCH اسكتش لأن ملامحه وذقنه وعمامته يجسدون صورة رجل يمنى .

فى المساء حضر د. رمسيس حيث وقع الكشف على الجنود وفتش عليهم للتأكد من نظافة أجسادهم وقاية من الأوبئة والأمراض الجلدية . وقد قررت التفتيش عليهم يوم السبت من كل أسبوع .

الأحد 3 أكتوبر : تسلمت خطابا من الصديق الحبيب سمير فريد تضمن من بين عباراته :

"أنا هنا بخير وفى انتظار التحرك إلى صنعاء وسأكون دائما فى انتظاركم عند نزولكم بالقول " .. ثم مضى مازحاً " وعلى فكرة ألف مبروك للملازم أول عبد الصمد حمادة على الترقية . وعقبالك يا سيد مبروك لما توصل لمستوانا ، وأنا أطلب منك أن تقرأهذا الخطاب وانت واقف انتباه أحسن لك من الأزية . ولا أقولك حرام كما كنت . " "أخوك م.أول سمير فريد" . فرحت لترقية أقرب زملائى وأصدقائى إلى نفسى .

الأثنين 4 أكتوبر : استئناف لحفلات السمر تمضية لمزيد من الوقت مع المرح والسعادة حتى تمضى

الأيام فى يسر إلى أن حتى نعود لأرضنا . وكنت قد دربت الجنود على أداء فقرات فنية تتسم بالفكاهة وكررنا حفلاتنا بحضور القادة على عدة مستويات فحظيت برضاهم وتشجيعهم ، ومع تكرار الحفلات وصل الجنود إلى مستوى طيب وأجادوا العزف على آلاتهم البسيطة التى صنعوا معظمها ، وأتوا بأقلها من مصر

الشيخ مقبل الزراعى :

تكررت زيارة الشيخ صالح بن صالح العومرى واشترينا منه كمية من الزبيب الممتاز رخيص الثمن حيث ينقلها كل منا إلى بيته فى مصر عند القيام بالإجازة .. ومع اقتراب الرجل منا أكثر وأكثر أحسسنا ألفة كبيرة لصراحته الفائقة وحديثه معنا بقلب مفتوح حول كل ما يتعلق باليمن وشعبها . رجل جاوز السبعين ويتحرك برشاقة يحسده عليها الشباب .

لكن شيخا آخر كان أكثر أرتباطا بنا ، وترددا علينا ، وكان أعمق تأثيرا فى نفوسنا لحكمته البالغة وعباراته المدققة ، ووصلنا معه إلى مناقشة أى موضوع مهما كانت حساسياته . أحببت مجالسته وعصَّفتُ أفكاره فاستفدت فى كل جلسة معه ، وجمعت صورا واضحة عن حياة الناس فى اليمن .

ذلك الشيخ هو مقبل الزارعى شيخ العومرة

الأحد 10 أكتوبر : جلسة طويلة مع الشيخ مقبل وحديث مفصل عن الحرب والسلام . سألته : لماذا تحاربوننا وقد جئنا نقدم العون لكم . رد على سؤالى بسؤال : من تقصد بالذين يحاربونكم ؟ قلت : أنتم اليمنيون . قال : هذه مشكلتكم . أنتم تتعاملون مع اليمنيين على أنهم عائلة مقبل يسيطر عليهم ويأخذهم تحت جناحه فى الاتجاه الذى يريدونه . إن اليمن بلاد واسعة فيها كثير من القبائل وكل قبيلة فيها كثير من العائلات ، ولكل توجهه، فهذا ولاؤه لبيت حميد الدين بحكم التعود ومرور الزمن وآخر ترتبط مصالحه بهم .. وثالث يريد الجمهورية ويحلم بالخروج إلى دنيا جديدة ، ورابع يداعب ذهب السعودية خياله وأحلامه .. ولو ثبتت الصورة على هذا الحال لأصبحت مفهومة ولكن ما يحدث أنها أصبحت لعبة ، يلعبها الجميع وصولا للمال .. بل للأموال . مثلا يعلن شيخ من المشايخ ولاءه للجمهورية فتغدقون عليه العطاء ؛ ريالات ، وقطع قماش وعلاج ، وتعليم أولاده .. بينما أخوه أو ابن عمه ينضم للملكيين فيحظى بريالات السعودية وذهبها .. بعد فترة يتبادلون الولاءات ؛ المميلك ، يجمهر – والمجمهر يميلك ، ولتأكيد ولاءه وتثبيته ، يغدق عليه السيد الجديد ما يشترى به ذمته ويؤكد ولاءه .

توقف الشيخ مقبل فجأة عن الحديث وسألنى : هل تعرف لعبة الألغام ؟ قلت هل أصبحت الألغام لعبة ؟ قال : أجل . يذهب أحدهم إلى الملكيين فيسلموه لغما ويحددون له موقعا فى طريق عرباتكم ويشرحون له كيف يزرعه .. ويرسلون فى أثره من يتأكد من تنفيذه للمطلوب ويدفع له خمسين ريالا .. يتوجه الرجل إليكم ويبلغكم أنه يعرف مكان لغم زرعه الملكيون لكم ، فتدفعون له خمسين ريالا لكى ينزعه من حيث زرع وترسلون معه من يتأكد من ذلك . وينزع الرجل اللغم ويحمله ويهم أن يمضى به فيساومه مندوبكم على استلام اللغم خوفا من إعادة زرعه فى طرقكم فيطلب الرجل خمسين ريالا ثمنا للغم ، وبذلك يكون الرجل قد قبض خمسين ريالا ليزرع اللغم وخمسين أخرى لكى ينزعه ، وخمسين ثالثة لكى يبيعه لكم . أرأيتم !

أنتم ترون فى النهار موالين لكم وتضعون ذلك فى حساباتكم ولا تعلمون أن اليمن جمهورية فى النهار ، ملكية فى الليل ..

قلت له : وشيوخ القبائل ، أليسوا مسيطرين على رجالهم ؟ قال : بلى والشيوخ هم من يسعون إلى المال فى هذه الفرصة التى لن تتكرر ، طرفان يزايدان على كسب ولائهم وهنا يقولون : كبيركم أين ذهب ؟ فيقال : الى من معه ذهب .

أنتم طيبون .. وصادقون ، وقد جئتم فعلا لمد يد المساعدة إلينا ، لكن الجهل مصيبة ، والفقر كافر . إذا كنت عاجزا عن توفير قوت أولادى ، فلا تحدثنى عن الوطنية أو الولاء .. مع مرور الزمن سيعرف

الجميع أنكم رجال مخلصين لأهدافكم وأنكم لم تجيئوا نصرة لعبد الله السلال وإنما جئتم لمناصرة شعب اليمن ، والمنافقين الذين يتهمونكم بالرغبة فى استنزاف خيرات اليمن يعلمون أنكم لستم مجانين لكى تتكبدوا كل هذه المشقة والكلفة لكى تقاسمونا محصول العنب وأوراق القات ..
ولاحظ الشيخ امتعاضى وألمى للتشخيص المزعج للحالة اليمنية ، فقال مخففا :
على كل حال ها هم آل حميد الدين يعترفون بالجمهورية . ألن يحضروا مؤتمر حرض ؟ لاحت تباشير النصر
الثلاثاء 19 اكتوبر : فى صنعاء رأيت وسمعت ما صعقنى . رأيت جنازة عسكرية شارك فيها كل الناس ، ولم أهتم بالسؤال عمن مات ، ولكن شدتنى قصة الموت : قال بعضهم ؛ ترك اليمنيون المظاهرة وساروا فى الجنازة . ولم كانت المظاهرة ؟ قالوا ؛ احتجاجا على أفعال جانب من أعضاء لجنة السلام فقد ضبط اليمنيون أحد أعضاء اللجنة من ذلك الجانب أثناء تخنيس (ممارسة الفعل الشائن) أحد اليمنيين . وحسب الرواية التى رواها اليمنيون ، أحس اليمنى بالفضيخة فاستل خنجره وهم يقتل ذلك الضابط الذى خطف منه الخنجر وقتله به ، وثار اليمنيون وهموا بقتل الضابط ثم تظاهروا فى شوارع صنعاء يهتفون بسقوط فيصل ، وحياة جمال عبد الناصر .
وتذكرت ما رواه الشيخ مقبل الزراعى عن ضبط كثير من أعضاء لجنة السلام الجدد عليهم فى أوضاع شائنة ما دعاهم الى تسميتها بلجنة "المخانيس" تحقيرا لهم .. وقال : لقد عرف اليمنيون قيمة المصريين وعظمتهم ورددوا : ما نعرف فضل الأول قبل ما نعرف رذالة الثانى .
الاربعاء 3 نوفمبر : حضر إلينا أحد اليمنيين يطلب منا عدم الانزعاج إذا سمعنا أصوات طلقات الرصاص ورأينا فى الليل عددا كبيرا من الفوانيس المضاءة ، ونشاطا غير عادى فى الأفق البعيد عند "همدان" إذ أن هناك نزاعا خطيرا بين قبيلتين وخرج المقاتلون فى مواجهة بعضهم البعض ، وقد تنشب المعركة بينهم فى أى لحظة .. ونقلنا الرسالة للجنود وطلبنا منهم اليقظة والمراقبة ، ومما طمأننا أن القمر اليوم ساطع والسماء صافية وهو جو نادر التكرار فى ليالى اليمن .
الخميس 4 نوفمبر : واحتد وطيس القتال بين القبائل اليمنية المتنازعة ، وأصبح التوتر واضحا للعيان منذ الأول من نوفمبر . تصادف وجودى برئاسة الكتيبة فى منطقة بيت العذرى لصرف مرتبات جنود السرية حين سمعنا أصوات طلقات كثيفة . أعلنت الطوارىء ، واتخذ الجميع مواقعهم ، وتحركت دبابة اضافية لتنضم الى الدبابة المتربصة فى مواجهة المختلفين الذين ارسلنا إليهم تحذيرا شديدا من تعريض أى جندى مصرى للإصابة ولو خطأ . سقط قتيل من إحدى القبيلتين وجرح آخرون من الجانبين ، سألنا عن سبب الصراع فقيل : الأرض . فهمت ذلك فى البداية على أنه نزاع على قطعة أرض زراعية ، لمحدودية الأرض الزراعية بالفعل ، لكننى فى اليوم التالى فهمت الحقيقة الغريبة من الشيخ صالح العومرى فقد أوضح لى أن الصراع من أجل جبل يقع ضمن نطاق قبيلة تسيطر عليه منذ عهد الجدود ، وأجارت عليه قبيلة أخرى فى محاولة للسيطرة عليه ضمن عملية تخطيط أو خطاط وخرجت أرحب كلها ؛ الجمهوريون والملكيون صفا واحدا للدفاع عن الجبل ، وأصبح على الشيخ صالح عبء الإمداد والتموين لهذه القوات ، لذا أوضح فى عجل واستأذن لاستكمال مهمته اللوجستيه لنقل المؤن والذخائر والطعام والشراب على ظهور الحمير ليلا الى خط القتال ، وهناك يجد المرابطين ؛ ومنهم ولده ناصر ومعه عبد العزيز بن مقبل الزارعى ، وناصر الظليمى وغيرهم .
أدركت وقتها أن أمام الثورة اليمنية مهمة أشق من مهامها القتالية ، وهى صهر القبائل فى بوتقة الوطن .
السبت 6 نوفمبر : حفل رائع أقامه الجنود لاقى إعجابا شديدا وتقديرا عاليا من كل الحضور : العقيد الزمر قاك ، قادة السرايا ، الضباط والجنود ، الكل أبدى اندهاشا وعبر عن استمتاعه بوقت طيب وصرف قائد الكتيبة مبلغا لشراء هدايا للجنود المشاركين ، كما أمر بتنظيم حفل مشابه شهريا فى موقع

مختلف ، لتأثيره المطلوب على معنويات الجميع .
الأحد 7 نوفمبر : رسالة من جلال ربيع طمأننى عنه وكنت غاية فى القلق حيث توقع بعض الزملاء من طريقة إنهاء خدمته ، أن يكون ذلك مرتبطا بانتماء للإخوان المسلمين ، والحقيقة أن رسالته طمأنتنى على أنه ليس مقبوضا عليه ، لكن فجائية ترحيله ، وعدم تفسيره لى أى سبب لذلك فى رسالته يؤكدان وجود ارتباط بذلك وتفسيرى الوحيد هو وجود أحد أفراد عائلته من تنظيم الإخوان مما استدعى اتخاذ إجراء تحفظى باستبعاده من الخدمة العسكرية .. والله أعلم .
السبت 20 نوفمبر : فى الطائرة المتجهة إلى القاهرة بداية لإجازتى السابعة سرحت فى إجابة لمسألة فى الحساب ، حيث تساءلت عن عدد الكيلو مترات التى قطعتها والتى سأقطعها تنفيذا للمهمة القتالية التى نؤديها ، ووجدت أن النتيجة تشكل رقما ذا بال فحتى الآن قطعت حوالى أربعين ألف كيلو متر ، وحتى تنتهى المهمة سأتجاوز الخمسين ألفا .. اللهم أتم على نعمتك ، واكتب لى السلامة كما مننت بها على حتى الأن .
موت محقق ، ونجاة غريبة :
الأحد 5 ديسمبر : الأمس كان اليوم الأخير فى أجازتى بالقاهرة ، قمت بمجموعة من الأعمال المعتادة فى مثل هذا اليوم ؛ استكمال المشتريات وإعداد الطرود .. وجبة غذاء متميزة وكانت هذه المرة سمكاً – زرت حرم الرائد ممدوح الطنيخى حيث سلمتنى خطابا لتوصيله إليه .. ثم حرم العقيد أ. ح. احمد الزمر حيث أرسلت معى بعض الأطعمة والفواكه إضافة لخطاب ، وعدت إلى المنزل لأجد فى انتظارى مجموعة من الأصدقاء والأقارب فوجئت أن من بينهم جلال ربيع حضر من طنطا للتحية .. وكان لقاءًا مؤثرا اتجهت بعده إلى المطار لأفاجأ بأن اسمى ضمن ركاب الطائرة أنتنوف ، وكانت صاعقة . لماذا ؟ رغم أننا فى أوائل ديسمبر فقد كان الجو مائلا للبرودة – ولو أنه كان فى المطار باردا – وكنت أرتدى قميصا كاكيا من قماش اللينوه وتحته فانلة سبور . بدأت أشعر بالبرد مع اتجاه الساعة نحو منتصف الليل .
صعدت الى الطائرة ولاحظت ان المعتادين لركوبها متحوطون للبرد القارس حين ترتفع الطائرة خمسة وثلاثين ألف قدم عن الأرض ، فيلبسون الأوفرولات وفوق السترة – أو تحتها – فانلة ضرب النار وهى من الصوف السميك ، وفوق ذلك الكبود ، وعلى رأس كل منهم " كلبوش" صوفى .. وصدمت حين لم أجد لنفسى مكانا فى الكابينة لوجود عدد من الضباط الأقدم .. صعدت الطائرة وحاولت أن أسند ظهرى ألى جسم الطائرة وأحسست بصاعق كهربائى يدفعنى بعيدا عن جسمها حيث كانت درجة حرارتها أدنى كثيرا من الصفر ، لقد لسعتنى البرودة كلسعة عقرب ، تركت فاصلاً بينى وبين جسم الطائرة وأطفئت الأنوار وسبحت الطائرة فى بحور الظلام الخارجية ، والداخلية . بدأت اشعر برعشة وقشعريرة ، أحسست بأن أصابعى تخشبت ، وأدركت أنها ستتجمد لا محالة ، فالطائرة ما زال أمامها ثلاثة ساعات لكى تصل إلى الحديدة - مضى الوقت ثقيلا ، وأنا أتابع اتجاهى إلى التجمد الذى بدأ بشلل ذهنى أعاقنى عن التفكير فى وسيلة الخلاص من هذا الموقف .. دقائق وشعرت بدنو النهاية وأن الاستغاثة واجبة ، تكلمت بصوت مستعينا بالواقف إلى جوارى ، لم يجبنى ، والواضح أنه لم يسمعنى فأصوات المحركات تنعكس داخل أدمغتنا .. كانت الفرصة الأخيرة ، حاولت من جديد لكن لسانى كان قد تحجر ، واحتبس صوتى ، واستسلمت لقضائى المحتوم .
فى هذه اللحظة – كما أبلغت فيما بعد – سقط جسدى المتجمد على الأرض ، ومع سقوطه اصطدم بقدم راكب مجاور ، فانحنى ليلمس ما سقط على قدمه وأحس بجسد بشرى فاقد للنطق والحركة فصرخ : راكب مات . حضر أحد أفراد طاقم الطائرة .. أضيئت الأنوار ، وحملت إلى الكابينة ، وفى دفئها النسبى بدأت الحرارة تدب على استحياء فى جسدى – أحضروا الى زجاجة مياه غازية ودثرونى ببطانية . رويدا .. رويدا شعرت بالحياة تدب فى أوصالى من جديد .. ومن بعيد لمحت أشعة الشمس الخجولة عند الشروق ، ومع الوقت ازدادت أشعتها حرارة وانتشرت ، فامتلأت بها الكابينة ، وبدأت أتمدد بعد طول

انكماش وتذكرت الوصف الذى كان أقاربى المزارعون فى الحامول يطلقونه على حالتى بالتشبيه بـ " كتكوت وقع فى المسقى " .

فى المطار كانت العربة تنتظرنى ومعها الجندى المراسلة .. انتقلت الى الموقع وأحسست بالأمان .. سبحان الله ، فى الوقع أحسست بالأمان , وفى الطائرة كدت أموت .. من البرد .

الثلاثاء 7 ديسمبر : مضى النهار ، وجزء من الليل بشكل طبيعى معتاد ، حتى حضر أحد الجنود للإبلاغ عن وجود مشاعل كثيرة فى القرى المحيطة ، وخرجت لأشاهد آلاف المشاعل ابتداء من خط الأفق البعيد وحتى القرى القريبة أسفل منا ، استرجعت كل ما حكاه المشايخ وأضفت معلوماتى الخاصة وارتباط المناسبات الدينية بنشاط العدو فى العمليات القتالية حيث الليلة هى ليلة النصف من شعبان ، لكننى فضلت استدعاء أقرب المشايخ من موقعنا حيث أبلغنا أن الملكيين اتفقوا على إظهار قوتهم بإشعال المشاعل فى كل القرى فى توقيت متزامن وذلك ما نسميه مشاركة فى مظاهرة لاستعراض الكثرة العددية . وصلت الرسالة ؛ مازال الملكيون كثر ، ومازالت الأموال السعودية تعمل ومعها المخابرات الأمريكية والبريطانية والمرتزقة لكن سلاحنا مازال فى يدنا .

الاربعاء 8 ديسمبر : متابعة لمجريات الأمور فى مؤتمر حرض : خلاف وتوقف ثم بعض الاتفاق واستئناف الاجتماعات .. ثم عودة للخلاف ، وهذا طبيعى . فالحلول التوافقية افتراض بعيد عن المنطق ، فاليمن ملكية أو جمهورية ولا مجال لتسمية وسط ، وعلى الأرض لم يحقق طرف انتصارا يمكنه من فرض إرادته ، صحيح أننا ومعنا قوى الثورة نسيطر على العاصمة ، والمدن ومعظم المواقع الجبلية والنظام الذى اعترف به العالم هو الجمهورى ، لكن المال والمخابرات والمرتزقة وتجار السلاح لهم إمكانية عالية لاستنزافنا . وهنا يتوقف الأمر على القدرة على الصمود ، ولأى مدى .. أعرف ان هناك خطة لدك جيزان ونجران مركزى التجمع للمرتزقة وتهريب السلاح والأموال ، تلك المدينتين المتنازع عليهما بين اليمن صاحبة الحق ، والسعودية صاحبة النفوذ والأمر الواقع . أعرف أن الطيران المصرى جاهز فور تلقى الأوامر لتسويتهما بمن فيهما بالأرض وأن القوات الخاصة سوف تحتلهما ويتم ضمها لليمن ، لكن ذلك مؤجل إفساحا للفرصة أمام الحل السياسى . إن غدا لناظره قريب .

السبت 11 ديسمبر : بعد طول إجراءات ، وتحركات ، أنا فى فرقة إدارة نيران المدفعية ، ورغم أننى ضابط مشاه فإننى بحاجة إلى هذه الدورة . لماذا ؟

المشاه سادة المعارك ، فلا نتصور أن تتم عملية عسكرية بمعرفة سلاح آخر منفردا أو معركة أسلحة مشتركة بدون المشاه ، لأن المشاه هى التى تحتل الأرض وبالسيطرة على الأرض تكون العملية قد نجحت ، لذلك فإن كل الأسلحة الأخرى تعتبر معاونة للمشاة فالمدفعية والمدرعات والطيران والبحرية ، كلها تساعد المشاه لكى يصل فى النهاية للسيطرة على أرض المعركة وحين تتعامل المدفعية مع أهداف معادية يكون ذلك – فى معظم الأحوال – بطلب من المشاه وعلى المشاه مراقبة إصابة المدفعية لهذه الأهداف وتوجيه المدفعية لتصويب تعاملها ، لذلك على ضابط المشاه أن يعرف كيف تعمل المدفعية ، وكيفية إبلاغها عن انحراف سقوط قنابلها عن الأهداف المطلوب التعامل معها والتصحيحات اللازمة للنجاح فى إصابة الهدف .

لذلك كان حضورى لهذه الدورة (الفرقة) لدراسة اللغة التى يتم التخاطب بها بين المشاه والمدفعية فى معركة الأسلحة المشتركة ، وقد سبق لى حضور فرقة توجيه الطيران لنفس الهدف ..

فى اليوم الأول كانت دروس تمهيدية كتعريفات ومدخل لموضوع الفرقة على فترتين : من التاسعة صباحا الى الواحدة ومن الخامسة الى السابعة ، بينهما فترة راحة وتناول الغذاء ، ورغم تخوفى فى البداية من عدم مسايرتى للموضوع لاصطلاحاته الفنية الكثيرة مثل الحصر والتقويس وغيرها ، لكن دماثة الضباط القائمين على الفرقة يسرت الأمور كثيرا ، ومن أقربهم إلى نفسى ضابط (فنى أو شرفى) برتبة ملازم أول ويدعى حسن ، حكى لنا فى وقت الراحة – أو بالتداخل مع معلومات الفرقة كثيرا من

النوادر ، أسترجع بعضها بعضها فيما يخص المشير :

عبد الحكيم عامر ، عمدة ومعلم برتبة مشير :

المشير عامر ابن عمدة أسطال بمحافظة المنيا وابن شقيقه .. الفريق حيدر القائد العام للقوات المسلحة قبل ثورة 1952 ، خدم مع جمال عبد الناصر وتوثقت علاقتهما ـ وانضم لتنظيم الضباط الأحرار ودعم التنظيم بالمعلومات التى عرفها عن طريق خاله ، وبالصرف على بعض النواحى حيث كان هو والأخوين محى الدين أكثر أعضاء التنظيم ثراء . حين قامت الثورة كانت رتبته صاغ (رائد) تولى قيادة القوات المسلحة ورقى الى رتبة اللواء . ابن بلد ، يحب الضباط بشكل مرضى ويعتبرهم (رجالته) بلغة المعلمين ، وهو فنجرى من جيبه ، ومن جيب الدولة ، يستجيب لكل طلبات الضباط وخاصة من يتوسم فيه (الجدعنة) .. كان له رجاله المقربون الذين لا يجرؤ أحد أن يمس أحدهم ، منهم دفعته فى الكلية الحربية ، ورجال مكتبه ؛ العقيد على شفيق (زوج الفنانة الراحلة مها صبرى) والعقيد شمس بدران ، وجلال هريدى .. و.. المهم أن المشير كان يتردد على اليمن ، وفى معظم الزيارات كان يرأس مؤتمرا للضباط الممثلين للوحدات ويناقشهم فى شئونهم واحتياجاتهم .

فى أحد هذه المؤتمرات ، تحدث عن الموقف العسكرى والسياسى .. ثم انتهى بالسؤال التقليدى حد عايز حاجة يا ولاد ؟ صمت الجميع .. فاستدرك : الرتب الكبيرة مش حايقولوا حاجة لكن أكيد الفراودة الصغيرين عندهم كلام كتير .

تحدث الفراودة كل فيما يريد أن يعرضه ، ثم تحدث صاحبنا الضابط حسن . رفع يده فأشار له المشير بالحديث سائلا : إيه مشكلتك يا حسن ، وكان يعرفه بالإسم حيث جمعتهما الخدمة مسبقا . قال حسن : أنا علىّ خصم يا أفندم ربع المرتب لغاية نهاية الخدمة وبعدين من المعاش .

واستنكر المشير متسائلا : يا ساتر دا ايه اللى مخصوم عليك يا حسن ؟ ورد حسن : عسكرى يا افندم .

قال المشير : إيه ؟ وأكد حسن : عسكرى يا افندم . ضحك المشير وقهقه ، وبالطبع قهقهت كل الرتب المحيطة . وقال المشير ومازال الضحك يطغى على نبرة صوته : لأ أحكيلى يا حسن . إيه حكاية العسكرى اللى اتخصم عليك ؟

قال حسن : كنت أقود طابور بحر ، نزل الجنود تحت إشرافى الى البحر وانتهى الطابور فصرفتهم للراحة حتى موعد الطابور الثانى فى البحر أيضا ، ونبهت عليهم بعدم النزول قبل موعد الطابور . حاول أحد الجنود السباحة وحده وغرق . أهله رفعوا قضية على الجيش وحكمت لهم المحكمة بتعويض . الجيش دفع التعويض وبيخصمه من مرتبى .

ضحك المشير كثيرا وقال له : والله أنت ضحكتنا بعشر تلاف جنيه يا حسن . خلاص يتوقف الخصم . وبالطبع فحول المشير أكثر من حامل لأجندة يسجل فيها التعليمات والتوجيهات ، وتم وقف الخصم على م . أول حسن وصرف مرتبه فى أول ديسمبر كاملا وقد قص علينا هذه القصة حين أبدينا تساؤلا عن سر استدعائه لعسكرى البوفيه كل نصف ساعة ويطلب لنا "المشاريب" دون سؤالنا ؛ عشرين ينسون .. عشرين كاركدية .. عشرين شاى .. وحين انتهت الدورة يوم الخميس 16 ديسمبر : دعانا اللواء محمد سعدى نجيب قائد الفرقة على الغذاء فى حضور قائد القوات الجوية الفريق أول محمد صدقى محمود وقائد القوات العربية فى اليمن وكبار القادة وسفيرنا فى اليمن .. ثم عدنا الى قيادة الفرقة ، وفى مكتبه هنأنا اللواء سعدى على التفوق حيث حصلت وبعض الزملاء على تقدير عام امتياز فى نتيجة الفرقة .

كنا قد تعرفنا على بعضنا البعض خلال أيام الفرقة ، وفى سهرتنا فى معسكر الاستقبال روى لنا عدد من الضباط ذكرياتهم عن المؤتمرات التى حضروها مع المشير : قال أحدهم : حضرت مؤتمرا فى إحدى قاعات القيادة ، وسأل المشير فى حاجة مضايقاكم يا ولاد ؟

رفع ضابط برتبة ملازم يده وقال : أنا حاجز سيارة 1100 وكل أجازة اسأل عن موعد استلامها ومافيش إجابة محددة يا افندم قال المشير : معلش فيه مشكلة بين الـ ...... بتوعنا فى المصنع وبين الـ ......

الطلاينة ، وفى تحقيق دلوقت عشان نعرف مين السبب وعلى كل حال لازم تنحل المشكلة ويستأنف الإنتاج ويمكن على ما ييجى دورك فى الأجازة تستلمها لأن ضباط اليمن لهم أولوية مطلقة فى التسليم ..
وقال ضابط آخر : المشير فى مؤتمر كانت معنوياته عالية بعد مجموعة عمليات ناجحة ، وسأله نقيب عن إمكانية زيادة الأجهزة المنزلية اللى بتيجى من عدن ، وسأل المشير قائد القوات عن الموضوع فقال : إحنا بنشترى كمية من الأجهزة المنزلية من السوق الحرة فى عدن وكنا بنخصص وحدة واحدة لكل وحدة بمستوى كتيبة ، ونظرا لزيادة الطلب عليها لرخص سعرها قررنا نخصص لكل وحدة ثلاجة وبوتجاز وسخان على أن الوحدة تجرى قرعة بين الضباط الراغبين وتسلمها لللى تصيبه القرعة .
ضحك المشير وقال : لأ دى قـَرعـة مش قـُرعـة ، مـا هو لما تتعمـل قـرعـة حـاتـطلـع الثلاجة من نصيب قـائد الكتيبة ، والبوتجاز من نصـيب قائد ثـانى والسـخـان لـرئـيـس العـمـلـيـات ، وبـاقـى الضـباط يـتفـرجـوا .. كـل الـلـى عـايـز يـطلـب جـهاز واحـد وتـتـجـمـع الـطـلـبـات فـى الآخـر وتبـعـتـوا تـشـتـروهـالـهـم .. * وهكذا قضينا السهرة فى قصص "جدعنة" المشير وحبه الزائد للضباط .

*فى مارس 1966 أثار جمال عبد الناصر مع عبد الحكيم عامر ما وصلته من معلومات عن اتجار بعض العاملين فى مكتبه فى السلع المعمرة الواردة من عدن عن طريق اليمن وكلفه بتصفية هذه الانحرافات ومعاقبة المسئولين عنها . وقد شهدت بنفسى شحن كميات مهولة منها على طائرة من طراز أنتنوف فى مطار صنعاء .

الأربعاء 22 ديسمبر : أعلن اليوم أن شهر رمضان المبارك يبدأ غدا وسرحت فى ذكريات عن الروحانيات والقنابل والكمائن .. واليوم ايضا وردت أنباء عن استعدادات الملكيين للحرب ، وكان الرئيس جمال فى خطابه أمس فى عيد النصر قد أعلن أن أحد قادة الملكيين صرح بأن الحرب ستعود ، وقال : نحن نسعى للسلام ولكننا سنضربهم إذا اعتدوا ..
حمدت الله ، لأن الأخبار مهما ساءت ، والموقف مهما تكهرب فأنا فى وضع أفضل فى موقعى وسط جنودى
قادرين بإذن الله على إلحاق الهزيمة بأى قوة تهاجمنا مهما بلغت . حمدت الله ومررت على الجنود وتأكدت من انتظام الخدمات . تناولت سحورى واستلقيت على سريرى أقارن ما أنا فيه بما كنت عليه منذ عام .. الجوع والإصابة والعراء .. والحزن الشديد على الشهداء . الحمد لله
الخميس 23 ديسمبر : تبليغات عن مشاهدة لمواقع مدفعية العدو والحركة الملحوظة فيها ، وفى المقابل حركة دائبة لتقوية الدفاعات ويقظة الخدمات وأروع ما أسجله أننى صائم هذا العام ..
الأربعاء 29 ديسمبر : ضرب العدو بضع طلقات على موقع ق.ك. وتم التعامل مع مصادر النيران وإسكاتها .
الخميس 30 ديسمبر : لا أتحدث عن قسوة الحرب فنحن نعرف كيف نتعامل معها ، ولكننى أتحدث عن قسوة البرد والصقيع بين السحور وصلاة الفجر ، وبين دفء الفراش بلا سحور والصلاة فى الصباح .

ما قبل النهاية

انتهى العام 1965 وبنهايته انتهت واحد وعشرون شهرا منذ وصولى الى اليمن ، وبدأ عام جديد 1966 ورغم أن خدمتى باليمن تواصلت ثمانية أشهر من العام الجديد ، إلا انها خلت – أو تكاد – مما يروى عن مشاركتى شخصيا فى أعمال قتالية فقد تركت الخدمة فى وحدات المشاة الصغرى ، وانتقلت مع اليوم الأول من العام لكى أقود فصيلة الشئون الإدارية وهى الفصيلة المسئولة عن تدبير احتياجات الكتيبة من التعيينات والمهمات والسلاح والذخيرة وهى مهام أضافت الى خبرتى معارف كثيرة ما لبثت أن تضاعفت بعد أربعة أيام فقط حين عاد القائد من أجازته ، وأضاف الى أعبائى قيادة فصيلة الحملة ، بعد أن

وصمتها لجنة التفتيش بتقدير ضعيف وإنهاء خدمة ضابطها وعزل رقيب الفصيلة لخطورة الكفاءة الفنية للعربات وتأثيرها على حياة الجنود ، وعلى إمداداتهم وانتقالاتهم، والحقيقة ان القائد استجاب لطلبى بتفويضى سلطات قائد الكتيبة كشرط لقبول التحدى لإصلاح الحال الذى وصل الى حدود منطقة اليأس من الإصلاح .
أصبحت أشعر أننى اب لستمائة ضابط وصف وجندى ، مسئول عن تدابير احتياجاتهم والسهر على راحتهم ، وابتعدت عن خدمة المشاه ، رغم خدمتى فى كتيبة مشاه ، فغادرت منطقة الجاذبية الخاصة لفتيات أمريكا الذين يفضلون الزواج من ضباط المشاه ، فسرعان ما يصبحن أراملاً يصرفن التعويضات ومعاشات ضخمة . لذا يتداول الأمريكيون مقولة :

JOIN THE NAVY TO SEE THE WORLD . JOIN THE INFONTARY TO SEE THE OTHER WORLD

أى التحق بالبحرية لترى العالم – والتحق بالمشاة لترى العالم الاخر .

اللاحق أضاء السابق

حين قاتلنا فى اليمن كانت الفكرة الأولى أننا نقاتل بعض القبائل المضادة للثورة ، وكان تقديرنا (الشخصى) أنها قلة من القبائل المتخلفة (وهى كذلك) ، ومع خبراتنا المتراكمة ، توصلنا الى معلومات إضافية :
أولا : أن وراء هذه القبائل دولة أسمها المملكة العربية السعودية ، تلقى بكل ثقلها من إغداق الذهب والسلاح الى استغلال علاقتها بقوى كبرى لدعم هذه القبائل بقيادة الأمير الحسن والإمام البدر .
ثانيا : أن بريطانيا على الحدود الجنوبية يزعجها جدا وجود ثورة فى الشمال ، ويزعجها أكثر وجود قوات لجمال عبد الناصر على الأرض المجاورة .
ثالثا : ان القبائل التى أعلنت ولاءها للثورة ، لم يكن ولاؤها ثابتا بفعل الضغوط والإغراءات من الجانب الآخر حيث أصبح الولاء – مع طول فترة القتال – عملا تجاريا .
وبالتالى فقد كانت حساباتنا فى التعامل مع العدو الهلامى الذى نواجهه مبنية على هذه المعلومات والحقيقة أن القيادة لم تزودنا بمعلومات إضافية ، ولا أعرف السبب هل هو عدم توصلها لمثل هذه المعلومات ، وأشك فى ذلك لأن اجهزة المخابرات المصرية كانت فى أوج أدائها المتميز ، أم لسبب معنوى رأت القيادة معه عدم إزعاجنا بمعلومات قد تؤثر سلبا على معنوياتنا .
ذلك ان حقائق بدأت تتاح لنا ، وأغلبها بعد أنتهاء خدمتنا فى اليمن ، بل وربما فيما بعد عودة القوات المصرية بكاملها فى العام 1968 ومن هذه المعلومات ما أورده الأستاذ محمد حسنين هيكل فى كتابه : حرب الثلاثين سنة – سنوات الغليان :

- المصالح العديدة التى تدفع السعودية للوقوف بأقصى ما يمكنها ضد الثورة :

- تأكيد السيطرة على جيزان ونجران التى تنازل عنها الشريف الإدريسى للملك عبد العزيز آل سعود وعندما أنكرت اليمن حق الشريف الإدريسى أساسا فى هذا التنازل قامت حرب مسلحة بين الطرفين عام 1934 على أثر احتلال القوات السعودية لهما بالقوة ، ثم عقدت بينهما معاهدة الطائف عام 1934 ، لكن الموقف بقى غير مستقر .
- الخشية من المد الثورى فى ظل خلافات بين العائلة المالكة الذى وصل الى حد تبرير الانقلاب على الملك .

- استنزاف جمال عبد الناصر العدو الأول باعتباره الحاضن الرئيسى للتقدميين فى العالم العربى .

- تدفق المرتزقة من العواصم الغربية وعلى الأخص لندن وباريس من نهاية عام 1962 مع أجر شهرى يتراوح بين أربعمائة وخمسمائة جنيها استرلينيا للفرد .
- ترك بعض الضباط الإنجليز للخدمة ضمن الجيش البريطانى فى عدن والعمل على طريقة لورانس العرب مع الشريف حسين فى حرب الصحراء .
- تحالف ثلاثة قوى شريرة جمعتها المصالح للعمل ضد الثورة اليمنية وهى رجال المخابرات الغربية – تجار السلاح من أمثال عدنان خاشقجى – شركات البترول الكبرى .
- دخول اسرائيل على الخط ، فقد تولت إسقاط أسلحة وذخائر لجيوب الملكيين المحاصرة فى جبال اليمن انطلاقا من قاعدة جيبوتى الواقعة تحت الاحتلال الفرنسى تحت الاسم الكودى : "مانجو" .

كما قامت بإسقاط أعداد من اليمنيين اليهود الذين هاجروا إليها لكى يقوموا ببعض العمليات الخاصة فى المجهود الحربى ثم يتسللون بعد ذلك لكى يذوبوا وسط الجماهير اليمنية فى المدن أو القرى .

* * *

وهكذا فقد كنا نقاتل تكتلا رهيبا لديه المال والسلاح والخبرة والكراهية ومواقع الانطلاق أقول هذا بينما أعود بذاكرتى لعام سبق ، يوم الثانى من يناير 1965 , يوم الكمائن .. وقطع الطريق وحصارنا فى أرحب ، لقد ظللت أشعر – إضافة للحزن العميق – بنوع من الحيرة ، ودرجة من استنكار ما حدث : كيف يتسنى لهؤلاء المتخلفين أن يفعلوا هذا بنا ؟ قبائل لا يزيد عدد مقاتليها عن خمسين ألفا ينتسبون الى القرن العاشر مسلحون بالبنادق أو الخناجر ، ونحن نفوقهم عددا مدربون تدريبا جيدا ننتسب للقرن العشرين ومسلحون بدبابات روسية (ت34) وطائرة من طراز ميج ..

لكننى حين أضفت كل القوى التى دعمت الملكيين وقرأت عن الطائرات السعودية المشحونة بالسلاح والشحنات الواردة من بلجيكا واطلعت على قائمة واحدة تضم : *

25000بندقية نصف آلية أمريكية طرازM.I عيار 0.3بوصة .
10000بندقية جرمال عيار 7.92 ملليمتر .
15000 بندقية انجليزى عيار 0.303 بوصة .
200 رشاش براوننج أمريكى عيار 0.5بوصة .
250 رشاش براوننج أمريكى عيار 0.3 بوصة .
100 بازوكا أمريكية عيار 3.5 بوصة مضادة للدبابات.
35 مدفع عديم الارتداد أمريكى عيار 57 ملليمتر مضاد للدبابات .
25 مدفع عديم الارتداد امريكى عيار 75 ملليمتر مضاد للدبابات .
50 هاون عيار 81 ملليمتر أمريكى .
15000 لغم مضاد للدبابات والأفراد .

* كتاب حرب الثلاثين سنة الانفجار 1967 للاستاذ محمد حسنين هيكل صفحة 193 .

3000000طلقة من ذخيرة البنادق M.I والرشاشات براوننج عيار 0.3 ، 0.5 بوصة .
400 صندوق ذخيرة للمدافع 57 ، 75 ملليمتر عديمة الارتداد .
500 صندوق ذخيرة هاون 81 ملليمتر .

عرفت أننا كنا نحارب جبل الجليد الظاهر منه أقل القليل .. كنا نحارب أشباحا لا نعرف منها إلا ما نتخيله كنا نحارب أعداءنا ، ويقتلنا أصدقاؤنا . نعم . ألم يستشهد نبيل الوقاد ، أول شهيد من الضباط المصريين فى اليمن برصاصة غدر أطلقها عليه أحد شيوخ القبائل المواالين من الظهر مقابل عشرين قطعة من الذهب ؟!

أضحك على أحساسى بدرجة من الفشل حين استشهد بعض جنودى فى الكمين الثانى .. كل هذه القوى كانت ضدنا . لقد كنا أبطالا والحمد لله .

ولم تكن النهاية . لقد عدنا لكى نخوض حربا ظالمة فى سيناء 1967 ، وإذا نسب البعض لنا صفحة الهزيمة ، فلقد كنا نحن أنفسنا أصحاب العزيمة الذين أذاقوا إسرائيل المنتصرة الذل والهوان فى الحرب التى بدأت بعد 5 يونيو بعشرة أيام بمراحلها الثلاثة : الصمود – الردع – التحرير انتصرنا فى كل مراحلها ، وأثبتنا أننا لم نهزم فى الخامس من يونيو فالهزيمة انكسار الإرادة .. التسليم ونحن لم تنكسر إرادتنا , ولم نسلم وعلى أية حال فهذه قصة أخرى .

الفهرس

الموضوع	صفحة	الموضوع	صفحة
إهداء	1	نظام العمل	85
مقدمة	3	عام كبيس	94
الفصل الأول : عن أحوال مصر	7	اللمسات الأخيرة	101
الحرب العالمية الثانية .	9	فى عرض البحر	105
حرب فلسطين	14	مؤتمر عمليات	110
ثورة يوليو 1952	15	وداعا للراحة	113
العدوان الثلاثى على مصر	19	الفصل الثالث : فى اليمن	117

مشروع مقاتل	21	مدنى فى جيش محارب	119
الفصل الثانى : تحولات	27	الطريق المعجزة	128
بركات الكنافة	29	ليلة على الطريق	133
مقاتل رغما عنه	38	كلنا احتياط	140
فى مصنع الرجال	55	الأسواق	144
فى مدرسة المشاه	74	المساء والسهرة	147
عودة إلى الكلية للتخرج	77	لقاء مع القائد	151
الجهاد الأكبر	78	وصف صنعاء	153

تابع الفهرس

الموضوع	صفحة	الموضوع	صفحة
الحرب على الذباب	160	وأنفجر اللغم	281
الأعمال الإدارية	162	يوم القيامة	297
العمليات	164	كيس اللبن (الوليمة)	323
حقيقة أقوى من الخيال	171	الجحيم	327
غضب الطبيعة	175	البعث	333
وأهلَ الرئيس	184	الفراق	335
ولقاء فى القيادة	187	حكمة الشيوخ	366
الصيانة والتدريب	193	موت محقق ونجاة غريبة	377
وأنتحر البغل	196	ما قبل النهاية	392
رائحة البارود	199	اللاحق أضاء السابق	394
مشاعر وشعائر	202	الفهرس	403
قيادة بالتحليل النفسى	213	المؤلف	405
الفصل الرابع الميدان الحقيقى	223		
البداية	225		
السراب	231		
طين وبرد وظلام	244		
الأجازة الأولى وفيلم هندى	264		

المؤلف

محمود محمد على مبروك وشهرته محمود مبروك

المولود فى 24/ 8/ 1941

بكالوريوس تجارة جامعة القاهرة

دبلوم المعهد العالى للدراسات الإسلامية

دراسات خاصة فى اللغة الإنجليزية

عمل فى شركات :

- ماركونى للراديو والاتصالات

- هيئة المواصلات السلكية واللاسلكية

- النصر لصناعة السيارات

- تدرج فى الوظائف حتى وظيفة مدير عام

- عضو سابق فى مجالس إدارة
شركة النصر لصناعة السيارات .
صندوق التأمين الخاص بالعاملين بها ومديره الفنى .
المهندس لصيانة السيارات (مهندس كار) .
- نائبا لرئيس مجلس إدارة نادى 15 مايو الرياضى والاجتماعى .
- مدير عام النادى .
- ضابط احتياط لفترة استدعاء أحد عشرة سنة متصلة .
- كاتب مقالاته فى أكثر من عشرة مقالات على مدى ثمانية عشر عاما .
له مؤلفات منها :
لقاءات مع جمال عبد الناصر
حكامنا وقضايانا
رؤى صدقتها الأيام

رقم الإيداع :

المؤلف

محمود محمد على مبروك وشهرته محمود مبروك
المولود فى ٢٤ / ٨ / ١٩٤١
بكالوريوس تجارة جامعة القاهرة
دبلوم المعهد العالى للدراسات الإسلامية
دراسات خاصة فى اللغة الإنجليزية
عمل فى شركات :
- ماركونى للراديو والاتصالات
- هيئة المواصلات السلكية واللاسلكية
- النصر لصناعة السيارات
- تدرج فى الوظائف حتى وظيفة مدير عام
- عضو سابق فى مجالس إدارة
شركة النصر لصناعة السيارات .
صندوق التأمين الخاص بالعاملين بها ومديره الفنى .
المهندس لصيانة السيارات (مهندس كار) .
- نائبا لرئيس مجلس إدارة نادى ١٥ مايو الرياضى والاجتماعى .
- مدير عام النادى .
- ضابط احتياط لفترة استدعاء أحد عشرة سنة متصلة .
- كاتب مقال صحفى فى مجالات السياسة و الاقتصاد و المجتمع. نشرت مقالاته فى أكثر من عشرة جرائد على مدى ثمانية عشر عاما .
له مؤلفات، منها :
لقاءات مع جمال عبد الناصر
حكامنا وقضايانا
رؤى صدقتها الأيام